هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات ولم تُراجَع من قِبَل الشيخ

وهي للمُدارسة فقط

المحاضرة الأولى

اليوم إن شاء الله نبدأ في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، أو بما تسمى "**مقدمة ابن أبي زيد لكتابه الرسالة**"، وهو تأليف الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني – رحمه الله –الذي توفي في 386هـ. وابن أبي زيد القيرواني – رحمة الله عليه – هو من المحققين، من العلماء، بل هو من أفذاذ العلماء، وقد كتب الله عز وجل لعلومه وجملة من تصانيفه الرضا والقبول والإنتشار بين الناس، فقد اهتم كثير من الناس بعلوم هذا الإمام قرنًا بعد قرن، وقد صنف كتابه الشهير "الرسالة". وهذه العقيدة التي سنتدارسها إن شاء الله في هذه المجالس هي مقدمة كتبها لكتابه الرسالة، لذلك هذا المتن البعض يسموه بـ **(مقدمة الرسالة)**، أو **(مقدمة ابن أبي زيد القيرواني)**، حتى أنه كتبها مقدمة لكتابه الكبير المسمى "الرسالة:.

والكتاب هذا ذكر فيه أحكام الفقه؛ في العبادات والمعاملات وشرائع الإسلام، فلما كتب كتابه الرسالة قدمها بمقدمة متعلقة بالعقيدة والإيمان والتوحيد، ليبرز فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، فكانت هذه المقدمة المختصرة عدة صفحات، ورقات، كانت لها قبول عند العلماء، وتُدرَّس كثيرًا في المدارس خاصة للمبتدئين وللطلاب وللصغار، وكانت تُحفَظ، فهي من اليُسر في حفظها، وفيها مجمل لعقيدة أهل السنة والجماعة. فقلنا نبدأ بها معكم إن شاء الله أول شيء كمتن نتجول فيه ونبين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكتاب "الرسالة" الذي ألفه ابن أبي زيد القيرواني طلب منه أحد أقاربه من أهل بلده من تونس – وابن أبي زيد القيرواني من بلدة القيروان من تونس– فهو رجل كان يعلم الأولاد والصبيان طلب يعلمهم القرآن ومبادئ أحكام الشريعة، وهذا الرجل كان اسمه أبو محفوظ التونسي المالكي القيرواني طلب من الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني أن يكتب كتابًا يكون مرجع له في تعليم الصبيان من أولاد المسلمين، فكتب له كتاب الرسالة. وطبعًا أبو زيد القيرواني معلوم أنه مالكي المذهب، فكتب كتابه الرسالة.

وهذا الكتاب حقيقة جليل النفع جدًا، ليس له مثيل أو نظير، بدأه بالعقيدة، ثم شرع في مسائل الفقه والأحكام، بل كتب في أصول الفقه، وكتب في أصول الاستدلال أيضًا، وهذا الكتاب له قيمة عند العلماء إلى الآن، ومازال العلماء يعتنون بكتاب الرسالة، ويهتمون به، لكن طبعًا المقدمة هذه مهمة جدًا حقيقة لأن فيها مسائل عظيمة جدًا في العقيدة؛ ففيها مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان دائمًا العلماء الأوائل يهتمون بالعقيدة، فهو يكتب كتاب في الفقه وأصوله والاستدلال، ويبدأ بمقدمة ليبين عقيدة

أهل السنة والجماعة في ذلك. فإن شاء الله سنبدأ في هذه المقدمة التي تسمى "مقدمة الرسالة" أو "مقدمة ابن أبي زيد القيرواني"، سنأخذ الجزء الخاص بالعقيدة في ذلك.

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رضي الله عنه وأرضاه:

طبعًا الذي قال "**رضي الله عنه وأرضاه**" ليست من ابن أبي زيد، لكن هذه من الناسخ هو الذي كتب ذلك، لأن المؤلف لا يترضى عن نفسه، هذا معروف، وطبعًا الأصل في الترضية أنها للصحابة لكن لا يُمنَع أن ممكن تقول لأحد "رضي الله عنك" كدعاء له أن ربنا يرضى عنك، لكن طبعًا الأصل أنها للصحابة من باب الترضية.

قال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ)

بدأ بالحمد، قال: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ**" والأصل أن المرء يبتديء دائمًا كل عمل بأنه يحمد فيه الله عز وجل على نعمه عليه، وهنا هو يحمد الله على ما يَسَّره له؛ سواء من رزق، أو من علم، وهذا أصل؛ أن المرء كل عمل يعمله لابد أن يقدم الثناء على الله عز وجل، وأن يحمد الله عز وجل.

والحمد: هو ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم له، لذلك الحمد الأصل فيه من حيث الشرع لا يكون إلا لله، وإلا ممكن في اللغة أن تقول حمدت فلان على أخلاقه، حمدت فلان على كرمه، لكن الحمد المعروف شرعًا هو ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم له، وهذا الذي يفرق بين الحمد وبين المدح؛ **المدح** أنت ممكن تمدح فلان بذكر أوصافه لكن ممكن تمدحه وأنت من داخلك بتكرهه، كما يفعل أحيانًا الشعراء والمتزلفين للحكام والسلاطين، يظل يمدح فيه وهو ممكن يكون يريد أن يقتله وهو يمدحه لأن هذا مدح. لكن الحمد لابد فيه مع ذكر أوصاف المحمود أن يكون مع المحبة والتعظيم له، والمحبه والتعظيم لا تكون إلا لله، فالحمد في الشرع لا يكون إلا لله، هذا أمر خاص بالله عز وجل. فقد ابتدأ هذه المقدمة بالحمد والثناء على الله عز وجل، ومدحه سبحانه وتعالى بما هو أهل له.

كما أيضًا اشتملت على الثناء على رسل الله عز وجل الذي أرسلهم الله عز وجل إلى الناس مبشرين ومنذرين، وأيضًا اشتملت على الإيمان بكتاب الله – نحن نتكلم عن المقدمة إجمالًا –واشتملت أيضًا على الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل وفيها الشرائع حتى خُتِمت بالقرآن، وبينها النبي ﷺ.

والبداية بالحمد لله قد بدأها الله عز وجل في كتابه بعد ما ذكر البسملة حتى تسمى سورة الحمد التي هي الفاتحة، قال:{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الفاتحة:2]، وفي سورة الأنعام قال أيضًا: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:1]، وأيضًا من قوله في سورة الأعراف: {وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ

رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ} [الأعراف:43]، وفي سورة الكهف افتتحت أيضًا بـ {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ} [الكهف:1]. هذا في الكتاب.

وفي السنة أيضًا كان النبي ﷺ عندما يبدأ خطبته كان يبدأ بالحمد لله عز وجل، والثناء على الله عز وجل، فإذا بدأ الخطبة قال: "الحمد لله" وأثنى على الله بما هو أهل له. وهذا من الكتاب ومن السنة.

ويُستأنس بحديث ضعيف مشهور في كل الكتب تجده: **(كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر)**، وفي رواية: **(فهو أقطع)**، وفي رواية: فهو **(أجذم)**، وكل الروايات ضعيفة لكن قلت يُستأنس به لأن عندنا أدلة من الكتاب ومن السنة. وهذا الحديث مضطرب في اسناده وفي متنه، لكن يُشهَد له ما سمعتم من الكتاب ومن السنة، فقلناه فقط من باب شهرته في الكتب وإن كان ضعيفًا، ونوهنا إلى ذلك.

وقد كان النبي ﷺ أيضًا يبدأ أحيانًا في كتبه ورسائله بالبسملة كما بدأ الله عز وجل أيضًا القرآن بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي آية من الفاتحة.

فالمصنف – رحمة الله عليه – بدأ بالحمد لله عز وجل، فحمد الله عز وجل بما هو أهله، والحمد بما هو أهله أي يحمده بكمال الربوبية، والألوهية، والأفعال، والأسماء، والصفات بما يكون فيه أهل لله عز وجل.

قال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ، وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقِهِ، وَمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ)

هذه المقدمة التي بدأ بها، وهذه ديباجة، وهذا من باب الحمد، فهو حَمَد الله اجمالًا، ثم يبين تفصيلًا النعائم المتعددة على المرء من الله عز وجل؛ فقد أنعم عليه بابتداءه بالخلق {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56]، وأنعم عليه بتصويره في الأرحام، وأنعم عليه أيضًا بما يسر له من الرزق، وعلمه ما لم يكن يعلم، كل هذا يعدد الثناء على الله بذكر نعائم الله على العبد.

(وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ، الْخِيرَةِ مِنْ خَلْقِهِ)

أي أرسل إليه المرسلين والرسل حتى يعذره؛ أي ينذره، ويبين له الحق من الباطل، لقوله تعالى:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، فالله عز وجل لا يمكن أن يحاسب أحد قبل أن يرسل إليه رسولًا أولًا، فهذه من نعائم الله عز وجل أنه أعذر إليه على ألسنة المرسلين حتى لا يأتي يوم القيامة ويقول لم ترسل إليّ رسولًا يارب، أو لم أعلم بشيء. **وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ، الْخِيرَةِ مِنْ**

خَلْقِهِ، ويبين لك أن أفضل الخلق هم المرسلين والأنبياء صلوات الله عز وجل عليهم، فهؤلاء هم أفضل الخلق عند الله عز وجل.

(فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ)

وهذا يدل لك على أن الهداية من عند الله عز وجل، التوفيق والسداد من الله، حتى لما النبي ﷺ حزن على عدم إسلام أبو طالب فأنزل الله عز وجل الآيات:{ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ } [القصص:56]، هداية التوفيق والسداد من الله، وهداية البيان والارشاد الله عز وجل جعلها على الرسل والعلماء من بعده، وكل الناس والدعاة يُبَيِّنون ويرشدون الناس إلى الحق، لكن من بيده التوفيق والسداد؟ الله عز وجل. ولذلك لا أحد منا سببًا في هداية نفسه، بل لابد أن يعلم المرء أن أكبر نعائم الله علينا جميعًا أن يجعلنا هداة مهديين، أن الله عز وجل وفقنا، بل أعظم النعائم أن يوفقك إلى ما أنت فيه الآن من مجالس العلم.

قال:

(فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ)

إذًا من وفقه إلى الهداية فهذا من فضل الله عز وجل، ومن لم يوفق فذلك من تمام عدل الله؛ علم الله أن هذا القلب لا يريد الحق ولا يريد الهدى فكان هذا عدلًا من الله عز وجل.

(وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرَى)

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ} [الليل:5-10]، فيسَّر الله عز وجل المؤمنين لليسرى، وشرح صدورهم للذكرى، ماذا يعني شرح صدورهم للذكرى؟ أن الله عز وجل يشرح صدر المؤمن عندما يُذكِّره أحد أنه يتذكر، وأنه يعود، وأنه يرجع، وإلا تجد قلوب مغلقة تُذكِّرها لا تتذكر، لكن الله عز وجل هو من شرح الصدور لقبول الذكرى.

(فَآمَنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ)

انتبه.. **"فَآمَنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ"** النطق باللسان؛ وهذا ركن من أركان الإيمان، **"وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ"** والاعتقاد بالقلب؛ وهذا ركن ثاني من أركان الإيمان، **"وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ"** وهذا العمل بالجوارح. إذًا لا يكفي الإيمان باللسان فقط، ولا الاعتقاد فقط، بل لابد أن يكون معه العمل وهو يتتبع ويعمل بما جاء به الرسل وبما جاء في الكتب.

(وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ)

انظر.. "وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ" أي أن العلم من الله، لذلك كان البعض يقول: (يا معلم داوود علمني، ويا مفقه سليمان فقهني)، الله الذي علَّم داوود وعلَّم آدم الأسماء كلها، من الذي علَّم آدم وعلَّم داوود وجعل الفقه لسليمان؟ الله عز وجل. " **وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ**"، وهذه مهمة جدًا؛ لأن هناك حدود في العلم، لما تتكلم عن العلم بالله واسمائه وصفاته لابد تقف على ما أوقفك الله عز وجل فيه، لا اجتهاد لك في ذلك، أنك تتكلم عن الله بما جاء عن الله، وبما جاء عن مراد الله، تصف الله بما وصف به نفسه، تُسمِّي الله بما سَمَّى به نفسه وتقف، ليس لك اجتهاد، وهناك أبواب أخرى من العلم فُتِح لك باب الاجتهاد فيها وتقيس بالقياسات وغير ذلك. فلذلك عندما يقف لك الحد لابد تقف، عندما يُفتَح لك باب الاجتهاد تجتهد في ذلك.

(وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ)

{وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ } [الأعراف:157]، فهو ما أحل لك هو الحلال، واستغنيت بالحلال عن الحرام، وهذا دأب المسلم، وهذه المسألة أريد أن أقف عندها وقفة لأنها من المسائل التي لُبِّس على بعض الملتزمين في زماننا، ما هو باب التلبيس هنا؟ "**وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ**"، الله يحرم عليك مثلًا المعازف والموسيقى، ويحل لك مثلًا قراءة القرآن والذكر وغير ذلك، أو حتى الاستئناس بشيء، أحل لك البيع وحرم عليك الربا، أحل لك النكاح وحرم عليك الزنا، فالأصل أنك تقول أنا اعمل واستمتع بما أحل الله لي، وأن الذي حُرِّم عليّ لا التفت إليه. يظهر هنا أن بعض الناس الآن كأنهم أرادوا أن يبينوا لأهل الباطل أو للناس الذين ليس عندهم استقامة أن الإسلام فيه كل شيء جيد حتى الذي تفعلوه في الباطل ستجد في الإسلام منه حلال، فأرادوا أن يؤسلموا – كما يقال– بعض الشيء الممنوع يحاولوا أن يجدوا له بديل في الإسلام، تقول له لا يوجد موسيقى لكن ممكن تعمل ايقاعات أو تعمل كذا وكذا، عندنا بديل، عندك هذا محرم لا عندنا ممكن شيء آخر تعمله! نقول هذا ليس في شرعنا هكذا، ما كان حلالًا نفعله خلاص لكن نحن لسنا مطالبين أن نقنع الناس أن الموجود حرام عندنا بديل منه نحاول أن نلويه ونؤسلمه – كما يقال – حتى يكون عندنا بديل له في الإسلام! لا، هب أن الحرام هذا حرام؛ الخمر حرام، فهل ستأتيني ببديل عن الخمر فتقول لي الخمر حرام فأنا أفكر الآن أحاول أقول للناس الخمر حرام عندنا حاجة ثانية كويسة في الإسلام!! فتحاول أنك تجعل أمور أخرى وهي ليست بحلال حتى كأنك تقنعه أننا عندنا بدائل! هذا ما يجوز!

الذي حُرِّم تحريمًا فلا تلتفت، لابد أن تتركه، وأنت لست مطالب أن تجد بدائل توجدها للناس مقابل الحرام! لا، هو عليه أن يلتزم، حرَّم الله الخمر، حرَّم الزنا، حرَّم الربا، بعض الناس تقول له أن ودائع البنوك هذه معاملة ربوية، فيقول لك ائتني بالبديل حضرتك أنت بتمنعني من الربا أنا أين أضع فلوسي؟ قلت لك أولًا التزم أن هذا حرام، وتعتقد أن الله حرَّم الربا، وأنك لا يجوز أن تدخل في الربا، لكن لا تقول

لي أنا ملزم أقول لك أن مادام هذا حرام فأنا ماذا أفعل؟ هو يوجد أبواب للحلال كثيرة لكن أنت تريد باب معين، فأنا من أين ائتيك به؟ أنت لا تريد أن تشغل مالك، لا تريد أنك تتعب، لا تريد شيء، لكن تريد أن ترابي، فلما أقول لك هذا ربا تقول لي اعطني بديل! أقول لك البدائل موجودة لكن أنا لست ملزم أن أعطيك البديل، أنا ممكن أن أعطيه لك من باب أن افهمك أن الشريعة فيها بدائل، لكن أنت لابد تقول آمنت بالله وبما جاء من الله، آمنت بما حرَّم الله وامتنع عن هذا الحرام، ولا أن تقول لن أمتنع إلا لما أجد الحلال، أو طالما هذا حرام فأنا أريد أن أبحث عن حلال كأنه تحليلًا لهذا الحرام بأي طريقة!

هذا هو الإشكال الموجود الآن؛ كثير من الناس يريدون كل شيء كانوا بيفعلوه مثلًا قبل الاستقامة والالتزام يريدوا أن يقلبوه بطريقة إسلامية، كانوا بيعملوا منكرات قبل ذلك فحتى يقول لك لا نحن سنغير الحفلات بكذا، الموسيقى بكذا، النظر بكذا، السماع بكذا، الربا بكذا، العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة نحاول أن نجد لها بديل عندنا في الإسلام! نحن لسنا مطالبين بذلك، هناك أشياء تحريم لا يمكن أن يكون عندك بدائل لها، وهناك أشياء نعم الإسلام لما حرَّم هذا الباب فتح لنا أبواب أخرى، هنا نبين للناس؛ لما حُرِّم الربا فتوجد أصناف بيوع الحلال، لما نهى النبي ﷺ عن بعض أصناف البيع فهناك أصناف حلال في البيع، هكذا، لكن ممكن تجد أشياء محرمة ليس لها بديل، فالخمر حرام، ما البديل عندنا في الخمر؟!

فالمسألة هذه لماذا انتشرت كثيرًا؟ لأن الناس تريد أن تجد بدائل، وطبعًا فيها لوي لأعناق النصوص، وفيها تحليل لأمور هي محرمة، أو تحايل عن المحرم بأمور حلال، وهذا أصلًا يفرق لك بأن أهل العلم وأهل التحقيق وأهل الديانة استغنوا بما أحل الله عن ما حرم الله. عندي أماكن ممكن أذهب إليها حلال فلا أذهب إلى الأماكن المحرمة، سأستغنى عن ذلك. وتجمعات فيها اختلاط محرم لا أذهب إليها وأذهب إلى أماكن أخرى فيها الحلال.

قال:

أَمَّا بَعْدُ:

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِه، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِه، فَإِنَّك سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَك جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ السُّنَنِ: مِنْ مُؤَكَّدِهَا، وَنَوَافِلِهَا، وَرَغَائِبِهَا الْمُرَادِ بِهِ، وَشَيْءٍ مِنْ الْآدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُنُونِه، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَطَرِيقَتِه، مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ الْمُتَفَقِّهِينَ، لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ، كَمَا تَعْلَمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ، لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُك إِلَى ذَلِكَ لِمَا رَجَوْته لِنَفْسِي وَلَك مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

هنا كل القطعة التي كنا نتكلم عنها الآن هي اجابته لطلب أبو محفوظ التونسي المالكي الذي أتاه ليكتب له كما قال كتابًا أو جملة – سماه جملة – كما قال على مذهب الإمام مالك، يذكر له فيها الفقه وأحكام الأصول والديانة، وشيء من الآداب والسنن النوافل وغير ذلك، وأشار إلى مسائل في الفقه أيضًا؛ قال "وَجُمَلٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُنُونِهِ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَطَرِيقَتِهِ"، إذًا المنهج الذي سيسير عليه في الفقه في هذا الكتاب هو منهج الإمام مالك، وطبعًا هذا لا يعنينا لأننا سنأخذ الجزء فقط الخاص بالعقيدة.

لكن طبعًا مادام أشار إلى الإمام مالك فهو إمام دار الهجرة، والإمام مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة الذين لهم مذاهب، بل بعض أهل العلم يقولون أن مذهب الإمام مالك الأكثر انتشارًا في المذاهب الأربعة، وهذا قد يكون تحيزًا من المالكية – قد يكون – فبعضهم يقولون أن الانتشار للمالكية ثم الأحناف ثم الشافعية ثم الحنابلة، لكن والله أعلم أن الأظهر الآن في الانتشار الأحناف كبلاد خراسان كلها، والشافعية أيضًا لها بلاد كثيرة، حتى في بعض البلاد التي هي خلف خراسان فشافعية، وفي اندونيسيا الشافعية، وأيضًا مصر والشام والعراق، وماليزيا والشيشان وإنغوشيا وداغستان كل هذا من الشافعية.

والإمام مالك إمام دار الهجرة توفي في سنة 179هـ إمام المدينة، وهو من طبقة صغار اتباع التابعين؛ عندنا صحابة، تابعين، اتباع التابعين، وصغار اتباع التابعين على الترتيب الذي ذكره ابن حجر. وقلنا الإمام مالك انتشر علمه في الآفاق حقيقة، وسموه إمام دار الهجرة. وأكثر البلاد تمذهبًا بمذهب الإمام مالك بلاد المغرب العربي؛ أي ليبيا وتونس والمغرب الجزائر، ومن الخليج الإمارات المذهب المعتمد عندهم أيضًا المذهب المالكي، وموريتانيا أيضًا المذهب المالكي.

وانتشر علمه حقيقة كثيرًا، فهو كان إمام دار الهجرة كان في المدينة لكن بعد ذلك على أيدي طلابه منهم عبد الله بن وهب الفهري القرشي المصري انتقل من مصر إلى بلاد المغرب فانتشر. وسبحان الله مالك له قصه مشهورة دائمًا بتردد لما جاءه أحد من بلاد المغرب يسأله؛ بعضهم قالوا ستين مسألة وبعضهم قالوا خمسين مسألة، اختلفوا في العدد، فيُسئل ويقول لا أعلم، لا أعلم، أجابه ممكن في أربع أو ست مسائل على اختلاف الروايات، فقال يا إمام أنا ائتيك من بلاد المغرب أسألك وتقول لي لا أعلم! ماذا أرجع للناس؟ قال: ارجع للناس قل لهم سألت مالك فقال لا أعلم وأجاب عن كذا وكذا وكذا. الرجل طبعًا رجع، والعجيب أن سبحان الله تجد أن بلاد المغرب كلها تتبع مذهب الإمام مالك ويأخذون بقول الإمام مالك، لأن سبحان الله الإخلاص في المسألة، وأن المرء لا يتجرأ على دين الله عز وجل، فما همه أن يقول لا أعلم والناس تنتظر كلامه، ولما رجع أصبحت البلاد التي جاءت تسأله وقال لا أعلم أصبحت تتبع المذهب في علمه؛ كأن علمه انتشر في هذه البلاد. وهذا يبين لك أن المسألة مسألة قلوب وإخلاص، العلم كله قائم على هذه المسألة؛ القلب والإخلاص في النوايا، والله عز وجل هو الذي ينشر

علم المرء، وهو الذي يجعله يتقبله الناس ويعملون به، وممكن يموت ولا يُعرَف ذكره وينتشر علمه بعد موته، الله يريد ذلك سبحانه وتعالى. فالمسألة كلها تقوم على الإخلاص.

والإمام مالك طبعًا هو شيخ إمام المذهب عندنا – الشافعي – فالشافعي لما جاء إلى المدينة جاء وقد حفظ الموطأ، وكانت له قصة مع الإمام مالك أيضًا؛ أنه كان في مكة وأراد أن ينتقل من مكة إلى المدينة ليتعلم علم مالك بعد أن درس الحديث على يد سفيان بن عيينة في مكة ودرس العربية في القبائل حول مكة، فأراد أن ينتقل ليتعلم فقه الإمام مالك، والإمام مالك كانت له هيبة شديدة جدًا وحُسن سمت، وكان لما يجلس يُحدِّث كان لابد أن يغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتعطر– كان المجلس ليس بالهين – فالشافعي جاء بتوصية من الوالي للإمام مالك، فحتى الوالي ما استطاع أن يرسل لمالك فقال له أنا أئت معك لمالك لأنه يعلم هيبة مالك، انظروا.. العلماء كيف لهم هيبة، فهو أتى بتوصية من والي مكة حتى يُراعَى. فالإمام مالك لما نظر للشافعي – والعلم لا يكون بالتوصية أصلًا – فسأله سؤالًا فوجد الشافعي كأنه يُسمِّع له الموطأ، فالتفت له، واهتم، قال إني أحفظه، فقال إقرأ منه، فقرأ موطأ مالك قبل أن ياتيه، فقال لا، أنت تأتيني في الدار، أي علم أن له شأن، فكان يخص الشافعي؛ يأتيه ويسمع له الموطأ، سمَّع له الموطأ في وقت قصير، وجلس مع مالك فترة يتعلم علم مالك، حتى أن الشافعي كان علمه أصالة قبل أن يكون له مذهب ويؤلف كان شيخه المباشر في الفقه هو الإمام مالك أصلًا، وطبعًا الشافعي هو شيخ الإمام أحمد أيضًا. فانظر.. الأئمة كل واحد أصبح له مذهب بعد ذلك. وطبعًا الإمام مالك أحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورة المعلومة.

المهم أنه بيَّن له أن هذا أصل التأليف ولماذا سيؤلف هذا الأمر؛ قال: **(لِمَا رَغِبْت فِيهِ)** وهذا الشيخ المؤدب المربي أراد أن يعلم الصبيان فجعل هذا التأليف أراد أن يبتغي به أن ينقل العلم ويعلم أولاد المسلمين، فقال:**(لِمَا رَغِبْت فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ، كَمَا تَعْلَمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ، لِيَسْبِقَ إلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِيْنِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ)**، انظر.. كما بيعلمهم القرآن، هذا كان دأب السلف، المسألة ليست أن نحفظ القرآن حفظًا ونهزه! لا، أراد مع حفظ القرآن أن يُفَهِّمهم الدين؛ العقيدة والفقه والأصول، وهذا هو الأصل، هذا هو العلم. ولذلك نحن ننكر لأن كثير من الحفاظ معلمين القرآن ومعلمات القرآن كُثُر الحمد لله لكنهم لا يفقهون شيئًا؛ حتى العقيدة لا يعرفونها، والبعض لا يفهم في الفقه! فهذا ليس المطلوب أن الناس تحفظ القرآن ولا تفهمه! الصحابة ما كانوا يفعلون ذلك، كانوا يحفظون عشر آيات ويتعلمونها ويعملون بها ثم ينتقلون. وهنا الرجل أراد ألا يكتفي بالقرآن فأراد كتابًا يستطيع أن يدرسه للصبيان فأجابه لذلك الإمام ابن أبي زيد.

فقال: **(مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ)** أي يأخذ بركة العلم، **(وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُك إلَى ذَلِكَ)** وكأن سبب اجابته أنه قال: **(لِمَا رَجَوْته لِنَفْسِي وَلَك مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلِمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إلَيْهِ)**، الله أكبر.. أي هو أجابه وأجاب الرجل، الرجل سيُعلِّم، والإمام سيؤلف، فأراد أن يؤلف ليأخذ الثواب في تأليف العلم وأنه سينتقل؛ سيأخذه هذا المعلم يعلم به أولاد المسلمين، فقال: **(لِمَا رَجَوْته لِنَفْسِي وَلَك مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلِمَ**

دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ)، من أعظم القربات كما قلنا دائمًا تعلم الدين وتعليمه، ودعوة الناس إليه، من علَّم دين الله ودعا إليه وأرشد الناس إليه له من الفضل العظيم، وهذا الفضل العظيم ذُكِر في أكثر من آية؛ من قوله تعالى:{ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ } [فاطر:28]، من الذي وصفهم بالخشية؟ الله عز وجل وصف العلماء، وقوله تعالى: {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ} [المجادلة:11]، إذًا من الذي رفعهم الله؟ أهل العلم الذين اوتوا العلم درجات، هذه الرفعة من الله عز وجل. وقول النبي ﷺ: **[طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة]** ، و**[فضل العالم على العابد كفضل الشمس على سائر الكواكب]** ، و**[إن الملائكة في السماء، والطير في الهواء، والحيتان في البحر لتخضع لطالب العلم رضا بما يصنع]** هناك تسامح في الأسانيد هنا و **[إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع]**، و **[من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين]**، و **[من سلك طريقًا يبتغي فيه علم سهل الله له طريقًا إلى الجنة]** انظروا إلى كل هذه الفضائل لأهل العلم ولطلاب العلم.

فأجابه الإمام جزاه الله خيرًا في ذلك، فألف كتابه "الرسالة" ومنها المقدمة. ثم توفي الإمام ابن أبي زيد 386هـ. ونحن الآن فوق الألف سنة نتكلم عن هذ الإمام! انظروا إلى كيف ينشر الله العلم للناس! فوق الألف سنة ونحن الآن نبدأ في المقدمة التي كتبها ليعلم الناس، انظر إلى الخير، لا نزكي على الله أحدًا لكن انظر إلى إخلاص النية فيه، كتب شيء من ألف سنة ليعلم الصبيان في منطقته في تونس وصار في الآفاق ونعلمه نحن في مصر، وغيرنا يعلمه في الجزيرة، وغيره في العراق، وعلى مدار ألف سنة هذا يُعلَّم! فانظر إلى الخير لهذا الإمام، كم نغبطه حقيقة على ذلك، ولكن المسألة صدقوني ليس لها علاقة بالشهرة ولا بوسائل تواصل اجتماعي ولا بكثرة المشاهدات ولا بالإعلانات ولا بنشر البوستات! لا، هذا ما كان عنده وسائل، وألف سنة ويصلك هذا المتن إلى الآن في ملفاتكم وفي أجهزتكم لنقرأه ونتعلمه، من الذي نشره كذلك ونقله؟ الله عز وجل. لكن الأصل حقيقة لابد من إخلاص وتجرد إلى الله عز وجل، وهذا نفع متعدي ويبين لك أن النفع المتعدي أنفع للعبد من النفع الذاتي، لابد أن تصلي قيام ليل واحفظ القرآن وصم وصلي تراويح واعمل عمرة وحج لكن هذا كله عبادة لك، طبعًا هناك أجور؛ فالحج أجره عظيم جدًا يغفر لك ذنوبك وترجع كما ولدتك أمك، لكن النفع المتعدي الذي يَجُر عليك **[إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له]**.

هذه كانت مقدمة فقط، وإن شاء الله نبدأ الأسبوع القادم في المتن نفسه.

المحاضرة الثانية

وقفنا عند قول المؤلف:

(وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقْ الشَّرُّ إِلَيْهِ)

هذه عبارات مهمة جدًا، لأنه يبين لك حاجة القلوب إلى العلم، فكما يُفهَم من كلام ابن أبي زيد كأنه يريد أن يقول لك أن القلب هذا كالإسفنجة ما وضع عليه أُشربه، فإذا وضعت على الإسفنجة ماء فإنها تتشرب الماء، وإذا وضعت – أعزكم الله – عليها بول أو شيء أشربته، فكذلك القلب، إذا سبق إليه الخير تَمكَّن الخير من القلب وأصبح القلب مملوء بالخير، وإذا سبق إليه الشر تَمكَّن منه الشر، لذلك أصح القلوب وأحسنها أوعاها للخير؛ أي استيعابًا للخير وتشربها للخير، وأفسد القلوب من تشربت الباطل أو الشر أو تشربت المكر والخديعة والخبث.

فأنت تجدها حقيقة كمثال تطبيقًا كالقلب حيث لا يجتمع فيه الغناء مع القرآن؛ إما أن تجد القلب اعتاد على سماع القرآن واطمئن قلبه بذكر القرآن وسماعه، وإما – والعياذ بالله – تجد القلب اعتاد سماع الغناء والمعازف، فلا يجتمع الإثنين معًا، لابد لو كنت تُكثِر من سماع القرآن لا تجد القلب يقبل أنه يسمع الغناء، ومن اعتاد سماع الغناء تجده يقل عنده سماع القرآن؛ إما لا يسمع أو يقل جدًا، لأنه وعاء واحد؛ إما يُشرَب بالخير أو يُشرَب بالشر، قد يختلط الخير مع الشر نعم، لكنه كما جاء في السنة لا يجتمع في القلب مثلًا غبار في سبيل الله ودخان جهنم، هذا غبار وهذا دخان، لكن لو دخل في قلب المرء غبار في سبيل الله لا يمكن أن يأتي في قلبه دخان جهنم.

ما المقصود من هذا الكلام؟ المقصود به المبتدئ في العلم والصغار، لاننا قلنا الرسالة هذه لو تذكروا جاء الرجل لأبي زيد ليطلب منه أن يكتب له كتابًا يعلم به الصبيان مع القرآن؛ كان يعلمهم القرآن فأراد أن يعلمهم الشريعة، فابتدأ بمقدمة العقيدة، ثم ذكر له في كتابه "الرسالة" الأحكام الشرعية على مذهب الإمام مالك وغير ذلك. فهو يريد أن يقول أن الإنسان إذا بدأ يتعلم العلم؛ وأعظم العلم وأجله لا شك هو كلام الله عز وجل – القرآن – فإذا حفظه وتابعه بحديث النبي ﷺ، وتابعه بالعلم الشرعي، أصبح قلبه حيًا، وأما إن سبق إليه الشر – والعياذ بالله – أصبح قلبه ميتًا، قلبه فاسد، وإن خلَّط كمن قلبه فيه تخليط؛ جزء حي وجزء ميت. لذلك هو يقول: **(وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقْ الشَّرُّ إِلَيْهِ)**.

لذلك لماذا دائمًا بنقول أن الأطفال والصغار والشباب في السن الصغير نعرض عليهم الخير ونحاول أن نعلمهم القرآن والعلم؟ لأن القلب كالإسفنجة؛ لما يشرب الخير هذا يسير معه، لكن لو تعرض للمعازف والأخلاق السيئة والأمور الدنيئة ستجد القلب يتأثر بها. لذلك مهم جدًا تعهد الأطفال في السن الصغيرة والصغار ببيان الخير لهم، لأن القلب ما زال يستقبل في بدايته؛ لو نشأ على الخير ستجده يستمر، ممكن ينكر الشر أول ما يراه، لكن لو نشأ على الشر – والعياذ بالله – ستجده ينكر الخير ولو عُرض عليه بعد ذلك، وهذه تبين لك مهمة التعليم في الصغر.

قال:

(وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغَّبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ، وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا)

(لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا) أي يشبوا عليها، من الترويض، من الرياضة، ترويض الشيء، أي أنك تشب على هذا الخير، تتعود على هذا العلم، فالصغير إذا علمته في الصغر كأنك بتنقش في الحجر، لو أتيت بالحجر ونقشت فيه وتركته سنين سترجع تجد النقش موجود في الحجر، وكذلك الصغير؛ إن أتيت به وهو صغير وعلمته فكأنك بتنقش في قلبه، حتى لو أصابه أحيانًا انتكاسات أو أمور لكن تجد الخير موجود في القلب، تستطيع أنك تزيل ما عليه من غبار وأشياء ويظل الخير الذي نقشته في صغره يرجع إليه مره أخرى. وهذا يبين لك أهمية تعليم السن الصغير، وأما علم الكبير يسمونه كالنقش في البحر؛ أنت لو ذهبت للبحر وأتيت بالرمال وجاءت عليها مياه البحر فسترجعها كما كانت. فالنقش في الصغير كالحجر، والنقش في الكبير كنقش في ماء البحر.

وطبعًا هذا ليس على اطلاقه؛ لكن هو يبين لك عِظَم التعليم في الصغر، وإلا سيأتي استثناءات؛ لأن لما جاءت الرسالة كان هناك كبار الصحابة وصغار الصحابة، أبو بكر تعلم العلم فوق الأربعين، وعمر، وغيره من الصحابة الكبار، فلما نزلت الرسالة كان النبي ﷺ بُعِث على الأربعين فكان هناك صحابة في سن أصغر من النبي ﷺ بقليل، بل وأكبر كعمر، ومع ذلك تعلموا. وهذا قد تجده؛ فهناك ناس بتلتزم على كِبَر وتتعلم على كِبَر، لكن لا شك أن الصِغَر هو الأرجى في الثمرة وفي النتيجة. لذلك كان العلماء يهتمون بالصغار وتعليم الصغار، وهذا الذي اهتم به المؤلف الذي معنا في هذا الكتاب. فلذلك السلف كانوا يعلمون أولادهم منذ الصغر، ويتعهدونهم منذ الصغر؛ يتعلمون القرآن، والسنة، وفضائل الأعمال، الخير، الآداب، إلى غير

ذلك، حتى يبقى محفوظًا في الصغر، فلما يكبر ويدخل في البلوغ والشيطان يأتي له بوساوس والإغواء فيكون عنده أصول قد تربى عليها في الصغر.

قال:

(وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنْ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ، فَإِنَّهُ رُوِيَ: أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءَ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ)

الإمام يريد أن يقول لك **(وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنْ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ)** هنا يبين لك إشارة أن المسألة اعتقاد وعمل؛ القلوب تعتقد، والجوارح تعمل، أنت بتربي فيه اعتقاد، وتربي فيه عمل، لا أن تهتم بالعمل فقط ولا يكون عنده اعتقاد! كثير من الناس في تعليم الصغار يضرب على الحفظ، يضرب على الصلاة في المسجد، يضرب على كذا ويضرب على كذا التي هي الأعمال الظاهرة، فالولد ممكن يُضرَب ويفعل لكن قلبه ليس معتقد، هو غير خائف من ربنا، لا يرجو من الله، لا يشكر الله، لا يتوكل على الله. فالقلبيات هذه والاعتقاد أهم لأنها المحرك للجوارح، فلابد من الجمع بين الإثنين؛ أن تعتقد القلوب وأن تعمل الجوارح أيضًا.

هو قال: **(رُوِيَ)** ، ومعنى "رُوي" – وهذا في مصطلح الحديث – فالمؤلف عندما يقول (رُوي) فهو يريد أن يقول لك أن الحديث الذي بيقوله هذا **فيه ضعف**؛ فلذلك لم يقل قال رسول الله ﷺ، فلو قال: (قال) فيكون قد جزم أن النبي قال ذلك، لكن لما يقول: (رُوي) أي كأنه "قيل"، "سمعنا"، فهذه كلمة حديثية عند العلماء، فلما يقول لك المحدث (روي) فهو يريد أن يقول أن الذي بينقله هذا حديث فيه ضعف. فهو يقول: **(أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ)** وإن كان المعنى صحيح، **(وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءَ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ)**، وقد بينَّا ذلك.

قال:

(وَقَدْ مَثَّلْت لَك مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ إنْ شَاءَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، وَيَشْرُفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ)

هو سيأتي بأمثلة من هذا العلم الذي يتكلم عنه الإمام في كتابه؛ أن يحفظونه، ويشرفون بهذا العلم، ويسعدون بالاعتقاد والعمل به. طبعًا هنا يبين لك مسألة مهمة؛ وهي مسألة طريقة تلقي العلم عند السلف كيف كانت. أول شيء في التلقي – بالذات عند الصغار – الحفظ، دائمًا كان العلماء يستغلون صغر سن المتلقي فيحفظونه أولًا؛ الأول يحفظ القرآن، يحفظ السنة، يحفظ الأحاديث، يحفظ متون العلماء سواء الفقهاء أو متون العقيدة أو غير ذلك، لماذا؟ لأنه لما يحفظ

في الصغر يستطيع أن يسترجع هذا الحفظ لما يكبر ولما يأتيه الفهم يكون عنده استرجاع للحفظ. لذلك الحفظ مهم جدًا، قال تعالى:{ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا} [طه:115]، قال النبي ﷺ: [**نسي آدم فنسيت ذريته**] حتى بعضهم يقول أن الإنسان سمي انسانًا من جهة النسيان. لذلك العلماء يقولوا أن علم الشريعة لابد من حفظه، وطبعًا **الحفظ حفظان**:

- حفظ الصدر؛
- وحفظ الكتاب.

وكان السلف يهتمون بحفظ الصدر جدًا؛ أن الصغير يحفظ، يكون عنده الحفظ ويركزون معه في السن الصغير على الحفظ قبل الفهم، لأنه بالحفظ يسترجع، وبالتالي ممكن يعرض الأدلة فيفهمها، ولما يفهم يستطيع أن يستحضر الأدلة.

لذلك ابن تيمية – رحمة الله عليه – كان العلماء يقولوا أنه من دقة وغزارة استنباطه في الكلام قالوا كأنه يُخرِج الآيات من المصحف؛ كأن المصحف كتاب مفتوح أمامه وهو ينتزع ويلتقط الآيات منها ويتكلم، وذلك من شدة استحضاره وحفظه لكتاب الله عز وجل وللسنة، فما كان يقف، كان وهو بيتكلم مستحضر، والآيات عنده لها تفاسير فبالتالي كان يستحضر، لماذا؟ من قوة الحفظ. لذلك الحفظ لا شك خاصة في السن الصغير مهم جدًا.

لذلك دائمًا أقول لكم إن استطعتم أن تحفظوا الآن احفظوا، وإن كان الصغير هذا الذي نتكلم عنه هو سن السبع سنين والثمان سنين والعشر سنين، لكن حتى الآن مازال في زماننا عندكم القدرة على الحفظ، وإلا بعد ذلك لما تصلوا لأعمارنا وغير ذلك تجد الحفظ يصعب أكثر عليك. لذلك كان الصغار دائمًا يحفظونهم القرآن، والأربعين النووية، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام، ثم يحفظ بعد ذلك كتب السنة، ثم يحفظ المتون الفقهية، ويظل يحفظ يحفظ وتجده عندما يطلب العلم يستحضر ذلك.

فلذلك نقول أن السلف كانوا يعودون أولادهم على حفظ العلم، وهذا كان الأصل. لكن طبعًا نقول أن أحيانًا عندما يتعارض الحفظ مع الفهم – بالذات في السن الكبير– بنقول احفظ بقدر ما تستطيع لكن عَوِّل على الفهم، ممكن تستبدل الحفظ بضبط الكتاب؛ أي أنت تريد أن تحفظ آيات أحاديث الأحكام، ممكن لم تحفظها لكن تستطيع أن يكون عندك المرجعية أنك تستحضرها وتأتي بها، فإن تعارض في سن معينة الحفظ مع الفهم فلابد أن تقدم الفهم وتستعين بضبط الكتاب في الحفظ. لكن لو نتكلم عن التأسيس فلا شك بأن الحفظ مهم جدًا في بداية الأمر، ويجعلك

تستحضر بعد ذلك استحضارًا قويًا يفرق بينك وبين غيرك لأنك متذكر، مستحضر الآيات، مستحضر الأحاديث، فتستطيع أن تستنبط منها أيضًا أحكامك.

قال:

(وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)

طبعًا الإمام هنا بيشير للحديث الذي بيَّن فيه النبي ﷺ: **[مُروا أولادَكم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشرٍ، وفرِّقوا بينَهم في المضاجعِ]**، وكأنه هنا يبين لك المنهجية في التربية عن طريق حديث النبي ﷺ ؛ أنك تأمر بسبع للصلاة مع أنه غير مكلف لكن جاء الأمر أنك تأمره بالصلاة، بل وتضربه عليها لعشر سنين إن لم يصلي لأنه أيضًا دون التكليف، ويفرق بين الذكور والإناث في المضاجع؛ أي عند التمييز مع أنهم لم يكلفوا أيضًا، وكل هذا إلى أن يأت البلوغ. وعلامات البلوغ هي إنبات الشعر الخشن، والإحتلام، والحيض للأنثى، وبلوغ الخامسة عشرة، فلو بلغ الذكر خمسة عشرة سنة وكان لم يحتلم ولم ينبت له شعر فيكون قد بلغ، والبنت إذا بلغت خمسة عشرة عامًا قمريًا طبعًا ولم تكن حاضت ولا نبت الشعر ولا احتلمت فيعد ذلك بلوغ.

قال:

(فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، قَبْلَ بُلُوغِهِمْ، لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ)

انظروا.. لتعرفوا لماذا للوالدين أن يحرصوا جدًا على ذلك، فهذا في السلف وفي العُرف، بتعليم الصغار هذه الأمور مبكرًا، كأن يتعلم الصلاة، وطبعًا هذا يرجع لسنة النبي ﷺ أنه علمك الصلاة على سبع وتضرب على عشر، وأيضًا تعلمه الصيام في وقت قليل، تعلمه الآداب والطهارة وهذه الأمور، كل هذا قبل البلوغ، لماذا؟ حتى لما يأتي البلوغ يكون اعتاد، فالبلوغ ممكن يأتي في لحظة، البنت ممكن تحيض في ساعة تكتشف نفسها حائض في ساعة وبدون مقدمات، والولد ممكن يجد نفسه في يوم أصبح الآن من أهل التكليف أصالة. فلذلك كان السلف يعلمون ابنائهم هذه الأمور حتى يعتادون عليها، وليس العلامات الظاهرة فقط الصلاة والصوم، بل يعلموه الأمور القلبية؛ الخوف من الله، الوجل، الدعاء، الرجاء، التوكل، الاعتماد، فيزرع فيه ذلك، ويعلمه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، حتى لما يأتي البلوغ يكون القلب قد شرب لأنه

سيُحاسَب، أصبح الآن مسؤول عن ما سيتم. يقول: **(وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ)**، لذلك بعض الناس للأسف تقول لك البنت مازالت صغيرة عندما تبلغ سألبسها الحجاب! والولد مازال عيل صغير بعدين إن شاء الله أقول له كيف يصلي! هذا خطأ، وما بالك بطلاب العلم. فهذا خطأ، أنت لابد أن تجهزه طبعًا في العمر الذي يسمح أنه يفهم، لذلك نحن بنعلم الصلاة على السبعة. وأيضًا الخطأ أنك تأتي بالولد معك مسجد وعنده سنتين وثلاثة؛ ليس خطأ بالمعنى لكن هو لا يُحسن المسجد، فممكن يفسد في المسجد ويفسد في الميكروفونات وفي المصاحف ويجري ويصرخ ويُلبِّس على الناس، ولا تقول لي أن النبي ﷺ حمل أُمامة ومر الحسن والحسين وهو يخطب فنزل، هذا حدث حقيقة، لكن المهم أن الذي ستأتي به المسجد يعلم ويميز، والعلماء كرهوا أن يأتي بدون المميز في المسجد لأنه سيفسد ويشوش على الناس، وهو لن يستفيد ولن يدرك في هذا الوقت. لذلك النبي ﷺ لماذا قال علموهم لسبع؟ لأن هذا بداية وقت الادراك، فقبل ذلك هو ليس مطالب أنك تفعل معه ذلك، لا خليه يعيش طفولته – كما يقال – ولكن تغرز فيه أشياء ممكن إيمانيات معينة أن الذي أعطاك هذه هو ربنا، أن ربنا هو الذي أنعم علينا بالرزق هذا، بالأشياء هذه، بكذا، وتظل تغرز في قلبه التعلق، وأن هذا خطأ لأن ربنا لا يحب ذلك منا، وهذه الأمور التي يحرص عليها في تربية الأطفال حتى لما يصل إلى سن التكليف قد علم ذلك.

قال:

(وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سبحانه وتعالى عَلَى الْقُلُوبِ: عَمَلًا مِنْ الِاعْتِقَادَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنْ الطَّاعَاتِ)

هو سيبين في الكتاب ذلك؛ أن الله فرض اعتقادات علينا، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وفرض أيضًا علينا أعمال أخرى كالصلاة والصوم والزكاة، وسيبينه في الكتاب.

(وَسَأُفَصِّلُ لَك مَا شَرَطْت لَك ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا، لِيَقْرَبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ)

هنا طبعًا المؤلف – عليه رحمة الله تعالى – قال بحول الله وقوته، واستعان بالله بذلك، وقال: **(وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ)** فجعل الاستخارة من الله والاستعانة بالله عز وجل، وأنه لا حول ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم؛ وهكذا أهل العلم في كل تصانيفم لما يكتبون في التصنيف والتأليف يرجعون ذلك أن الاستعانة تكون بالله، والحول والقوة لا تكون إلا من الله عز وجل. قال

تعالى:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]، فلابد أن المرء في كل عمل يقوم به أن ينسب ذلك إلى الله؛ الاستعانة من الله والتوكل يكون على الله عز وجل، وأن الاجتهاد والتوفيق والسداد لا يأتيك إلا من عند الله، الإعانة لا تكون إلا من عند الله عز وجل.

ثم ختمها بالصلاة والسلام على النبي ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، ختمها بالصلاة على النبي ﷺ ، وهو ختم المقدمة فقط لأنه لم يشرع في مقام التأليف، لكنه أراد أن يختم هذه المقدمة بعد أن حمد الله بالصلاة على النبي ﷺ ، ولا شك بأن النبي ﷺ هو الذي جاء لنا بهذا الدين، وهو الذي معروفه علينا كبيرًا وعظيمًا لأنه أوصل إلينا هذا الدين، والله اصطفاه من خلقه ليكون هو الرسول، والنبي ﷺ يقول: **[ومن صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه]** فلذلك نحن نكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ لأن معروفه علينا عظيمًا جدًا بمنة الله عز وجل علينا بإرساله لهذا الرسول وبعثته بهذه الرسالة، وقد بلغ النبي ﷺ كل شيء للأمة ومات ولم يترك شيء إلا وقد بلغه، فلذلك نحن نصلي على النبي ﷺ ونسلم عليه نقتفي أثره وما وصلنا من سنته.

نقف عند باب: **(مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ)**.

المحاضرة الثالثة

كنا قد ذكرنا فيما سبق المقدمة، واليوم نبدأ إن شاء الله ببداية المتن الذي عقده المؤلف، وهو من أول جزء، إن شاء الله نبدأ؛

بَابُ: مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

هذا الباب الأول من كتابه، وقلنا المؤلف كان قد ألف كتاب يسمى (الرسالة) وهو على الفقه المالكي، وبدأه أولًا بمقدمة في العقيدة التي نحن ندرسها الآن، ثم ذكر أمور خاصة بأمور الشريعة والمعاملات والعبادات على الفقه المالكي. فبدأ بعد الخطبة الأولى والمقدمة أول شيء الباب الأول، فقال: (بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ)، فهذا باب ما يلزم المرء اعتقاده بالقلب، والاقرار به باللسان، والعمل به بالجوارح، فكأنه يريد أن يقول أن مسائل الدين إما مسائل علمية اعتقادية، أو مسائل عملية. **فالعلمية الاعتقادية:** هي التي تتعلق بالعقيدة، تتعلق بالإيمان بالله باسمائه وصفاته، بالملائكة، بالرسل، بالكتب، باليوم الآخر، بالقدر خيره وشره، بمسائل الغيبيات، فهذه تسمى المسائل الاعتقادية، ولابد فيها من التصديق والاعتقاد الجازم والإقرار بها، وأن يظهر ما في القلب على اللسان أيضًا، لأنه لا يمكن أن تُظهِر ما في قلبك إلا باللسان أو بالعمل بالجوارح، وهذه كلها تكلمنا عنها الاسبوع الماضي.

أن الإيمان قول وعمل، وقلنا قول القلب وعمل القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح؛

وقول القلب: أي اعتقاد القلب؛ أن يعتقد، يُصدِّق؛ التصديق الجازم المستلزم للقبول والإنقياد والإذعان لله عز وجل وشرائعه، وهذا الاعتقاد لابد يكون معه نطق باللسان – وهي الشهادتين – لأنه لا يتحقق دخول المرء في الإسلام إلا بالشهادتين، ولو اعتقد فقط بقلبه بدون أن ينطق بالشهادتين فليس بمسلم، وإن نطق بالشهادتين ولم يعتقد بقلبه فليس بمسلم لأن هذا هو المنافق وإن كان ظاهرًا لنا إسلامه لكن باطنًا هو له الكفر، والله يعلم ذلك، لكن أقصد أقول حكمه وإن نطق بالشهادتين ولم يعتقد بقلبه فهو مسلم ظاهرًا لكن هو منافق باطنًا. والعكس؛ إن اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق بالشهادتين فليس بمسلم، فأبو طالب عم النبي ﷺ كان يعتقد بأن النبي على حق، وأن الإسلام حق، لكنه لم ينطق بالشهادتين، فهو كافر مُخلَّد في نار جهنم. إذًا لابد أن يعتقد القلب وأن ينطق بالشهادتين، فإن اعتقد بقلبه ونطق بالشهادتين فهو مسلم.

إذًا لابد أن ننتبه لمسألة مهمة؛ أن النطق بالشهادتين هو الواجب؛ **أول واجب على العبد أن ينطق بالشهادتين مع اعتقاد القلب**، لماذا أنا أركز في هذه؟ لأنك ستجد بعد ذلك طوائف أخرى مبتدعة قالوا أن أول واجب ليس النطق بالشهادتين، التوحيد، بل أول شيء هو النظر والتفكر! بل بعضهم قال أول شيء أنك تشك، وبعد أن تشك تعتقد فتكون مسلمًا! كل هذا باطل، فأول شيء لابد أن يفعله المرء للدخول في الإسلام هو الشهادتين، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [النحل:36]، و {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ} [الأنبياء:25].

إذًا التوحيد هو أصل دين الرسل، والتوحيد لابد أن يكون بالنطق بالشهادتين، فأول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : [**أُمِرتُ أن أُقاتِلَ النَّاسَ..**] حتى ينظروا؟! حتى يشكوا؟! حتى يتفكروا؟! لا، [**حتَّى يَشهَدوا أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ**]، إذًا مدار الأمر أن لابد من الشهادة، هذا هو المطلوب من المكلف أول شيء.

والشهادتان متلازمتان؛ لابد بلا إله إلا الله ومحمد رسول الله، الأولى لا تكفي عن الثانية خاصة لمن كان موحدًا وليس مسلمًا، لأن هناك طائفة من النصارى تقول بأن عيسى عليه السلام عبد ليس إلها ولا تثلث، لكن تقول بأن محمد للأميين، للعرب، ليس لعامة الناس، فهم يوحدوا لا يشركون في الأولى، لكنهم لا يؤمنون برسالة النبي ﷺ ، فهو ليس بمسلم أيضًا، فلابد أن تكون الشهادتين معًا؛ لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ . ولا يدخل الكافر الأصلي في الإسلام إلا بهما، حتى النبي ﷺ لما أرسل معاذ إلى اليمن قال: [**إنك تأتي قومًا من أهلِ الكتابِ، فادعُهم إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ**]، لابد الإثنين معًا، مع أنهم أهل الكتاب، وطبعًا هم كانوا بيشركوا لأنهم كان عندهم تثليث أيضًا. وفي رواية: [**أوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ**]،على أنهم كانوا يقرون بالألوهية لكن لا يقرون برسالة النبي ﷺ. و[**بُنِيَ الإسلامُ على خَمسٍ**] كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أوله [**شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ،**] وجعل الشهادتين أصلًا واحدة لا تنفكان، لابد من الشهادتين حتى يدخل المرء في الإسلام.

وقلنا أول واجب على العبد هو التوحيد لأن أهل الكلام والفلسفة والمنطق يقولون أول واجب هو النظر وأنك تتفكر في الأدلة الكونية أولًا وتتدبر الآيات والشمس والقمر – وهذا ليس إشكال فيه أنك تتدبر – كما سيأتي– لكن هم قالوا الواجب الأول أنك تنظر، وبعد أن تنظر تعتقد، وبعد ما تعتقد تسلم، بل بعضهم قال أنك تنظر ثم تشك، ترفع الشك باليقين فتعتقد فتشهد. كل هذه المراحل باطلة، لا يمكن أن يكون هذا الذي طلبه الله عز وجل! فهذا كله ليس موجود أصلًا في شرعنا، لكن أول واجب أنك تأتي بالشهادتين.

أما أنك تنظر في آيات الله وفي الكونيات فهذا مستحب لأن الله أمرك بذلك، قال:{أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الأعراف:85]، وأيضًا قال سبحانه:{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِي

أَنفُسِهِمۡۚ } [الروم:8]، وقال تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ} [محمد:24]. إذًا نعم جاء الحث أنك تنظر في آيات الله الكونية، تنظر في كيف الله وضع الجبال على الأرض، وكيف الشمس تشرق وتغرب، كيف تجد القمر، تعاقب الليل والنهار، كيف الماء يخرج من الأرض، كيف يجتمع البحر مع النهر معًا في مصبات، نعم الله عز وجل قال:{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [آل عمران: 191] . هذا نعم أهل العلم وأهل الدين وأهل الإيمان ينظرون في الآيات الكونية ويتفكرون فيها، وينظرون في الآيات الشرعية ويتفكرون في علة الصلاة، والصوم، والزكاة، والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من أعمال البر، والحج والعمرة، فأنك تتفكر في الآيات الكونية وتتدبر الآيات الشرعية هذا يزيد من إيمان المرء.

أنت ممكن تجلس في مكان خالي وتنظر.. سبحان الذي جعل هذا الكون بهذا النظم؛ تجد مثلًا بحار بتجري أو نهر، وتجد جبال حولك، شمس تغرب وتشرق، تقول عجبًا لصانع هذا الكون، فيزداد قلبك إيمان، لأنك لابد تقول ما يمكن أن يفعل ذلك أحد إلا وهو إله بحق، فلابد أنك تعبده وتتقرب إليه. فالنظر في هذه الآيات الكونية نعم تقوي الإيمانيات. وأيضًا دلالة على أنك تستطيع أن تكلم أهل الكفر وأهل الإلحاد؛ أن كيف كل هذا النظم يحدث من تلقاء نفسه أصلًا!

والتفكر في الآيات الشرعية أيضًا تزيد إيمان المرء، لكن لا تقول أن هذا أول واجب عليك، بل أول واجب أن تقول الشهادتين ثم بعد ذلك يزيد إيماني بالتفكر في الآيات الكونية والآيات الشرعية. لذلك قال الشيخ – رحمة الله عليه –: (بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ) قال: **(مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ)** ويقصد الديانات هنا المسائل التي لابد أن تعتقدها؛ فأول شيء سيخبرنا به الآن من واجب أمور الديانات – الذي هو الاعتقادات بالنطق والاقرار –

قال:

(مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ)

إذًا من واجبات أمور الديانات الذي يعتقده القلب لابد وينطق به اللسان، قال: **(أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ)**، وهو التوحيد "لا إله إلا الله"، وهذا أصل الدين، الله عز وجل ما أرسل الرسل إلا أن يدعوا إلى إله واحد، قال تعالى:{ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ} [البقرة: 163] .

لكن ما معنى الإله؟ الإله هو المألوه؛ أي المعبود

وما معنى (لا إله إلا الله)؟ لا معبود بحق إلا الله

- ما رأيكم لو قلت أن "لا إله إلا الله" معناه لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله، لا صانع إلا الله؟ هل يصح هذا التعريف أم لا يصح؟

"لا معبود بحق إلا الله" هذه معنى "لا إله إلا الله" الذي هو توحيد الألوهية، إذًا لما أقول لك: لا قادر إلا الله، لا خالق إلا الله فأكون جعلت تعريف لا إله إلا الله كأنه في الربوبية فقط، وبالتالي تعريف ناقص، لو قلت لك أن لا إله إلا الله معناه لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله فقد جعلت "لا إله إلا الله" هو توحيد الربوبية فقط، وهذا الذي كان بيقوله مشركوا العرب، قال سبحانه وتعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [الزمر: 38] ، إذًا الشرك عندهم لم يكن في الربوبية، بل كان الشرك في الألوهية؛ كانوا بيذبحوا للأصنام، وينذرون، ويجعلونهم وسطاء، ويعبدونهم من دون الله.

إذًا معنى أن تقول "لا معبود بحق إلا الله" إذًا أنت تقصد توحيد العبادة – الألوهية – أنك تفرد الله بالعبادة، بالألوهية، وهذا يستلزم أنك أفردته بالربوبية، حتى لا تظن أنك لو قلت ذلك فقد ضيعت الربوبية!، لا، لأنك أنت لما أفردته بالعبادة فذبحت له، ونذرت له، وصليت له، وأفردته بالعبادة، وألهته وذللت وخضعت وخفت ورجوت، **فهذا معناه أنك أنت أعطيته مقام الربوبية بالاستلزام.**

لكن العكس لا يصح، فأنت لو قلت لا قادر على الاختراع إلا الله، صحيح، لا خالق إلا الله، لكن لما قيل لك: اعبد الله، اذبح لله فقط، لا، ذبحت للولي، صلي لله فقط صليت للميت، لا تخف إلا من الله خفت من المقبور أو من العالِم أو من غير شيء، إذًا أنت هنا ما وحدته في العبادة وإن كنت أفردته بالربوبية. إذًا هذا التعريف خطأ وهذا موجود في الكتب عند بعض الطوائف الذين لا يهتمون بتوحيد العبادة ولا يقولون بشرك العبادة، يجعلون المسألة في الربوبية فقط، فتجده لما يُعرِّف "لا إله إلا الله" يقول لك لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله، لا صانع إلا الله، وهذا خطأ لأنه أخرج تعريف الألوهية من توحيد العبادة وجعلها في الربوبية فقط.

إذًا هذه أساسيات لابد أن تعتقدوها لا أن تحفظ التعريف الأول أنه لا معبود بحق إلا الله فقط، وعندما قلت لكم التعريف الثاني قلتم "يصح"، أو حتى قلتوا "لا يصح" لكن لا تعرفوا لماذا لا يصح، وهذا الذي نريد أن نؤصله الآن حتى لا تكون المسألة سماع وحفظ فقط، بل لابد أن تفهموا معنى ذلك.

وطبعًا كلمة التوحيد جاءت في القرآن في أكثر من موضع؛ منها:{ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} [محمد: 19] ، ومنها أيضًا: { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ} [البقرة: 255] ، و{شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ} [آل عمران: 18] ، و{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأنبياء: 87] أتت في مواضع كثيرة جدًا في القرآن.

ثم قال الشيخ بعد ذلك:

(وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ)

بعد أن أقررت بألوهية الله، وأنه لا معبود بالحق إلا الله المستلزم ذلك للربوبية فندخل في الأسماء والصفات؛ أن هذا الإله لا شبيه له؛ هذه الأولى، ولا نظير له؛ وهذه الثانية، ولا ولد له، لا والد له، ولا

صاحبة له. كل هذا من المتن طبعًا. وكل هذا الذي قاله المؤلف له أصول في القرآن؛ قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى: 11] ، هذا بالنسبة لـ "لا شبيه له"، هذا أول شيء. و{مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ } [المؤمنون: 91] لا ولد له ، {أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۚ } [الأنعام: 101] ، إذًا ليس له ولد وليس له صاحبة، وقال تعالى: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص: 3-4] ، فهنا نفى الله عز وجل الولد والوالد، ونفى الكفء، ونفى النظير والشبيه، وهذا كله يتضمن كمال الله عز وجل، وكما قال سبحانه وتعالى في آية الكرسي: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ} [البقرة: 255] إلى آخر الآيات التي أفرد الله عز وجل بعض الأسماء والصفات له ونفى بعض الصفات التي فيها نقص.

وقال: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ} [الإخلاص: 1-2] ، (الأحد) لا نظير له ولا شريك له، (الصمد) تصمد إليه الخلائق، أو بعضهم قال: الذي لا جوف له. وكل هذا الذي قاله أن الله عز وجل لا شبيه له، لا نظير له، لا كفء له، لا ند له سبحانه وتعالى، وكلها جاءت لها آيات. ومنها أيضًا: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [مريم: 65] ، و {وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص: 4] هذا في الكفء، وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا } [البقرة: 22] ، إذًا لا تجعل مع الله ندًا له أي شبيه له، أي مثيل له، هذا قد جعلت مع الله أندادًا.

وكل هذا النفي الذي أتى به المؤلف؛ لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد، ولا صاحبة، كل هذا بينفي عن الله عز وجل الشبيه والمثلية لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، أي أن ذات الله ليست كذات المخلوق، أسماء الله عز وجل؛ الله كريم هو الكريم سبحانه، وهناك كريم من البشر أيضًا، لكن أسماء الله عز وجل ليست كأسماء المخلوق. وصفات الله؛ ربنا هو السميع البصير، وأيضًا {هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا} [الإنسان: 1-2] ، فجعل الإنسان سميع بصير، والله هو السميع البصير، لكن سمع وبصر الله ليس كسمع وبصر المخلوق. إذًا لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ند ولا كفء له، هذا نفي عن الله عز وجل المشابهة والمثلية والكفئية والندية؛ سواء في الأسماء، سواء في الصفات، كذلك في الأفعال، أفعال الله ليست كأفعال المخلوق.

والله عز وجل أثبت في البعض ونفى في البعض؛ قال: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ} هذا اثبات {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ} [البقرة: 255] هذا نفي، فدائمًا الله يثبت الكمال وينفي عن نفسه النقص سبحانه وتعالى لكماله أيضًا، فتجد اثبات وتجد نفي، لكن كثيرًا في المدح تجد الاثبات في القرآن والسنة أن الله يثبت كثيرًا ويفصل؛{هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ} [الحشر: 22-23] ، اثبات بتفصيل، تعدد الأسماء والصفات المثبتة،

كمال على كمال، والنفي يكون قليلًا: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} [الشورى: 11] غير مفصلة، ففي الاثبات بيفصل ليزيد الكمال على الكمال، أسماء حسن وصفات، وفي النفي لا، {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} [الشورى: 11] ، و {وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ} [الإخلاص: 4] هذا نفي مجمل؛ ليس كمثله في كل المثلية، غير لازم أن يقول ليس كمثله في صفاته وأفعاله، لا، تجد أن في النفي يجمل وفي الاثبات يفصل. لذلك تجد أن نصوص الاثبات في القرآن أكثر، الله يثبت أكثر مما ينفي لأن هذا في حقه مدح أكثر سبحانه وتعالى.

قال:

(وَلَا شَرِيكَ لَهُ)

وهنا نفى الشرك بالكلية؛ أي لا شريك له في الربوبية، في الألوهية، لا شريك له في خصائصه، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله، وكل هذا لا شريك له سبحانه وتعالى، {ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ} [الفرقان: 2] ،" لم يكن له شريك في المُلك" أي أن المُلك كله لله عز وجل؛ لا أحد يشارك الله في المُلك سبحانه وتعالى،{قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ} [سبأ: 22] أي لا يملكون أصلًا ولا مثقال ذرة، {وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ} أي ليس لهم مع الله شراكة في شيء؛ الذين تدعونه أنتم من دون الله لا يملكون أصلًا شيء، كل الملك لله عز وجل، وكذلك نفى بعد ما قال هم لا يملكون شيئًا قال: {وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ} أي لا تظنون أنهم يشتركون مع الله في شيء، ليس كأهل الدنيا الذين يعملوا شركة يكون لهذا النصف ولهذا النصف، أو لهذا الربع ولهذا الثلاث أربع! لا، في الكون الله إله واحد، لا شريك له، ولا شبيه في اسمائه ولا صفاته.

قال:

(ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ)

هو يذكر اسمين من أسماء الله عز وجل، وهو الأول والآخر، هذه من أسماء الله الأول والآخر، قال تعالى:{ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ} [الحديد: 3] ، فالأول كما كان النبي ﷺ يدعو: **[أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ]**. كأن المؤلف يريد أن يقول أن من الإيمان بالله عز وجل أنك تؤمن أن الله هو الأول؛ أي ليس لأوليته ابتداء. فكل المخلوقات كنا عدم ثم خلقنا الله، لنا بداية ثم لنا نهاية سنموت ثم يبعثنا الله يوم القيامة، إذًا لنا ابتداء ونهاية، لكن الله عز وجل ليس كالمخلوق؛ هو الخالق سبحانه وتعالى؛ ليس له أولية أي ما تظن أنه يوجد ابتداء لله، لأن معنى أن هناك ابتداء كأنه لم يكن إلهًا ثم كان إلهًا – حاشاه ذلك – وليس له نهاية، لذلك قال: **[أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ]**، فهذان الاسمان – الأول والآخر – يدلنا على دوام الله أزلًا وأبدًا؛ وهذا يسمى في الكتب: الله "واجب الوجود"، أي الذي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم.

و"ممكن الوجود" هذا هو المخلوقات، أي ممكن يكون موجود وممكن يكون غير موجود، الله اللي بيقدر، لكن "واجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، لا يجوز عليه حدوث ولا العدم، فلم يسبق وجوده عدم ولا يلحق وجوده عدم، فهو المتقدم على كل شيء والباقي بعد كل شيء سبحانه وتعالى. وطبعًا نحن نقول "واجب الوجود" هذا من باب الإخبار؛ أي بنخبر بالحقيقة وليس تسمية، هذا ليس اسم، لكن نحن بنخبر بماذا يعني "واجب الوجود".

قال:

(لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصفون)

أي لا يمكن لأحد أن يدرك كُنه صفات الله عز وجل، (وهو التكييف)، قلنا "الله سميع" طيب كيف يسمع؟ **انتبهوا.. هي لها كيفية لكن نحن لا نعلمها.** طيب لله يد، { يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ} [الفتح: 10] نعم لكن لا نعلم الكيفية، لكن لها كيفية؟ نعم لها كيفية، لابد أن تفهم ذلك، لذلك التكييف ممتنع عند أهل السنة والجماعة؛ أنك تُكَيِّف الصفة. طيب لله عينان؟ نعم، قال النبي ﷺ : **[وإنَّ ربَّكم ليس بِأَعْوَرَ]**، لما سألوه عن المسيح الدجال. إذًا لله عينان سبحانه وتعالى، وله يدان، ولهم كيفيات نعم لكن لا نعلم الكيفية. لذلك قال: (لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصفون) أي كأنه يُمتنع أنك تكيف صفات الله، لأنك حتى تكيف صفة لابد إما أن ترى الله، أو ترى مثيل لله، أو أحد يرى الله فأخبرك، والثلاثة منتفين؛ لا أنت رأيت الله عز وجل، ولا هناك مثيل لله {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} [الشورى: 11] ، ولا أحد رأى الله فأخبرنا عن صفاته، فأصبح التكييف ممتنع، غيب، لكن لابد نثبت حقيقة أن لله صفات لكن هذه الكيفية لا يمكن أن نعرفها.

قال:

(ولاَ يُحيطُ بأمرِه المُتَفَكِّرونَ)

لذلك دائمًا يقال: "تَفَكَّر في آلاء الله ولا تتفكر في ذات الله"، كما قال النبي ﷺ : **[تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله]**، وهذا الذي بيصيب البعض بالوساوس؛ يأتي له الشيطان ويظل يفكر في ذات الله؛ طيب هو ربنا ما صفته؟ كيفيته؟ والبعض يقول: {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} طيب هل هذه تدل على الجنس ذكر أم أنثى؟ – حاشاه– كل هذا جاء الشرع نهانا. لكن تفكروا في آيات الله، في مخلوقات الله، لما ترى آيات الله الكونية والشرعية وتتفكر يعظم في قلبك الله لأنه هو الذي خلق ذلك، ولا تتفكر في ذات الله لأنك لا تعلم ذات الله، بل هذه لابد الشيطان يأتي ليُلبِّس عليك في ذلك، لأن سيؤدي ذلك إما أن تشبه أو تنفي، تشبه لأن هناك ذات فتريد أن تتخيلها فتشبه، أو تريد أن تنزه الله فتعطل فتنفي الذات والتي فيها، وكل هذا ما يصح أصالة، لذلك قال النبي ﷺ : **[تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله]**، لذلك نحن نُهينا بالتفكر في ذات الله عز وجل، ولكن أُمرنا أن نتفكر في خلق الله الدال على ربوبيته، وعلى ألوهيته، على قدرته، على علمه، على حكمته، هذه تتفكر فيها لما ترى الكون كيف الناس

كلها تستيقظ الصبح ربنا يرزق هذا ويرزق هذا، ويعطي هذا ويعطي هذا، ولا تنفد خزائنه منذ أن خلق الخلق إلى قيام الساعة وهو يرزق من يشاء، ويعطي ويمنع، وتتقلب الأمور، وتجد أحوال الناس تتغير، كل هذه لما تتفكر فيها تدل على قدرة وعلم وحكمة الله عز وجل، وهذا الذي تحتاج أنك تتفكر فيه فيزداد الإيمان في قلبك، ولا تنشغل بذات الله وتتفكر في ذات الله لأنك لن تصل فيها إلى شيء.

قال:

(يَعتَبِرُ المتفكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ ذاته)

وهذه التي قلناها؛ بأن المتفكرون يعتبرون بآيات الله الكونية، ويهتدون إلى معرفة الله بالتفكر في المخلوقات والتدبر في الآيات، لذلك حتى تصل لمعرفة الله لك طريقان:

- طريقة أنك تتفكر في آياته الكونية وتتدبرها؛ وهذا باب عظيم جدًا؛
- والطريق الآخر أن تتدبر آياته الشرعية؛ وهي الشريعة التي نزلت.

قال:{ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ} [آل عمران: 190]، كيف؟ قال: {ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [آل عمران: 191] ، هذه عبادة أنك تتفكر في آيات الله وفي مخلوقاته وفي آياته الكونية وفي آياته الشرعية، قال تعالى:{ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21] ، وقال تعالى: {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ} [الروم: 22] ، وقال تعالى: {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [الروم: 23] ، وقال تعالى: {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 24] ، وقال تعالى:{ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ* وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 20-21] . انظر... حث من الله عز وجل على أن نتفكر، بل من يتفكر يأتي في قلبه اليقين والسماع، ويأتي فيه البصيرة إلى غير ذلك.

قال: (ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ ذاتِه)؛ حقيقة الذات ألا تتفكر فيها لأننا نؤمن إيمانًا صادقًا يقينًا بأن ذات الله لا تشبه ذات المخلوقين، أو لا تشبه أي ذات أصالة، وأن الله قائم بنفسه، غني بذاته عن كل شيء.

قال:

(ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاّ بما شاء وَسِعَ كُرْسِيُّه السّموات والأرض، ولا يؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ)

هذا طبعًا جزء من آية الكرسي، قال: **(ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه)** أي أن العباد لا يحيطون بشيء من علم الله عز وجل، ممكن يعلمون بعض العلم الذي يُعلمهم الله عز وجل، لكن لا يحيطون بعلم الله الإحاطة المطلقة، لا يمكن أن تحيط بعلم الله عز وجل. فالخضر لما قابل موسى عليه السلام يعلمه والقصة المعروفة أن موسى قال "أنا أعلم أهل الأرض" فالله عاتبه على ذلك، قال لا، بل هناك عبد من

عبادي الخضر فقال أريد أن أتعلم، فذهب له فلما وجد الخضر طائر جاء فنقر نقرة في البحر فقال لموسى: **[ما نَقَصَ عِلمي وعِلمُكَ مِن عِلمِ اللهِ إلَّا كَنَقرَةِ هذا العُصفورِ في البَحرِ]**، خرج بنقطة مياه، فهو يبين له سعة علم الله عز وجل، وأن مهما بدا لأحد من المخلوقين أنه عنده علم فلا يمكن أن يحيط بعلم الله عز وجل.

والإحاطة أنك تحيط بالشيء، فأنا ممكن أن أرى العمارة من الخارج، لكن هل أنا أحيط بالعمارة؟ فحتى أحيط بالعمارة فلازم أطلع فوق بطائرة مثلًا أو بشيء فوق العمارة أو مكان عالي حتى أرى الأربع أركان، هذه هي الإحاطة، أن أرى العمارة مثل المجسم كله. لكن لو رأيت العمارة من أي مكان ممكن أقول أنا أحيط بشيء من العمارة لأني أراها، لكن الإحاطة هو الشيء بالكلية، وهذا لا يمكن لأحد أن يحيط بعلم الله، لكن ممكن أحد يأخذ علم من علم الله، نعم، فالخضر كان عنده علم، وموسى عليه السلام كان عنده علم، والله عَلَّم النبي ﷺ ، بل قال تعالى:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا} [البقرة: 31] ، فربنا هو الذي عَلَّم آدم الأسماء كلها، وهذا الجزء الذي أراده الله عز وجل أن يعلمه لآدم، لذلك قالت الملائكة لله:{ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ} [البقرة: 32] ، من الذي عَلَّم الملائكة؟ من الذي عَلَّم آدم؟ من الذي عَلَّم الرسل؟ هو الله عز وجل.

قال: **(ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاَّ بِما شاء)** وهذ يدل على أنك لا تظن أن العلم هذا بيأتيك من فراسة من نفسك، ولا اجتهاد، ولا فقه! لا، هذا توفيق وتسديد من الله أن يعلمك. **انتبهوا لهذه المسألة..** ممكن يأتي الشيطان يغركم أنتم تعلمتم لأنكم بتذاكروا، وبتحضروا الدروس،... لا، ما تظن هذا، فهذا توفيق محض وتسديد من الله أن يقذف الله عز وجل لك العلم، ممكن بعض الناس تجلس في المجالس وطبعًا هي النية التي تتحكم هنا في المسألة، لكن الله عز وجل هو الذي يقذف العلم في قلبك ويرزقك الفهم، {فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ } [الأنبياء: 79] ، وهو الذي عَلَّم داوود وفَهَّم سليمان وعَلَّم آدم الأسماء، الله عز وجل هو الذي يعلمك، لا تظن بأنه محل اجتهاد من نفسك فقط، أو ثقة في نفسك! لا، أنت لابد أن تنسب العلم كله لله عز وجل، قال تعالى: {وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا} [النحل: 78]، أنت بتخرج جاهل أصلًا. لذلك أهل الجزيرة يسمون الأطفال "جُهَّال" لماذا؟ لأنه أصلًا عند العرب الطفل هو جاهل لا يعلم شيء، فيقول لك: "الجُهَّال عندي يريدون كذا"، فبعض الناس تسمع لا يفهم ماذا يقصد؟! فهو يقصد أطفاله. فالجُهَّال هم الأطفال لأنهم صغار ما يعلمون شيئًا أصالة.

ثم قال: (وَسِعَ كرْسِيُّه السَّموات والأرض):

<u>والكرسي</u>: بعضهم قال "موضع قدمي الرحمن"، وبعضهم قال "العرش"، وقول ثالث "العلم" ونُسِب العلم لابن عباس والحق أنه لم تثبت هذه النسبة ولا يصح أن يكون الكرسي بمعنى العلم. وفي اللغة لا يصح تفسير الكرسي بالعلم. لكن بذلك كأن هناك ثلاث تفسيرات؛ موضع قدمي الرحمن (وهو الراجح) لأنه مخلوق عظيم جدًا وهذا الذي عليه جمهور السلف، والبعض قال أنه العرش، والبعض قال أنه العلم. لكن

يدل ذلك على عِظَم هذا الكرسي وسعته لله سبحانه وتعالى، **[ما السمواتُ السبعُ في الكرسيِّ إلا كدراهمَ سبعةٍ أُلقيت في ترسٍ]**، انظر حجم السماوات السبعة هذه كلها بالنسبه للكرسي – وذلك لعِظم الكرسي موضع قدم الرحمن – إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس، فلو وضعت في ترس دراهم سبعة ماذا ستكون؟!

(ولا يؤُودُه حفظُهما): أي لا يشق على الله عز وجل ولا يعجزه حفظ السماوات والأرض وما فيهن،{إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ} [فاطر: 41] ، أي لا يمسكهما أحد من بعد الله عز وجل. قال "ولا يؤُودُه حفظُهما" أي لا يشق على الله عز وجل لكمال قدرته سبحانه وتعالى.

نقف عند هذا الجزء، سيذكر بعد ذلك أسماء الله وصفاته؛ **(العالِمُ الخبيرُ، المُدَبِّرُ)** هذه إن شاء الله نفردها، نكتفي بهذا القدر.

المحاضرة الرابعة

هذه هي المحاضرة الرابعة في شرح هذا المتن المبارك، وقفنا عند ذكر المؤلف لبعض أسماء الله عز وجل وصفاته؛

فقال رحمه الله تعالى:

(العالِمُ الخبيرُ، المُدَبِّرُ القَدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ، وَأنّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعلمه،خَلَقَ الإنسانَ ويَعلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أَقرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ، وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاّ يَعلَمُها، ولاَ حَبّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبين)

هذه القطعة ذكر فيها المؤلف عدة أسماء لله عز وجل من اسمائه الحسنى، وبعضها أسماء – كما سيأتي – وبعضها من باب الإخبار عن الله عز وجل. وبدأ بقوله:

(العالِمُ)

والعالِم هو الله عز وجل، وجاء العليم، كما جاء من قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال:75] ، فالله عز وجل يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون؛ علم **ما كان** أي كل ما كان في القرون الماضية يعلمه الله وقد قصه علينا في القرآن، **وعلم ما سيكون** أي شيء سيكون مستقبلًا يعلمه الله عز وجل. **ويعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون** أي الأشياء التي لم تحدث لو حدثت أيضًا فكيف ستكون:

النوع الأول: الممكن: قال تعالى: {وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ} [الأنعام:28] ، هم سألوا الله عز وجل أن يعودوا إلى الدنيا، والله بيَّن للكفار لما عذبوا في جهنم فقال لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، والله عز وجل لن يرد أحد إلى الدنيا بعد أن مات، وهذا من الممكن؟ نعم هو ممكن لكن الله لا يفعله لكن بيَّن حتى لو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهو عنه؛ إلى كفرهم؛ فهذا الممكن.

النوع الثاني: المستحيل: قال تعالى: {لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ} [الأنبياء:22] ، أي لو كان في الكون آلهه إلا الله لفسد الكون؛ هذا يريد الخير وهذا يريد الشر، هذا يريد الظلمة وهذا يريد النهار، وهذا مستحيل أن يكون هناك آلهة غير الله، لكن هذا علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، هذا يعلمه الله عز وجل.

فالله عز وجل يعلم كل شيء، يعلم ما تخفي الصدور وما يعلنه المرء، قال تعالى:{ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [النمل:75] ، وقال تعالى: {قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ} [آل عمران:29] ، الله يعلم ما تخفي الصدور وما تعلن، يعلم كل شيء سبحانه وتعالى، كما قال:{ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال:75] ، **(وكل)** هذا لفظ من ألفاظ العموم لا يُخصَّص؛ أي ما من شيء إلا يعلمه الله عز وجل سبحانه وتعالى، عالِم الغيب والشهادة يعلم كل شيء.

قال: (العالِم)؛ لكن العالِم ليس اسم من أسماء الله عز وجل؛ أي لم يأت "العالم" كـ اسم لله عز وجل وإن كان المعنى طبعًا صحيح، الوارد هو (العليم)، لذلك كان الأولى أن يقول (العليم) لا أن يذكر (العالِم). لما جاء (العالِم) جاء مقيدًا قال تعالى: {عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ} [الزمر:46] ، فهنا لم يأت (العالِم) مطلقًا بل جاء مقيدًا؛ أي مضاف {عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ} [الزمر:46] ، و{وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ} [الأنبياء:81] أيضًا، فهنا جاءت بالإضافة. فـ (العليم) كان أفضل وإن كان المعنى طبعًا صحيح بأن الله عز وجل يعلم كل شيء. لذلك ممكن تقول: (يا عالِم الغيب) لو أضفت (عالِم) إلى شيء؛ (يا عالِم الغيب والشهادة) مثلًا تقول ذلك نعم، أو تقول: (يا عليم) هذا اسم لله عز وجل، لأن الله بكل شيء عليم. إذًا (العليم) هو الاسم، و(العالِم) جاء مقيدًا أي يضاف إلى شيء.

ثم قال:

(الخبيرُ)

والخبير اسم من أسماء الله؛ {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء:35] ، **والخبير أخص من العليم**؛ فالخبير يدل على علمه بخبايا الأمور وخفايا الأمور، لذلك قال:{ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ} [آل عمران:29] ، فكأن الخبير أخص في العلم من العليم.

قال:

(المُدَبِّرُ القَدِيرُ)

(القَدِيرُ): لا إشكال فيه؛ جاء مطلقًا وجاء مقيدًا، قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:20] ، و{ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر:44] ، فيصح أن تقول أن الله قدير لأنه اسم من أسماء الله عز وجل، أو تقول إن الله على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، وهذا يدل على قدرة الله عز وجل التي لا حدود لها.

(المُدَبِّر): ليس اسم من أسماء الله، لم يَرِد كإسم، سيأتي بعد ذلك أنك حتى تعرف الأسماء لابد أن تأتي تصريحًا من الكتاب ومن السنة، قال هو الله، الخالق، الرازق، هو الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، هذه كلها جاءت تصريحًا، لكن لا تجد "المدبر" اسمًا؛ أي علمًا على ذات الله عز وجل، لكن هو حق، لأن الله عز وجل مدبر الكون كله، **فممكن تقول المدبر هنا من باب الإخبار عن الله**؛ من

باب أن الله هو المدبر، ولا تقول بأن من اسمائه المدبر. ما الفرق؟ لأن الأسماء توقيفية؛ أي لا يمكن أن تسمي الله باسم لم يرد في الكتاب أو السنة، قال تعالى: {وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:180] ، فالأسماء لابد حتى تسمي الله باسم أن يكون جاء الاسم في الكتاب وفي السنة، لكن نحن عندنا باب اسمه **الأسماء، وباب الصفات، وباب الإخبار**؛

- **الأسماء**؛ لا يمكن تسمي الله باسم وتقول أن الله "الرحمن" إلا إذا جاءك دليل، "الرحيم" بدليل، "السميع، البصير" بدليل.

- **والصفات**؛ أن كل اسم لابد له من صفة؛ فتقول صفة الرحمة لله لأن الله الرحمن منه صفة الرحمة، الله "السميع" إذًا صفة السمع، الله "البصير" صفة البصر، فالصفة أيضًا إما تكون لها أصل وهو الاسم – تُشتق من الاسم – أو الصفة أن تأتيك مباشرة {وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ} [النساء:93] ، إذًا ربنا بيغضب، وليس اسمه الغاضب، لكن توجد صفة الغضب، أو{يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح:10] ، اليد صفة لله عز وجل، وهكذا. إذًا النوع الثاني أن الله يوصَف بصفات إما أنك تأخذها من الأسماء لأن كل اسم له صفة، أو تأتي الصفة تصريحًا.

- النوع الثالث اسمه **الإخبار**؛ أنك بتخبر عن الله بأمور هي لا اسم ولا صفة، لكن بتخبر بأمور الله يفعلها وهي كمال له، منها "المدبر"؛ لا "المدبر" اسم ولا هو صفة لأنه لم يأت له صفة لكن هو أنك بتخبر أن الله مدبر الكون نعم هذا إخبار لأنه من كمال الله عز وجل، فممكن تخبر عن الله بذلك، وهذا يسمى باب الإخبار لكن لا تعتقد أن المدبر اسمًا لله أو صفة لله. وحتى أُخبر أن الله مدبر فليس من رأسك، لا، بل تأتيك أيضًا آيات أو أحاديث فيها أفعال لله، فقال تعالى: {يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ} [يونس:3] ، إذًا أنا لم أقل المدبر من رأسي! لا، أنا عندي أيضًا نصوص لكن {يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ} هذا فعل "يدبر"، ليس اسمًا ولا صفة، فهل ممكن أخبر عن الله أن هو المدبر؟ نعم، لماذا؟ لأن ربنا قال عن نفسه سبحانه وتعالى أنه بيدبر الأمر، فهنا أصبح "المدبر" لو يكون "اخبارًا عن الله فيجوز، لكن لا اقول أنه اسمًا لله ولا صفة لله.

وستجدوا مثلًا قول الإمام أحمد: **(يا غياث المستغيثين)** فغياث المستغيثين هذا ليس اسم لله، طيب كيف الإمام أحمد يقوله؟ نقول: لا، الإمام أحمد بيخبر: يا الله يا من تغيث المستغيثين. إذًا هذا إخبار عن الله، فيجوز.

فالآن مؤقتًا تعرفوا أن هناك اسم، وصفة، وإخبار عن الله؛ الاسم لابد يكون فيه نص تصريحًا أن هيئة الاسم؛ العليم، السميع. والصفة تأتي مضافة إلى الله؛ غضب الله، يد الله، و{فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة:54] أضاف المحبة إلى الله، فالصفة لابد أن تكون مضافة إلى الله. أو إخبار عن الله عز وجل؛ وقلناه الآن مثل "المدبر".

ثم قال:

(السَّمِيعُ البصيرُ)

والسميع البصير أسماء لله عز وجل، بل من أكثر الآيات التي جاءت فيها اسماء الله هو السميع البصير، فيها اثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل. **وخدوها قاعدة: كل اسم يتضمن صفة**، فلابد طالما ثُبِت أنه اسم لله فلابد أن يتضمن صفة، كل أسماء الله لابد لها من صفات، لا يصح أنك تقول اسم ليس له صفة.

فقلنا السميع البصير اثبات صفة السمع والبصر. قال النبي ﷺ : **[حِجابُه النُّورُ، لو كَشَفَه لأحرَقَت سُبُحاتُ وجهِهِ ما انتَهى إليه بَصَرُه مِن خَلقِه]** وأيضًا السيدة عائشة تقول: **[الحمدُ للهِ الذي وسِع سمعُه الأصواتَ]** المرأة في الحجرة تشتكي للنبي ﷺ وأنا لا أسمعها. وحجرة النبي ﷺ لم تكن قصر مشيد! وعائشة تقول المرأة في طرف الحجرة تشتكي وتقول وأنا لا أسمع، وينزل قول الله عز وجل {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ} [المجادلة:1] ، فقالت سبحان الذي وسع سمعه الأصوات سبحانه وتعالى.

فالله يسمع جميع الأصوات {لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ } [آل عمران:181]، قال اليهود ذلك، فسمع الله قولهم وبيَّن أنه سمع هذا القول وأنه سيعاقبهم على هذا. ويسمع الله أصوات المسبحين، والداعين، والذاكرين، والذين يتلون القرآن وغير ذلك، كل ذلك يسمعهم الله عز وجل.

قال:

(العَلِيُّ الكَبيرُ)

وكنا قبل ذلك تكلمنا في "العلي" ونحن بنشرح آية الكرسي في المقدمة، وأن الله عز وجل "عليّ" وفيه إثبات صفة العلو – كما سيأتي معنا إن شاء الله – **علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر**، فعلو الذات: أن الله فوق عرشه سبحانه وتعالى، {ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه:5] ، وأيضًا علو الشأن: {رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ} [غافر:15] سبحانه وتعالى، وعلو القهر أيضًا.

قال:

(وَأَنَّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته)

هنا انتبهوا.. "فوق عرشه المجيد بذاته" فالله عز وجل فوق عرشه، وهذه تبين لك بأن الله عز وجل فوق العرش مستوي عليه سبحانه وتعالى، **له علو مطلق وعلو مقيد؛**

- علو مطلق أنه فوق السماوات؛
- والعلو المقيد أنه {ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه:5] ، أي هو مستوي على العرش سبحانه وتعالى.

قال: (فوق عرشه المجيد) وطبعًا "المجيد" هذه صفة للعرش (على قراءة الجر) في الآية: {ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدِ} [البروج:15]، وتكون صفة لله (على قراءة الرفع) {ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ} [البروج:15]. قال (فوق عرشه المجيد بذاته) أي ذات الله عز وجل فوق العرش، طبعًا **هذا اثبات صفة الاستواء لله عز وجل وصفة العلو لله**، لأن أين العرش؟ في الأرض؟ في البحر؟ العرش فوق السماوات. وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة: علو ذات الله عز وجل، وأن الله عز وجل فوق عرشه، وهذه فاصلة ما بين أهل السنة وبين المبتدعة الذين يقولون إن الله في كل مكان، أو يقولون لا نعلم الله في داخل السماوات أم في خارج السماوات، فهم يثبتون فقط علو القهر وعلو الشأن، ولا يثبتون علو الذات، وأهل السنة والجماعة يثبتون علو الذات سبحانه وتعالى وأن الله له الفوقية سبحانه وتعالى بكل المعاني؛ فهو فوق العرش، وفوق السماوات بذاته سبحانه وتعالى، وهذا لابد أنكم تعلموه من عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الله فوق السماوات، كما قال النبي ﷺ للجارية: "أين الله؟" قالت: "في السماء"، وقال: "من أنا؟" قالت: "أنت رسول الله"، فقال النبي ﷺ: "اعتقها فإنها مؤمنة". فقالت أنه فوق السماء سبحانه وتعالى. هنا الإمام أبو زيد القيرواني يثبت ذلك؛ بأن الله عز وجل فوق العرش بذاته، ليثبت عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الله عز وجل له علو الذات، وليس كما تقول المعتزلة وغيرهم بأن الله في كل مكان.

قال:

(وهو في كلِّ مَكان بعِلمه)

وانتبهوا.. في ذاته أين؟ فوق السماوات، **(وهو في كلِّ مَكان بعِلمه)** إذًا هنا المعية التي في: {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ} [الحديد:4] ، هذه معية "العلم" وليس مثلما قال بعضهم الله معك في كل مكان! لا، هو يقصد هنا معية العلم،{أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة:7] ، أول الآية: {أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ} ، وآخر الآية: {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ} .

فنقول هنا أن الله عز وجل بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان، وهذا طبعًا يرد على الحلولية والإتحادية الذين يقولون أن الله حَلَّ في كل أحد – تعالى الله عما يقولون – يقولون أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ويقولون الله في كل مكان بذاته أيضًا، وهذا لا يصح، أو الذين توقفوا حتى عن اثبات أن الله فوق السماوات السبع والعرش وقالوا لا نعلم هل داخل العالم أم خارج العالم؛ كالأشاعرة. فكل هذا باطل، وكل نصوص المعية التي جاءت ستجد أن المقصود بها معية العلم وليس معية الذات؛ فليس المقصود بـ "أن الله معكم أينما كنتم" بذاته! لا، بل بعلمه مطلع، وإلا أنت ممكن تسير في الطريق وتقول: "سرت والقمر معي" فهل القمر نزل ومشي معك؟! لا، عند العرب أي أنت تسير وصحبة القمر ينير لك وقلت القمر معي، فإذا كان هذا في المخلوقات. فهنا المقصود بـ {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ}

[الحديد:4] معية العلم من الله عز وجل، والإحاطة له سبحانه وتعالى. قال:{ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ } [آل عمران:29] ، إذًا الله بيعلم كل شيء؛ ما تبدوه وما تخفوه سبحانه وتعالى، إذًا هنا المعية المقصود بها معية العلم.

فالمهم أن تؤمن بأنه لا يخلو أي مكان من علم الله سبحانه وتعالى؛ لأنه كما قال تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [المجادلة:7] أي كل ما في السماوات وكل ما في الأرض يعلمه الله عز وجل، وقال تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة:7] ، ولما تجد كلمة (كل) تعرف أن "كل" هذه على العموم، أي لا يمكن أن يكون هناك شيء يحدث في الكون لا يعلمه الله، وهذا كفر أنك تقول أن هناك شيء بيحدث الله لا يريده أو لا يعلمه! وهذا لا يمكن، فكل شيء بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وبعلمه.

(خَلَقَ الإنسانَ ويَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أَقْرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ)

وهذه طبعًا الآية؛ قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ} [ق:16] . قال: **(خَلَقَ الإنسانَ)** والخالق هو سبحانه وتعالى، ربنا هو الخالق المدبر. وقال: **(ويَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه)** أي كل شيء تخفي به النفوس يعلمها الله عز وجل؛ قال:{ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [آل عمران:154] أي يعلم ما في الصدور سبحانه وتعالى، {قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ } [آل عمران:29] ، وهذه طبعًا مسألة مهمة فيها مسلك دعوي تربوي؛ أنك إذا علمت أن الله عز وجل يعلم ما في يجول في صدرك وذهنك فأنت عندما تختلي بنفسك فتعلم أن الله مطلع عليك، فالله يعلم ما تبدي وما تخفي، فأنت في نفسك ما تدَّعيه أمام الناس وتبين أنك رجل صاحب كذا وكذا، وعندما تختلي بنفسك الله يعلم ما في قلبك وما في نواياك وما تخفيه عن الناس يعلمه الله، فالمرء يراقب الله عز وجل في نفسه وفي باطنه أكثر مما أمام الناس، لأنك أنت لما تختلي فلا أحد يعلم عنك شيء لكن الله يعلم عنك كل شيء، فحريّ بالمرء أن يخشى من الله علنًا وخفية، ظاهرًا وباطنًا، ويعلم أن الله يعلم {قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ } [آل عمران:29] ، و{يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ} [غافر:19] .

قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ} [ق:16] ، **من الذي أقرب إلى الحبل الوريد؟** وهنا في اختلاف عند المفسرين في هذا القرب:

بعضهم قال المراد قربه تعالى بملائكته الموكلين بحفظ أعمال العبد؛ لقوله تعالى:{ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ} [الإنفطار:10-11] ، وقوله تعالى:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ} [ق:16] كمثل قوله تعالى:{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ} [الواقعة:85] لما بيتكلم عن الميت وقته من الذي أقرب إليه؟ ملائكة الله عز وجل في قبضه. لذلك هو يريد أن يقول أن المقصود هنا من {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ} [ق:16] هو قربه تعالى بالملائكة؛ أي الملائكة هم القريبين، وليس الله هو القريب، الملائكة هي التي بتقترب وليس الله عز وجل، ملائكة الله التي بتقترب منه:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ} [ق:16] لقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ} [الواقعة:85] هم الملائكة التي بتأتي لتأخذ الأجل، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون هنا الكلام عن الملائكة التي منها أيضًا:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ} [الإنفطار:10-11] ، أي موجودين يكتبوا كل شيء مما يفعله المرء. فقال هنا التفسير هو قرب الملائكة التي تتوفى العبد.

وبعض أهل التفسير قالوا قرب الله بنفسه؛ وهذا القرب ليس قرب بذاته لكن بعلمه؛ والتي هي المعية العامة؛ وهي قرب العلم.

فبعضهم حمل التفسير على قرب الملائكة – وهذا أكثر المفسرين – وبعضهم حمل التفسير على قرب الله بعلمه، لكن ليس قرب الذات، وليس كما يقولون أن الله في كل مكان! لا، الله عز وجل له العلو المطلق سبحانه وتعالى.

لكن هنا الإشكال بقوله ﷺ : **[إنَّكُم لا تَدعونَ أصَمَّ ولا غائِبًا، إنَّكُم تَدعونَ سَميعًا قَريبًا]**، فهنا هذا القرب الخاص، فالذي ذكرناه سابقًا هو قرب عام لكل الناس؛ سواء قلنا الملائكة أو علم الله، لكن هناك قرب خاص، لمن؟ للذين يدعون، للذين يذكرون الله، الذي قال فيهم النبي ﷺ : **[إنَّكُم لا تَدعونَ أصَمَّ ولا غائِبًا، إنَّكُم تَدعونَ سَميعًا قَريبًا]**، فقرب خاص لهم بأن الله يستجيب لهم في هذا الدعاء ويكون قريبًا منهم؛{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ} [البقرة:186] ، قرب خاص للداعي. لذلك المرء يستشعر عندما يرفع يده ويدعو الله عز وجل بالقرب الخاص. إذًا عندنا قرب عام كالمعية العامة، وقرب خاص كالمعية الخاصة {وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال:19] ، و {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ} [النحل:128] .

قال:

(وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاّ يَعلَمُها، ولاَ حَبّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبين)

طبعًا هذه في سورة الأنعام في الآية:{ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [الأنعام:59]، وهذه كلها تبين سعة علم واحاطة الله عز وجل بكل شيء، حتى انتبه.. ورقة تقع في أي مكان في الأرض فالله عز وجل يعلمها، أنت هنا لو حدث في الغرفة التي بجانبك شيء فأنت لا تعلم عنها – طبعًا ولله المثل الأعلى – لكن لتعلم كيف أن لهذا الكون إله عظيم، كل شيء بيحدث في الكون؛ الورقة التي بتقع في أي مكان في الكون يعلمها الله عز وجل {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} أي أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ما في شيء بيحدث في الكون إلا بقدر من الله عز وجل، وبعلم من الله عز وجل، حتى الأشياء الدقيقة ولا تقل لي كمبيوتر أو كذا! لا هذه أمور أنت بتعجز عنها عندما رأيت الآن كيف يحسب والأمور هذه، لا، أنت انظر إلى الاله، تدبر الكون وهذا الإله العظيم، ما في شيء قال {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ } (ورقة) نكرة في سياق النفي تفيد العموم؛ كل ما يحدث في الكون يعلمه الله عز وجل. قال: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ} [فاطر:11]، كل هذا يدل على سعة علم الله عز وجل، وعلى قدرته سبحانه وتعالى.

طبعًا فيها مسالك دعوية؛ فالباب الأساسي في المسألة أو الأهم من الحكمة في معرفة أسماء الله وصفاته أنك تستحضر هذا في دعائك، وتستحضره في حياتك، لما تعلم أن الله عز وجل هو الملك، هو القريب، هو سبحانه وتعالى العليم بكل شيء، وأقرب بعلمه، معه المعية الخاصة والمعية العامة، هو الملك، والمدبر سبحانه وتعالى، هو الخالق، كل هذا لما تستشعر هذه الأمور أن يكون لها مردود عليك في قلبك؛ فإما أنك تسارع في محبته ومرضاته لما يأمرك بأمر فتفعله، وإما أنك تسارع في الإنتهاء عن النواهي التي نهاك عنها إرضاء لله عز وجل، فترجو محبته وتخاف من عذابه، وهذا معنى أنك تحب الإله، وهذا لا يكون إلا بتعرفك على الله؛ أنك تتعلم الأسماء والصفات وتستحضرها وتعلم معانيها لما تحتاج في شيء فتدعو الله بما يناسبك؛ إن أردت الرزق فتدعوه بالرزاق، أردت العلم أن ربنا يفتح عليك في العلم ويبارك لك تدعوه بالعليم، بالحفيظ أن يحفظك، وهكذا، بأنك تتأول هذه الأسماء والصفات التي لله عز وجل في دعائك، وفي صلاتك، وفي كل مواطن العبادة.

نقف عند: **(على العَرشِ اسْتَوى، وعَلى المُلْكِ احْتَوى، وله الأسماء الحُسنى..)**

المحاضرة الخامسة

وقفنا عند قول المؤلف:

(على العَرشِ اسْتَوى، وعَلى المُلْكِ احْتَوى، وله الأسماء الحُسنى والصِّفاتُ العُلَى، لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه، تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً. كلَّم موسى بكلامِه الَّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه، وَتَجَلّى للجَبَل فصار دَكًّا مِن جلالِه)

هذه القطعة سنأخذها اليوم بإذن الله تعالى، وما زلنا في الإيمان بأسماء الله وصفاته، فقال:

(على العَرشِ اسْتَوى، وعَلى المُلْكِ احْتَوى)

وهنا يتكلم عن الاستواء، وأن الله عز وجل على العرش استوى، واستواء الله عز وجل على العرش هذه صفة لله؛ صفة الاستواء، وقد ذُكِر الاستواء على العرش في أكثر من موضع من القرآن في سبع آيات؛ قوله تعالى:{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ} [الأعراف:54] ، و{ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ} [طه:5] ، و{إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ } [يونس:3] . **والاستواء على العرش يتضمن صفة العلو**؛ علو الله عز وجل على جميع المخلوقات.

لماذا الاستواء يتضمن العلو؟ قلنا الأسبوع الماضي أن هناك علو مطلق بالأدلة التي تدل على علو الله؛ علو الذات والشأن والقهر، لكن نحن كلامنا كله في علو الذات، لأن هنا الخلاف، وقلنا بأن هناك أدلة كثيرة على علو الله المطلق ومنها بيدخل الاستواء، مع أن الاستواء صفة فعلية والله مستوي على العرش، فبنستدل من استواء الله على علو الله، كيف نستدل من استواء الله على علو الله؟ لأنه استوى على العرش، فأين العرش؟ العرش هو أعلى المخلوقات وهو فوق السماوات السبع كما جاء في الأثر عن ابن مسعود، فدل ذلك على استواءه على العرش وأن العرش أعلى المخلوقات فهذا اثبات لصفة العلو لله عز وجل.

ما معنى الاستواء في اللغة؟

علا، ارتفع، صعد، استقر، كل هذه مفردات معاني للاستواء، وفيه دلالة على اثبات صفة الاستواء لله عز وجل كما جاءت في الآيات.

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الاستواء لله، واستوائه على العرش طبعًا لأن استواءه مقيد؛ فنقول العلو مطلق لكن الاستواء مقيد، ماذا يعني مقيد؟ نقول "استوى على العرش" وليس استوى على أي

شيء، لأن ما جاء الاستواء إلا على العرش. **لكن (العلو) بنقول علو مطلق**، لكن الاستواء لابد نقوله كما جاء {ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ} . والعرش كما وصفه الله عز وجل بأنه عرش مجيد {ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ} [البروج:15] .

فأهل السنة يؤمنون باستواء الله عز وجل على العرش لأن الله عز وجل خاطبنا في القرآن ويخاطبنا بلسان عربي مبين أنه استوى، **فنحن نثبت الاستواء ونعلم معنى الاستواء عندنا، لكن كيفية الاستواء لا نعلمها**، كيف استوى الله عز وجل على العرش؟ هذه الذي لا نعلمها.

لذلك لما سُئل الإمام مالك عن الاستواء قال: **(الاستواء معلوم)** أي المعنى معلوم عندنا في اللغة؛ لما أقول لك استوى فلان إذًا علا وصعد واستقر وغير ذلك، وقال: **(والكيف مجهول)** كيفية الاستواء لا أعلمها؛ أنت الآن مستوي على الكرسي أي أنت أعلى من الكرسي ومستقر عليه، هذا استواء المخلوق معلوم لأنك تشاهده، لكن كيفية استواء الله؟ لا نعلمها، لذلك قال الإمام مالك: **(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)**.

أهل السنة والجماعة يثبتون العلو والاستواء، وأدلة العلو ستأتي كثيرة معنا؛ منها الفوقية، والعلو، وأنه يُرفَع الأمر إليه، إلى غير ذلك من أمور كثيرة ستأتي بإثبات صفة العلو لله عز وجل. وصفة العلو مطلقة.

وصورة "الاستواء": ذاتية فعلية؛ فعلية أي: (إن شاء استوى وإن شاء لم يستو) أي فعل، صفة فعلية. وأما "**العلو**" فهو العلو على جميع المخلوقات؛ فالله عز وجل عال على جميع خلقه لكن في الاستواء لا أستطيع أن أقول الله مستوي على خلقه، لا، لابد أن أقول "مستوي على العرش"، لكن أقول في العلو عال على جميع خلقه، لكن في الاستواء مستو على العرش، لماذا؟ لأن الاستواء جاءت الدلالة مختصة بالعرش فقط.

طيب،، هل هناك فرق بين اثبات الاستواء والعلو؟

نعم،، **(العلو)** ممكن تثبته من الكتاب، ومن السنة، وأيضًا تثبته عن طريق العقل؛ أي أثبت أن هناك إله وعلوه ثابت بالعقل، بل بالفطرة؛ بمعنى أن الناس فطرت عندما تريد أن تدعو تنظر إلى السماء وترفع يديها، بل الحيوانات؛ النملة في قصة سليمان عليه السلام لما أراد أن يستسقي فخرج بجنده فوجد نملة مستلقية على ظهرها وترفع أرجلها أو يديها وتدعو الله، فسليمان عليه السلام تبسم وضحك وقال ارجعوا فقد كفيتم، وسمعها تقول احذروا من سليمان حتى لا يحطمنكم. فالفطرة بتقول أن المرء إذا أراد أن يدعو فيرفع يده أو رأسه، فهذا حتى من الفطرة مع الكتاب والسنة فتستطيع أنك تثبت علو الله عز وجل.

لذلك الجويني كان لا يثبت العلو، فجاءه رجل اسمه الهمداني وكان يناظر الجويني على قول من يقول سواء من المعتزلة أو الأشاعرة – هو طبعًا من أهل الكلام لكنه من الأشاعرة – فالهمداني قال له: "خلي

عنك يا إمام"؛ أي هذا الذي أنت تقوله لن نجادل فيه، "ماذا أفعل لما يصيبني أمر فأجد نفسي أرفع يدي وانظر إلى السماء؟" فضرب على رأسه الجويني وقال: "حيرني الهمداني، حيرني الهمداني" ثم انصرف. فالفطرة بتجعل أنك تعلم بأن الله عز وجل في العلو.

(الاستواء) لا يمكن لك أنك تثبته هكذا، بل تثبته بالكتاب والسنة فقط، لكن العقل ليس لك مجال فيه، لأن الاستواء هذا صفة فعلية؛ إن لم يكن جاءك من الكتاب والسنة أن الله استوى على العرش لا يمكن أن تثبته، لكن (العلو) الفطرة والعقل يجعلك تثبته. وهذا فارق بين العلو وبين الاستواء.

وطبعًا هناك فِرَق لن ندخل فيها لكن لتفهموا أن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ بأنهم يثبتون علو الله عز وجل؛ علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر، والذين خالفونا كأهل السنة والجماعة من الفرق الأخرى كالجهمية والمعتزلة ومن وافقهم كالأشاعرة أنهم خالفوا في اثبات علو ذات الله، وخالفوا في استواء الله على العرش، لم يقولوا بالاستواء، حوروه؛ إما أولوه بـ "الاستيلاء"! أو قالوا لا يجوز، ظنًا أنهم سيشبهوا الله كأنه جسم ويكون موجود، استوى على شيء فيكون هذا جسم، وله حيز، وله حدّ، ففروا؛ بعضهم لم يثبت والبعض قال أن الاستواء ليس مقصود به الاستواء الذي عندكم، بل المقصود به الاستيلاء! وكل هذا كلام باطل ما يستقيم عند أهل السنة والجماعة، وليس محله طبعًا التفصيل نحن فقط بنفتح لكم.

لكن نحن نثبت الآن ما أثبته لنا المؤلف وهو عند أهل السنة والجماعة أنك يجب أن تؤمن بالاستواء كما جاء في الكتاب والسنة، وتعلم أن الاستواء حقيقة، **ولكن لابد أن تؤمن بأمرين:**

- أولًا: **نفي مماثلة استواء الله للمخلوق**، ستؤمن أن هناك استواء، واستواء حقيقي، ولكن مع ذلك تنفي مماثلة استواء الله كاستواء المخلوق؛ فالمخلوق: نعم أنت الآن تجلس على الكرسي، مستوي على الكرسي، لكن الفرق أن المخلوق لو أنت نزعت الكرسي من تحته سيقع فهو يحتاج إلى الكرسي حتى يستطيع أن يستوي عليه، قال تعالى:{ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ} [الزخرف:13] ، وقال تعالى لنوح عليه السلام: {فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ} [المؤمنون:28] ، في الطوفان. فالملخوق له استواء نعم، والله له استواء نعم، لكن استواء الله تعالى لا يماثل استواء المخلوق. لماذا؟ قالوا لأن **إذا كانت ذات الله لا تماثل ذات المخلوق فكذلك صفات الله لا تماثل صفات المخلوق**، كما أن الذات تختلف عن الذات؛ فالخالق له ذات نعم، والمخلوق له ذات، واختلاف ذات الخالق عن المخلوق، فكذلك اختلاف صفات الخالق عن صفات المخلوق ومنها الاستواء؛ فاستواء الله على العرش لابد وأنت تثبته أن تنفي مماثلة الاستواء العرش كاستواء المخلوق، أي تثبت وتنفي التمثيل، **ما هو التمثيل؟** هو الكيفية هنا؛ أنا لا أعلم كيفية استواء الله على العرش لأني لم أراها ولم يصفها لي أحد ولا غير ذلك، لكن هو مستوي؟ نعم، استواء حقيقي؟ نعم، وعلمت معنى الاستواء؟ نعم؛ ارتفاع، علو، استقرار، صعود، كل هذا، لكن وأنا بؤمن بالاستواء لابد أن أنفي مماثلة استواء الخالق عن استواء المخلوق، لأن الله عز وجل أيضًا باستواءه على العرش فهو غني سبحانه وتعالى عنه، بل هو الممسك للعرش؛ {إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:41] ، ويمسك جميع المخلوقات أن تزول، لكن المخلوق لا، هو محتاج للكرسي الذي يجلس عليه.

طيب هل هناك نوع من المحظور أن أقول أن الله مستوي وأن المخلوق مستوي؟

لا، اثبات الاستواء لله بما يليق به، واثبات استواء للمخلوق بما يليق به كمخلوق أصالة، فاثبات الاستواء للمخلوق لا يلزمه أن أكون أعطيته شيء من خصائص الخالق، لكن لابد أنضبط: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] . إذًا لابد وأنا بثبت أن يكون مع الاثبات اللي اثبتته بأن أنفي المماثلة؛ هذا أول أمر.

- الأمر الثاني: **أن اجعل الاستواء له حقيقة**، له معنى عندي، وهو الذي قلناه الآن؛ وهو معنى الاستواء، العلو، والاستقرار، والصعود.

ثم قال:

(وعَلى المُلْكِ احْتَوى)

معنى ذلك أن الله عز وجل له ملك كل شيء؛ له ملك السماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى:﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر:44] ، وقال تعالى أيضًا:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۞ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:5-6] ، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [يس:83] ، هو يريد أن يقول أن كل ما في الكون مِلك لله عز وجل، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54] كل الخلق وكل الأوامر هي من الله عز وجل، له الملك سبحانه وتعالى. لذلك هو قال: **(وعَلى المُلْكِ احْتَوى)**، وكلمة (احتوى) حقيقة لا تجدها كثيرًا في الكتب، أي هي من المؤلف، ما يظهر أنها وردت في حديث أو أثر، لكن بعض العلماء بيذكروها، هي ليس فيها مخالفة لكن هي كلمة ليس لها فيما أعلم حديث فيها أو أثر. لكن هو يقصد بـ **(وعَلى المُلْكِ احْتَوى)** أن الله عز وجل له عموم الملك؛ كل شيء لله عز وجل.

وهذا طبعًا مسلك دعوي مهم؛ لذلك دائمًا يقول لك في المسألة الفقهية في التبرع بالأعضاء هل أنت أصلًا تملك جسمك حتى تتبرع به؟ قالوا أنت وأعضائك هذه ملك لله، هي عارية عندك، وجب عليك أنك تحافظ عليها؛ تحافظ على بدنك وجسمك وما تضر الجسد أو شيء، لذلك قال بعض العلماء والراجح في ذلك بأن التبرع بالأعضاء هذا لا يجوز أنك تتبرع بشيء ليس ملكًا لك، طبعًا استثنوا بعض الأمور التي تتجدد مثل الدم لأن الدم بيتجدد فأنت لو أعطيت الدم يأتي مكانه، وبعضهم قال أيضًا الكبد لأن الكبد أصلًا عبارة عن دم حتى يقال لو قطعت منها جزء ممكن تنمو.

وطبعًا قالوا على أن الجسم عارية ليس لك أنك تتبرع بها أو تضع وصية كما يقول البعض خذوا القرنية مني، وخذوا كذا، وخذوا كذا، كل هذا ليس لك أن تفعل ذلك، حتى لو مات هي ليست له، فهي ليست ملكه حتى يوصي بها. وبعضهم قال إن كان مات وممكن يحيي به آخر في وقتها فبعضهم أجاز ذلك، بعض أهل العلم قالوا أن لو كان هنا من باب المصالح أنه مات فممكن يأخذ منه شيء فيحيي به شيء آخر واحد بيموت فعلًا، قالوا حالة محددة. لكن لا يكون على اطلاقه أنه لما يموت فيضع في وصيته أن ساعة الوفاة خذوا القرنية بسرعة من العين وخذوا كذا والأشياء التي ممكن أن تؤخذ وقت الوفاة فهذا على خلاف أيضًا بين العلماء، والراجح أنه ليس ملكه حتى لا ندخل في الفقه.

قال:

(وله الأسماء الحُسنى)

من الذي له الأسماء الحسنى؟ الله عز وجل، قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:180] . هو طبعًا الأول أجمل أي أتى بها مجملة قال فقط: **(وله الأسماء الحُسنى)**، ثم سيأتي تفصيلًا بعد ذلك؛ أي سيفصل بعض الأسماء لله عز وجل.

والأسماء: هي أسماء لله، أعلام على ذات الله، لما تقول (الرحمن) اسم لله علم على ذات الله، (الرحيم) علم على ذات الله، (المتعال) علم على ذات الله، (العلي)، (الكبير)، إلى غير ذلك. قال تعالى: {هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ} [الحشر:24] ، وقال تعالى: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ} [طه:8] ، وقال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ} [الأعراف:180] . إذًا الأسماء لله ثابتة، إما بالكتاب وإما بالسنة.

طيب،، كم اسم لله؟

أسماء الله غير محصورة، والدليل: دعاء الرسول ﷺ : **[اللهمّ إني أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو أنزلتَه في كتابِك أو علمته أحدًا من خلقِك أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك]** ، فدل ذلك على أن هناك اسماء لم نعلمها. وحديث آخر وهو حديث الشفاعة العظمى، فالله عز وجل يعلم النبي ﷺ وقتها محامد، والمحامد هو أن يثني على الله باسمائه وصفاته.

طيب ماذا نفعل في حديث: [إنَّ للهِ تعالى تسعةً وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنَّةَ]؟

هي ليست على سبيل الحصر، والإحصاء أي لو أحصاها ثوابه أن يدخل الجنة، لكن هل معنى أن لله تسعةً و تسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا فهل هذل يدل على الحصر؟ لو سألتك الآن هل عندك مال؟ قلت لي: نعم معي الـ 1000 جنيه، فهل هذا معناه أنك ليس لديك مال غير الـ 1000 جنيه؟! فأنت قلت لي

نعم عندي 1000 جنيه وممكن يكون عندك آخر لكن لو قلت أن عندك 1000 فلا يمنع أن يكون عندك شيء آخر، فهي ليست على سبيل الحصر. والأدلة تبين ذلك.

طيب ما معنى الإحصاء؟

العلماء لهم فيها أقوال كثيرة، حفظها، وفهمها، وتدبرها، وأثبتها، وآمن بها، عمل بها، كل هذا يدخل في ذلك، وتعبد بها إلى الله أيضًا.

قال: **(الأسماء الحُسنى)** معنى "الحسنى" هذا مهم جدًا، لماذا مهم؟ هو اسم تفضيل بمعنى الأحسن، وفيه الحُسن البالغ، إذًا **حتى يكون اسمًا لله لابد أن يكون فيه معنى حَسَن**، لما قال تعالى: :{وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ} [الأعراف:180] فليس أي اسم تجده في الكتاب أو السنة فتقول أنه اسم لله! لابد للاسم أن يكون فيه معنى بالغ الحُسن. لماذا نقول ذلك؟ حتى لما يأتيك حديث النبي ﷺ ويقول لك: **[لا تَسُبُّوا الدَّهرَ؛ فإنَّ اللهَ هو الدَّهرُ]** فممكن الواحد يقول إذًا من أسماء الله (الدهر) والحديث ظاهر جدًا. لكن الصحيح عند أهل العلم أن **(الدهر) ليس من أسماء الله**، لكن الدهر من مخلوقات الله عز وجل، لماذا؟ لأن الدهر ليس فيه صفة حُسن، ونحن الضابط عندنا في أسماء الله أن يكون الاسم فيه صفة حُسن، الرحمن فيه الرحمة، والعليم فيه العلم، والعزيز فيه العزة، والقدير فيه القدرة إلى غير ذلك.

إذًا لو وجدت اسم ظننت أنه لله فانظر هل فيه معنى حَسَن؟ وطبعًا لابد أن يكون ثابت بالكتاب والسنة، ليس أي اسم، فلو وجدت فيه معنى حَسَن؛ وأن يكون حسن من كل وجه، فاعلم أنه اسم لله. أما إن لم تجد فيه معنى حَسَن أصلًا كالدهر، أو معنى حَسَن من وجه وغير حَسَن من وجه مثلًا فهذا لا يكون اسمًا لله عز وجل.

قال:

(والصِّفاتُ العُلَى)

ما المقصود بـ (الصفات)؟

هي المعاني الثابتة القائمة به سبحانه وتعالى، وكل اسم يتضمن صفة لكن ليست كل صفة تستلزم اسمًا.

هو قال: **(والصِّفاتُ العُلَى)** إذًا الصفات هي المعاني الثابتة القائمة به سبحانه وتعالى؛ صفة العلم، السمع، البصر، الكلام، الاستواء، المحبة، الغضب، الرضا، كل ذلك.

وقلنا أن كل اسم يتضمن صفة؛ كالعليم صفة العلم، الرحمن صفة الرحمة، السميع صفة السمع، البصير صفة البصر، **وليس كل صفة يشتق لها اسم**؛ يعني ربنا بيقول: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ} [المائدة:54]، فصفة المحبة ثابتة لله، إذًا هل نسمي الله المحب؟ لا. ومتى نسميه بالمحب؟ لو ثبت في

الكتاب والسنة، إذًا ليس كل صفة يشتق منها اسم، لكن كل اسم يشتق منه صفة. أيضًا: {وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ} [الفتح:6]، هل نقول ربنا الغاضب؟! لا، {وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ} [آل عمران:54] لا تقول أن الماكر اسم لأن فيه نقص من وجه أيضًا. و{رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ} [المائدة:119] ، لا تقول الراضي. و{كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ} [التوبة:46] ، الكره ما تقول ذلك أيضًا، فلا تقول الكاره، ولا الراضي، ولا المحب، فهذا ضابط مهم. **فليست كل صفة يشتق منها اسم، وليس كل فعل أيضًا يشتق منه اسم لله عز وجل.**

قال: **(والصِّفاتُ العُلَى)** فكما قلنا في الأسماء "حسنى"، الصفات العلى أي صفات عالية. قال: {وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ} [الروم:27] يقصد بأن هي من أطيب الصفات وأعلاها لله عز وجل.

قال:

(لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه)

ما المقصود بـ **(لَم يَزَل)**؟ الله عز وجل مازال ولم يزل، ممكن تقول أن أسماء الله عز وجل ثابتة له في الأزل بمعنى: **لا يمكن أن تقول أن الله لم يكن متصفًا بصفة ثم اكتسبها**، أي أنه ما يصح تقول أن الله لم يكن عليمًا ثم كان عليمًا. لم يكن خالقًا ثم اكتسب صفة الخلق، أو الاسم، فنقول صفات الله وأسماء الله أزلية لله، الله عز وجل متصف بها أزلًا، وذلك بخلاف المخلوق؛ فالمخلوق بيتولد لا يستطيع أن يتكلم بيكون صغير رضيع ثم بعد فترة يتكلم، هو عنده صفة الكلام مخلوق بها لكن ما استطاع أن يتكلم إلا لما ربنا أذن له أن يتكلم، وممكن ما يكتسب الصفة أصالة، وما يستطيع أن يمشي ويمشي بعد فترة ويكتسب صفة المشي.

لكن الله عز وجل ليس كذلك، قال: **(لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه)** أي كأنه قديمًا – لو صح – لم يزل بصفاته قديمًا قبل خلقه؛ أي لم تكن الصفات محدثة لله عز وجل، أصل الصفات؛ كل صفات الله واسمائه أزلية لله عز وجل؛ أي ليس للعلم بداية ولا نهاية، ليس للسمع بداية ولا نهاية، ليس للبصر بداية ولا نهاية.

وهل ليس للكلام بداية ولا نهاية؟ هنا لازم نقف؛ نقول **الكلام** أصله صفة لله، **لكن الله يتكلم وقتما شاء، وكيفما شاء، لكن صفة الكلام أصلًا ثابتة**، أي أنت الآن لو قلت أنت رجل ساكت نقول لك أنت قاعد ساكت لا تتكلم أبدًا، فهل نقول أن الرجل هذا غير متكلم وليس عنده صفة الكلام؟! لا، هو عنده صفة الكلام لكن يتكلم عندما يحتاج أن يتكلم. ولله المثل الأعلى؛ فالله عز وجل صفة الكلام له أزلًا، لكن تكلم مع موسى لما جاء موسى عليه السلام إلى الشجرة، تكلم مع آدم وحواء لما أراد، تكلم مع السماوات والأرض قال: {ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا} [فصلت:11] لما أراد الله أن يتكلم، لكن قبل أن يتكلم مع موسى وقبل

أن يتكلم مع آدم وقبل أن يتكلم مع الملائكة وقبل أن يتكلم مع السماوات والأرض فصفة الكلام ثابتة لله عز وجل. فهذا معنى أن يقول: **(لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه)**، وكذلك السمع والبصر إلى غير ذلك.

لكن الفارق أن هناك صفات ذاتية لا تنفك، وهناك صفات فعلية يفعلها عندما يريد الله عز وجل؛ أي يغضب على من يغضب عليه، يكره من يكره عليه، يحب من يحبه، هذه صفات فعلية ضابطها المشيئة. لكن كل أسماء الله وصفاته لم يزل الله عز وجل بجميع صفاته واسمائه متصفًا بها سبحانه وتعالى.

لذلك بنقول أن هناك **صفات ذاتية فعلية**؛ ذاتية كالكلام من أصلها، وفعلية أنه يتكلم وقتما شاء.

وبعض المخالفين أخطاؤا فظنوا أنك لو أثبت صفة الكلام كأن الله متكلم من الأول إلى الآن إلى يوم القيامة! وهذا خطأ، هذ ذم، هذا نقص، لكن صفة الكلام ثابتة لله أزلًا، وفعلًا يتكلم وقتما شاء.

وكذلك نقول الصفة الفعلية **كالاستواء، لا تستطيع أن تقول أن الله لم يزل مستويًا على العرش، لماذا؟** هو قال: (لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه) قلنا هذه الصفات الأزلية الذاتية، أما الصفات الفعلية كالاستواء لم نقل لم يزل مستوي على العرش، لكن قال العلماء: قل: "بل يزل فعالًا لما يريد" لماذا لم نقل لم يزل مستوي؟ هو مستوي على ماذا؟ العرش، والعرش هذا خُلِق، إذًا لا يمكن أن تقول لم يزل مستوى على العرش لأن العرش مخلوق، لكن تقول مكانها: "لم يزل فعالًا لما يريد"، والاستواء من أفعاله.

أيضًا **المجيء يوم القيامة**؛ الله يأتي يوم القيامة؛ من أفعاله سبحانه وتعالى، **والنزول** كل ليلة أيضًا. إذًا تقل: "لم يزل فعالًا لما يريد" لأن هذه راجعة لإرادة الله عز وجل، **ما المقصود بـ لم يزل فعالًا؟** أي دوام فاعليته ودوام أفعاله.

قال:

(تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً)

بينفي؛ بعد ما أثبت يقول لك: **(تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً)**.

انتبه.. هناك فرق بين أن أقول صفاته مخلوقة، وأقول أن ممكن بعض الصفات تقول عليها **قديمة النوع حادثة الآحاد**؛ صفة (الكلام) قلنا صفة ذاتية، الأول لابد أن تقول الكلام صفة ذاتية؛ أن الله متصف بصفة الكلام أزلًا، هذا أصل الصفة، لكن لما جاء موسى إلى الشجرة كلَّمه الله عز وجل، فلما جاء موسى وكلمه هذه بنسميها حادثة الآحاد. هل ربنا كان بيكلم موسى قبل ما يخلق موسى؟ أم لما موسى خُلِق وذهب إلى الشجرة؟ إذًا هنا الكلام حدث، لكن ليست الصفة هي التي حدثت، الصفة أصل الكلام ثابت لله، لكن الآحاد الذي هو الكلام. لما تكلم الله مع آدم {وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ } [البقرة:35] ، ففي الوقت الذي تكلم فيه مع آدم هذا نسميه حادثة الأفراد.

هو بيقول: **(تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً)** في أصل الصفة وفي أصل الاسم، لكن لو كانت الصفة فعلية وفيها حادثة أفراد إذًا ستقول هنا قديمة النوع حادثة الآحاد.

المرأة لما جاءت تشتكي للنبي ﷺ في الغرفة والسيدة عائشة تقول: سبحان الذي وسع سمعه كل الأصوات المرأة تشتكي بجانب الغرفة ولا أسمع صوتها، ونزل قول الله عز وجل:{ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا} [المجادلة:1] ، هل الله عز وجل سمع قول المرأة هذه قبل أن تأتي للنبي في الحجرة؟ أم عندما جاءت للحجرة؟ لما جاءت وتكلمت، إذًا هذه حادثة؛ حادثة أي وقت ما تكلمت سمع، **إذًا السمع هنا على حسب الأحداث، لكن أصل صفة السمع أنها قديمة النوع أزلية.**

الصفات الذاتية الأزلية ثابتة لله قديمًا، هذه الذاتية، والتي منها السمع والبصر والكلام وغير ذلك، وهناك صفات فعلية لا يمكن أن نقول لم يزل الله متصف بها؛ منها الاستواء، لأن الله عز وجل قيَّد الاستواء بأنه على العرش، والعرش خُلِق، طيب قبل خلق العرش لم يكن هناك استواء وهذا لا ينقص من الله في شيء لأن هذه ليست صفة نقص لو هو لم يستو.

لكن قلنا "لم يزل فعال يريد" لأن الاستواء نتيجة الإرادة، وبالتالي الإرادة أزلية فأصبحت الإرادة أزلية لكن الاستواء هو الذي ليس أزلي. ومثل المجيء والنزول؛ هو نزل للسماء الدنيا، طيب قبل خلق السماوات والأرض هل كان هناك نزول؟ إذًا هي صفة فعلية أيضًا، لكن نتيجة أنه لم يزل مريدًا لذلك.

قال:

(كلّم موسى بكلامِه الّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه)

نقرأها لكن لن نشرحها الآن؛ **(كلَّم موسى بكلامِه الَّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه)** أي أن كلام ربنا صفة لله، وليست خلق من مخلوقاته، كل ما كان لله فهو إما من اسمائه أو من صفاته، وهذا للخالق، لا يمكن الخالق أن يُخلق، أي أن صفاته ليست مخلوقة، هذه صفات تتبع الذات، والذات ليست مخلوقة، والخالق ليس مخلوق، إذًا صفاته مثله. فالصفات مثل الذات؛ حتى بنقول: القول في الذات كالقول في الصفات؛ بما أن الله عز وجل ذاته خالق فصفاته صفات الخالق.

نقف عند (الكلام).

المحاضرة السادسة

وقفنا عند آخر جزئية في فصل الأسماء والصفات، ومسألة الكلام وقول المؤلف – عليه رحمة الله تعالى– :

(كلّم موسى بكلامِه الّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه)

هذه الجملة فيها تقرير واثبات لصفة كلام الله عز وجل، فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله عز وجل كما يثبتون باقي الصفات، فالله عز وجل يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وقد جاءت النصوص في الكتاب تبين ذلك، وفي السنة أيضًا؛ قال تعالى:{ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} [النساء:164]، و{وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ} [مريم:52] ،{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143] .

فأهل السنة والجماعة يثبتون أن كلام الله عز وجل قائم به سبحانه وتعالى وليس بمخلوق، وأن الله يتكلم بصوت، ولهذا جاء وصف النداء، والنداء لا يكون إلا بصوت {وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ} ،إذًا لابد أن يكون الكلام بصوت وحروف مسموعة. وقال تعالى: {وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ} [الأعراف:22] ، وقال تعالى: {وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ} [القصص:62] .

إذًا هنا المؤلف يقول: **(كلّم موسى)** أي أن الله عز وجل كلم موسى، والله كلم موسى مرتين؛ كلم موسى عند ارساله أول مرة، وكلم موسى لما واعده؛{وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ} [الأعراف:142] ، فالله عز وجل واعد موسى على موطن الشجرة والمكان ليكلمه، قال تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [الأعراف:143] بعد أن واعده.

وكلام الله صفة ذات لله عز وجل، وقلنا صفة ذات وصفة فعل، ذاتية فعلية – كما بينا من قبل – **وكلام الله صفة له أي ليس بمخلوق، لأن المعتزلة والجهمية يقولون أن كلام الله مخلوق**، طيب كيف كلم الله موسى؟ قالوا خلق الله كلامًا في الشجرة فسمعه موسى – وهذا كلام باطل – معنى ذلك أنهم ينكرون أن الله يتكلم. ولكن الكلام صفة ثابتة لله عز وجل يثبتها أهل السنة والجماعة.

قال المؤلف: **(كلّم موسى بكلامِه الّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه)** وهذه الفتنة التي حدثت مع الإمام أحمد؛ فتنة أن القرآن مخلوق، وسُجِن فيها الإمام أحمد وعُذِّب وكثير من أهل العلم لذلك. لكن أهل السنة والجماعة يثبتون أن كلام الله صفة لله وأن كلام الله ليس مخلوق، خلافًا طبعًا لما زعم ذلك من الجهمية والمعتزلة والكلابية أيضًا. والأشعرية لهم كلام يقولون أن كلام الله معنى وليس له صوت وليس مسموع وليس له حروف، وهذا مذهب الأشاعرة وهذا أيضًا مذهب باطل لا يصح.

قال المؤلف:

(وَتَجَلّى للجَبَل فصار دَكًّا مِن جلالِه)

أي ظهر للجبل قدرًا من التجلي باشراق ونور فجعله دكًا، ما احتمل الجبل ولم يستقر لما تجلى الله عز وجل باشراق ونور. أراد موسى أن يرى الله عز وجل طمع في الرؤية بعد الكلام حتى يقال أن موسى بعد أن كلمه الله عز وجل لما رجع إلى قومه عاف كلام الناس شهرا، من حلاوة كلام الله الذي في أذنه، فعافى أن يسمع كلام الناس شهرًا من كثرة ما وجد من حلاوة الكلام مع ربه سبحانه وتعالى، فلما تكلم الله مع موسى طمع موسى – وحق له ذلك – أن يرى الله، فطلب الرؤية، فقال:{ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ} [الأعراف:143] ، فلما رأى موسى عليه السلام ما حدث للجبل خر موسى صعقا؛ أي صعق وغاب عقله حتى أغمي عليه طبعًا من هول المشهد، {فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الأعراف:143] .

والله عز وجل محتجب بالنور الذي هو حجابه النور سبحانه وتعالى، ويتجلى لمن شاء إذا شاء، كما حدث وتجلى للجبل فجعله دكا، ويكشف حجابه لمن يشاء؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى الأشعري:**[حِجابُه النُّورُ، لو كَشَفَه لأحرَقَت سُبُحاتُ وجهِهِ ما انتَهى إليه بَصَرُه مِن خَلقِه]**. ودلت النصوص أيضًا أن الله سبحانه وتعالى يتجلى يوم القيامة للمؤمنين وللمنافقين لما يأتوا على الصراط ويأتي الله عز وجل في صورة غير الصورة التي يعرفها أهل الإيمان، فيقول: أنا ربكم، قالوا لست بربنا، قال هل بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم، ثم يأتيهم الله بالصورة التي يعرفونها، فلما يأتيهم فقالوا: أنت ربنا. فيومئذ يكشف الله عز وجل عن ساقه، فيسجد أهل الإيمان ويحاول أهل النفاق أن يسجدوا فيمنعهم الله عز وجل، فينقلبوا على ظهورهم لأنهم لم يكونوا يسجدوا لله حقًا في الدنيا فمُنعوا لذلك في الآخرة، ثم يلقى بهم بعد ذلك في جهنم. وكذلك الله عز وجل يتجلى لأهل الجنة ويرونه أهل الجنة، – نسأل الله عز وجل جميعًا أن نرى الله عز وجل رؤية النعيم في الجنة.

قال:{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ } [الأعراف:143] ، وبعض أهل العلم يقولوا أن فيه دلالة على اثبات الرؤية، لأن الله عز وجل قال عن موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ} [الأعراف:143] ، طبعًا هنا أهل السنة يثبتون أصلًا رؤية الله عز وجل في الآخرة، وإلا لن يرى أحد الله في الدنيا، ولم يره النبي ﷺ حتى في حادثه المعراج لما سُئل هل رأيت ربك: قال: **[نور أنَّى أراهُ]** فلم يراه، وإن كان الله كلمه وفرض عليه الصلوات الخمسين ثم إلى خمس إلى غير ذلك من قصة الإسراء والمعراج. لكن الرؤية لله عز وجل في الآخرة ثابتة، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن أهل الإيمان سيرون الله عز وجل في الجنة، بل من أعظم النعائم هي رؤية الله عز وجل، فنعيم الجنة كله شيء وأن ترى الله عز وجل هذا

أمر آخر، والناس ترى الله عز وجل بحسب علو إيمانهم ودرجاتهم في الجنة، لكن الكل سيرى الله عز وجل لما يدخل الجنة، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، هذا دليل على اثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل لأنه قال: {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} "تعدي" النظر هنا، إلى الله عز وجل ناظرة، وهذا نظر العين. والكفار لن يرون، قال تعالى:{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15] محجوبون عن رؤية الله عز وجل، المفهوم أن هذا في الكفار، إذًا في أهل النعيم أنهم لن يُحجبوا عن الله عز وجل، بل سيروا الله عز وجل، بل كذلك جاء من قوله تعالى:{ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} [المطففين:23] أي أهل النعيم وأهل الجنة – نسأل الله أن نكون جميعًا منهم وأن نجتمع مع النبي ﷺ في الفردوس الأعلى – {عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} طيب إلى ماذا ينظرون؟ حُذِف شيء، عندنا قاعدة تقول: **حذف المعمول – الذي هو المفعول – هذا يدل على العموم**، فينظروا إلى أنهار الجنة، إلى أشجار الجنة، إلى ثمار الجنة، إلى الله أيضًا، فقالوا {عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ} أي ينظرون إلى نعائم الجنة، وينظرون لأعظم نعائم الجنة وهي رؤية الله عز وجل، بل أن النبي ﷺ لما سُئل عن رؤية الله قال:**[إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كما تَرَونَ هذا القَمَرَ، لا تُضامُّونَ في رُؤيَتِه]**، أنت الآن لما تقف والقمر بدر وأنت على الأرض تراه بسهوله أم لا؟ ولو وقف مليون واحد في الأرض سيروا أيضًا القمر أم لن يروه؟ قال: **[لا تُضامُّونَ في رُؤيَتِه]** أي لن تتداخلون ولا يُحجَب عنكم، وهذا طبعًا تشبيه وضوح رؤية القمر بوضوح رؤية لله عز وجل لكن ليس تشبيه القمر بالله سبحانه وتعالى،{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ} [الشورى:11]، لكن يبين لهم وضوح رؤيتكم لله عز وجل يوم القيامة كوضوح رؤيتكم للقمر وهو بدر وحتى لو كنتم أعداد كبيرة فتستطيعون أن تروا القمر لأنه في الأعلى فلا يضركم ذلك، فهنا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء.

إذًا سنرى الله عز وجل؟ نعم **سنرى الله رؤية بصرية**، لماذا أقول بصرية؟ لان بعض الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة نفوا الرؤية، قالوا لا توجد رؤية، وهم المعتزلة قالوا لو رأينا إذًا فهناك حيز وحجم وجسم، فجاء الناس الأشاعرة أتوا بكلام عجيب؛ قالوا توجد رؤية، فالآيات تقول: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، وقال النبي ﷺ **[سَتَرَونَ رَبَّكُم كما تَرَونَ هذا القَمَرَ]** قالوا لكن رؤية الله ليست رؤية بصرية، قالوا بل رؤية قلبية، أي رؤية علم! أي كأنه يأتي في قلبك بأنك ترى الله لكن عينك لا ترى الله! كلام عجيب! حتى أنهم أضحكوا الناس عليهم، فهم أرادوا أن يفروا من المعتزلة فقالوا أنه كأنه رؤية قلبية وليست رؤية بصرية. طيب لماذا بتقولوا ذلك؟ قالوا لو قلت رؤية بصرية إذًا أنت ستحيط بالله عز وجل وقال تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ} [الأنعام:103]! قلنا هناك فارق بين الرؤية والإحاطة؛ الإحاطة بالشيء أنك تحيط به فأنا الآن أريد أن أرى المبنى الذي نجلس فيه، فلازم أطلع بالطائرة من فوق أو أذهب مكان بعيد حتى أرى كل الجوانب الأربعة للمبنى فأكون قد أحطت به، لكن لو أنا أتيت من أي مكان أو من أي زاوية ورأيته حتى من على بعد كيلو فهل أنا اسمي

رأيته أم لا؟ فهناك فرق بين الرؤية والإحاطة. فنحن قلنا نحن سنرى الله ولكن لا يمكن أن نحيط بالله لأنه لا أحد يحيط بالله عز وجل. إذًا هناك فارق بين الرؤية وبين الادراك والإحاطة، فالله قد أثبت الرؤية ونحن نثبتها كما أثبتها النبي صلى الله عليه وسلم وأثبتها الله في كتابه. فالمهم أنها رؤية بصرية واضحة لا تكلُف فيها وليست رؤية قلبية، ولا رؤية علمية، ولا غير ذلك، ولا ننفي الرؤية، وكل هذا كلام باطل أصالة، لكن أهل السنة والجماعة يثبتون رؤية الله عز وجل.

ثم قال:

(وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فَيَنْفَدُ)

قال: **(وأنَّ القرآنَ كلامُ الله)** وهذا اعتقاد لابد أن يثبت عندكم وعند كل من ينتمي إلى أهل السنة والجماعة؛ أن كلام الله عز وجل صفة من صفاته وأنه ليس بمخلوق، هذا تأكيد لما شرحناه الآن، لكنه أتى يؤكد أن كلام الله **(ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ)** لماذا؟ لأن أي مخلوق له بداية وله نهاية ينتهي، لكن صفات الله عز وجل لا تنتهي، فلما قالوا أن كلام الله مخلوق فبذلك يكون كباقي المخلوقات تنتهي وتبيد! لكن كلام الجن مخلوق، وكلام الملائكة مخلوق، وكلام البشر مخلوق، لكن كلام الخالق ليس بمخلوق، كسمعه ليس بمخلوق، كبصره ليس بمخلوق، كعلمه ليس بمخلوق، كقدرته ليس بمخلوق، إذًا كلامه أيضًا ليس بمخلوق فهو صفة لله تكلم به الله عز وجل، سمعه جبريل عليه السلام، ونزل به جبريل فأخبره للنبي صلى الله عليه وسلم.

فالله يتكلم متى شاء بما شاء مع من يشاء؛ تكلم الله عز وجل مع السماوات والأرض، قال: {ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا} [فصلت:11] ، وتكلم الله عز وجل مع آدم وزوجه:، قال:{ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا} [البقرة:35] ، وتكلم الله مع النار أيضًا لما قال:{ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ} [الأنبياء:69] ، وأيضًا لما تكلم على النار فقال: **[أنَّ النَّارَ اشتَكَت إلى رَبِّها، فأذِنَ لَها في كُلِّ عامٍ بنَفَسَينِ: نَفَسٍ في الشِّتاءِ، ونَفَسٍ في الصَّيفِ]**، إلى غير ذلك.

قال: **(وأنَّ القرآنَ كلامُ الله، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ)** "يبيد" أي ينتهي، قال تعالى:{ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا} [الكهف:109] ، فكلام الله لا نهاية له، لا ينتهي لا أزلًا ولا أبدًا،{وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ } [لقمان:27] . فلذلك هو قال هنا بأن: **(كلامُ الله، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فَيَنْفَدُ)** ليرد طبعًا على الذين قالوا بأن كلام الله مخلوق.

وكلام الله ليس هو القرآن فقط؛ فالقرآن هذا الذي نزل على النبي ﷺ ، لكن **صفة الكلام أعم من القرآن**، فربنا تكلم مع الملائكة، وتكلم مع آدم، وتكلم مع السماوات والأرض، وتكلم بالكلام الذي هو

القرآن، فالقرآن هذا أحد كلام الله، فالقرآن كلام الله – وهذا هو المُدوَّن – لكن ربنا تكلم بغير القرآن أيضًا مع مخلوقاته.

هذا كان آخر الكلام للمؤلف في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات ختم به بصفة الكلام، سندخل الآن إلى فصل جديد، وهو عن مسألة الإيمان بالقدر.

نصيحة من فضيلة الشيخ للطلاب "في العلم عن الله بأسمائه وصفاته":

باب الأسماء والصفات من الأهمية بمكان، فهو أعظم الأبواب أصلًا في العقيدة، وهو الأصل فهو باب معرفه الله عز وجل وهو من باب الإيمان بالله، فهو أول ركن أركان التوحيد؛ فباب الإيمان بالله أنك تؤمن باسمائه وصفاته، وبربوبيته وبألوهيته، فهذا أعظم ركن من الأركان وهو الأصل، فتجتهد فيه أنك تعمل على أن تتعلمه، وتفهمه، وتعمل به، وتعيش به، فهو أعظم باب، باب لا ينتهي، بحر لا ساحل له حقًا، فأنت بتتكلم عن الله، ومعرفة الله.

فهذا الباب هو الذي ستعيش به حياتك كلها، لأن هو باب ما بينك وبين ربك؛ كيف تعرف أن ربنا رحمن، ورحيم، وعليم، وقدير، ومؤمن، وسلام، ومهيمن، وصفة الغضب، والإنتقام، وصفة المحبة، هذا هو الدين كله أصلًا؛ هو أنك تمشي في باب الأسماء والصفات، وأن يصاحبك في حياتك كلها في كل موقف من مواقفك فتستشعر فيه اسم أو صفة من صفات الله.

لذلك المسألة ليست دراسة منهجية فقط! فنحن بنعرف الأصول كتعلم عقيدة حتى تثبتوا على أصولها، لكن المسألة ما بينك وبين ربك؛ كيفية أن تعلو في باب الأسماء والصفات، وتغوص فيها، وتستشعرها وتكون الحلاوة معك فهذه عبادتك، فلازم أن يكون جزء مع الدراسة أنك تتعبد إلى الله بهذه الأسماء والصفات، وكيف أنك تتعرف عليه.

هو قال: "من أحصاها دخل الجنة" وقلنا الإحصاء هنا ليس فقط في أنك تحفظها، بل أنك تفهمها، وتتدبرها، وتعمل بها.

الآن أنت تعرف أن ربنا رحمن ورحيم، وأن ربنا كريم، وأن ربنا قادر، لكن أنت كيف بتتعامل مع هذه الأسماء والصفات في حياتك؟ كيف تلمسها في حياتك اليومية، حتى في عملك وفي عبادتك؟ عندما تعرف أن ربنا بيغضب، وينتقم، ولا يرضى عن المعصية، بعد ذلك عندما تصل لمرحلة أنك تخاف أن تفعل المعصية لأنك تعلم غضب الله فتكون قد وصلت لتدبر معنى الصفة هذه، فأنت بين أنك تعرف أن ربنا رحيم، وأن ربنا غفور، وأن ربنا شديد العقاب، وأن ربنا كريم، وأن ربنا غني، فهذا موجود في النصوص، لكن نحن بنتكلم في الباب هذا أنك تعتقدها وتعمل بها في حياتك كل يوم. وأن تعرف أن ربنا هو العدل فلا تظلم أحد، وبالتالي لا تظلمه حتى ولو في شيء بسيط حتى لو بينك وبين أولادك أو إخوتك أو أحد من معارفك، فبالكلمة لا تظلم، وبالفعل لا تظلم.

فهذا معنى أنك بتعيش بأسماء الله وصفاته في حياتك كلها، فهناك فرق بين أن النصوص موجودة في الكتب لكن نحن بنتكلم عن تدبرك لهذه الأسماء والصفات، لذلك نحن بنقول أننا لا نتعلم العقيدة فقط لمجرد أننا ندرس كتب! لا.

هو ما الفرق بين الصحابة وبين ما بعدهم؟ هم لم يتعلموا كتب، لكن هم عملوا بالعقيدة التي أخذوها عن النبي ﷺ في حياتهم، وفي بيوعهم، في زواجهم، في طلاقهم، في جهادهم، في عباداتهم، في أخلاقهم، هذا هو التطبيق. صحيح أننا بنتعلم حتى نعلم أصول أهل السنة والجماعة ونعرف لو جاء أحد يُدخِل عليك أفكار معينة فهذه هي الدراسة المنهجية، لكن لابد من ثمرة لهذه الدراسة، فالمسألة ليست في أنك تحفظ الكتب والمتون وتعرف المسائل ولكن عندما تأتي لتطبق العقيدة في حياتك فلا تطبقها! فلا يكون عندك ولاء ولا براء، ولا توالي أهل الإيمان وتعادي أهل الكفر، لا تنصر أهل الإسلام وتعادي أهل الكفر، وأنت قد درست أركان لا إله إلا الله؛ الولاء والبراء، والكفر والإيمان، والنفي والاثبات، نظل نرددها. لكن الصحابة لم يكونوا بيحفظوا هكذا! لا، هم كانوا بيطبقوا في حياتهم، وهذا الذي جعل الإسلام ينتشر والأمة تعلو، وأن يرضى ربنا عنهم. لما الرجل جاء للنبي ﷺ وهو يوزع قال: ليس على هذا بايعتك، قال: على ماذا؟ قال: بايعتك على أن أقاتل في سبيل الله فاضرب ها هنا فاقتل فأدخل الجنة، قال: (اصدق الله يصدقك) والرجل صدق الله فالله أصدقه. فكانوا بيطبقوا ما يتعلمونه من النبي ﷺ على طول.

وهذا هو الفرق بيننا وبينهم، لتعرفوا أن المسألة ليست في الدراسة المنهجية فقط، لكن المهم أكثر هو التطبيق، وهذا الذي بيغيب عن الأمة الآن، وإلا فالكتب موجودة والدراسات والأشياء لكن بنقع أحيانًا في مواقف وفتن بيظهر هل أنت بتطبق الذي تدرسه أم لا؟ فحملة القرآن بيرتلوا القرآن ليل نهار ويُحَفِّظوا، لكن هل يفهموا القرآن وبيطبقوا القرآن؟! وإلا ما كان هذا حالنا. لكن عندنا حُفَّاظ القرآن كُثُر، وحُفَّاظ السنة كُثُر، وأيضًا طلاب العلم موجودين. لذلك العلماء لم يكونوا يسموا العالِم عالِم لمجرد أنه حفظ العلم! فحفظ العلم والمسائل وفهمها لا يسموه عندهم عالِم، بل العالِم عندهم هو الذي يعمل بهذا العلم، هذا هو الذي يسمونه عالِم حقًا. لذلك أعظم العلماء في الأمة كانوا هم العلماء العاملين؛ إما عاملين في دعوتهم، في جهادهم، في نقل ذلك والتعليم، هذا هو الذي تجده العالِم العامل حقًا، وأما حفظ المتون والمسائل بدون أنك تعمل بها فهو كالوعاء موجود فيه العلم فقط لكن ما أديته. وهذه لابد أن تنتبهوا لها حتى لا تظن أن مجرد الدراسة هي المطلوبة! لا، المطلوب أننا نطبق هذا في حياتنا.

نرجع؛؛

قال:

(والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِه ومُرِّه، وكلٌّ ذلك قد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيده، ومَصدَرُها عن قضائه. عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قبل كَونِه، فجَرَى على قَدَرِه، لا يكون من عبادِه قولٌ ولا عَمَلٌ إلاّ وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤] يُضِلُّ مَن يشاء فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء فيُوَفِّقُه بفضلِه، فكلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلى ما سَبَقَ من علمه وقَدَرِه، من شَقِيٍّ أو سعيدٍ . تعالَى أن يكونَ في مُلْكِه ما لا يُريد ، أو يكونَ لأَحَدٍ عنه غِنًى، أو يكون خالقٌ لشَيءٍ إلا هو رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَرَكاتِهم وآجالِهم)

هنا انتقل المؤلف للكلام عن الإيمان بالقدر. والإيمان بالقدر كما قلنا الركن السادس من أركان الإيمان كما جاء في حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، فجاء في الإيمان فقال: **[أن تؤمنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ]**.

وباب القدر من أعظم أبواب الإيمان، من أعظم أصول الإيمان الإيمان بالقدر، وهو كما يقول علماؤنا: (دحض مزلة) أي وقع فيه ناس كثير في الفتنة أو المخالفة، لذلك من أهم الأبواب التي لابد أن يضبطها طالب العلم باب الإيمان بالقدر، وهو من أعظم الإيمان، كان علمائنا يقول: (والله ما اجتهدت في العبادة إلا بعد أن درست وعلمت باب الإيمان بالقضاء والقدر)، وهذا ممكن يتراءى لكم أثناء الشرح.

وهذا الباب – كما قلت – جاء أصله في حديث جبريل؛ أن تؤمن بالقدر خيره وشره، فهو قال هنا: **(والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه)** ماذا يعني الإيمان بالقدر؟ أن تؤمن بأن كل شيء بقدر من الله عز وجل، وأن الله عز وجل قد قدَّر مقادير كل شيء، فكل شيء في هذا الكون من خير أو شر قد قدره الله عز وجل.

والقدر: هو تقدير المقادير، لذلك القدر يُطلق على فعل الله عز وجل نفسه (التقدير)، ويُطلق أيضًا على مقادير الأشياء المقدرة، أي على الفعل وعلى المفعول، هذا يسمى قدر، فالقدر يُطلق على فعل الله عز وجل؛ الذي هو تقدير الأمور، مقادير الأشياء، ويطلق على الشيء المُقدر نفسه، الشيء الحادث الذي بيكون أصالة. فلذلك البعض عندما يحدث شيء يقول لك: "قدر الله عز وجل وما شاء فعل" على الشيء الذي حدث نفسه. والفعل نفسه يُطلق عليه القدر أيضًا.

لكن حتى تؤمن بالقدر لابد أن تؤمن بأربع أصول هي أربع كلمات؛ أو أربع مراتب للإيمان بالقدر:

(علم، فكتب، فشاء، فخلق)، لا يمكن أن تؤمن بالقدر إلا أن تؤمن بأربع مراتب للقدر؛ "**علم**" العلم، "**كتب**" أنه كتب – كما سيأتي معنا – كل شيء في اللوح المحفوظ، "**أراد وشاء**" لا شيء في الكون بدون إرادة ومشيئة الله، "**فخلق**".

لا يصح إيمانك بالقدر حتى تؤمن بـ :

1- <u>علم الله</u>:

أن الله عز وجل أحاط بكل شيء علما، {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ} [الأنفال:75] ، علم ما كان في القرون السابقة وأخبرنا بها، علم ما سيكون إلى قيام الساعة وبعد نزول الناس منازلهم أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون،{لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ} [الأنبياء:22] ، وهذا علم المستحيل، لا يمكن أن يكون آلهة غير الله. ولما قال الكفار نرجع إلى الدنيا فقال عز وجل: {وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ} [الأنعام:28] ؛ أي لو رجعناهم للدنيا سيرجعوا للكفر، والله لن يرجع أحد للدنيا بعد أن يموت. فهذا "العلم"، لابد أن تؤمن بعلم الله عز وجل لكل شيء.

2- <u>أن تؤمن بالكتابة</u>:

أن الله قد كتب المقادير، والإيمان بالكتابة هو الإيمان بأكثر من مرتبة:

- أول مرتبة أنك تؤمن بأن الله قد كتب كل شيء في **<u>اللوح المحفوظ</u>**، قال تعالى:{ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ} [الحج:70] ، وقال تعالى:{ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [الأنعام:59] ، وقال تعالى:{ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ} [فاطر:11] ، وقال:{فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ* لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ} [الواقعة:78-79] ويقصد به هنا اللوح المحفوظ، و{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ} [الحديد:22] . فالله عز وجل كتب كل شيء، لكن كتب أولًا في اللوح المحفوظ {وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ} [يس:12]، فهنا "بإمام مبين" هو اللوح المحفوظ، وهذا الذي لا يتبدل {يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ} [الرعد:39] ، "أم الكتاب" هو اللوح المحفوظ. فكل شيء؛ ما كان، وما سيكون إلى أن يشاء الله كُتب في اللوح المحفوظ.
- وهناك كتابة أخرى؛ أن الله كتب بعد ذلك في **<u>صحف الملائكة</u>** التي تنزل بها الملائكة، وهذه الكتابة تتبدل؛ أي تنزل ثم تتبدل.
- والله كتب لما أرسل المَلَك للجنين في بطن أمه وهو حديث: **[إنَّ أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه ملَكا، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه، ورزقَه، وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيدٌ].**
- ثم الكتابة الرابعة؛ أن الله يكتب مقادير كل عام في ليلة القدر، تنزل كتابات ليلة القدر؛ من سيحج، من سيموت، من كذا، كلها تكون في ليلة القدر.

فهذه كتابات متعددة لكن أصل الكتابة كلها في اللوح المحفوظ، ولابد حتى تؤمن بالمرتبة الثانية في القدر أن تؤمن بأن الله قد كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

3- أن تؤمن بالإرادة والمشيئة:

وأنه لا خروج لشيء عن مشيئة الله عز وجل، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى:{ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الإنسان:30] ، يعني للمرء مشيئة؟ نعم، لكن المشيئة هذه تحت مشيئة الله عز وجل، قال تعالى:{فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [البروج:16] سبحانه وتعالى، وقال تعالى:{وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ} [الحج:16]، وقال تعالى:{ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ } [فاطر:8] إذًا هنا الإرادة والمشيئة. وقال: {يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ} [الشورى:49] ، وقال:{يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ} [الشورى:12] .

إذًا لابد تؤمن بأن لله إرادة ومشيئة تامة على كل الخلق، لا يمكن أن يفعل أي مخلوق في هذا الكون أيًا من كان شيء بدون إرادة ومشيئة الله عز وجل. وسيأتي الكلام أن الإرادة والمشيئة على نوعين؛ إرادة ومشيئة كونية، وإرادة شرعية، سنفصلها إن شاء الله، لكن المهم أن تؤمن أولًا بإرادة الله عز وجل؛ هذا الأصل الثالث.

4- أن تؤمن بعموم خلق الله:

أن الله خالق كل شيء؛{وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [الصافات:96] ، خلق الإنسان وخلق أعماله أيضًا سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ} [الزمر:62] ، وقال:{إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ} [القمر:49] . فهنا لابد أن تؤمن بأن الله خالق كل شيء، لا يمكن لأحد أن يخلق شيئًا من عدم إلا الله عز وجل، وحتى أفعال العباد؛ فالله خلق العباد وخلق أفعال العباد.

هذه أربع أصول لا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها؛ علم وكتب وشاء وخلق، وحتى تفهموا فالأربعة يكونوا معًا وليست المسألة على الترتيب، فكله قدر، وكله الله عز وجل فعله، فهي المسألة لا تظن أنها ترتيبية، لكن لابد تعلم معنى الإيمان بالقدر أنك تؤمن بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل شيء، والباقي أن تؤمن بصحف الملائكة والقدر وغير ذلك من الكتابة، وأن تؤمن بكلية علم الله عز وجل، وأن تؤمن بإرادة الله ومشيئته أن لا أحد في الكون يفعل شيء بغير إرادة الله، وأن تؤمن بعموم خلق الله عز وجل.

طيب،، لماذا بنقول بالأربع مراتب هذه؟ لأن هناك فرقتان ضلتا في القدر؛ فرقة تسمى الجبرية، وفرقة تسمى القدرية؛

فرقة تسمى **(الجبرية)**: قالوا نحن معكم أثبتنا كل الذي تقولوه، بل هم غلوا في ذلك، كيف غلوا؟ قالوا: ربنا بيفعل كل شيء إذًا العباد لا تفعل شيء، وأن العبد هذا مثل الريشة في الهواء تحركه يمين وشمال، مثل المرتعش الذي يعمل حركات لا إرادية، فهو قال لك أن العبد كذلك، مثل الريشة في مهب الريح، سموهم جبرية، وهؤلاء جعلوا أن العبد ليس له أفعال، وحتى الذي يفعله العبد كأن الله عز وجل هو الذي يفعله – حاشاه ذلك– أي ليس للعبد لا مشيئة ولا قدرة. طيب أنت رفعت يدك الآن، من الذي جعلك ترفع يدك؟ أنا أردت أن أرفع يدي، مشيئة وقدرة، أنا خرجت حتى الباب ورجعت، فقالوا لا ليس له مشيئة وأن كله بفعل الله، ونحن بنثبت القدر، الله عز وجل يقول: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الإنسان:30] إذًا ربنا أثبت أن هناك مشيئة أم لا؟ لكن لا يمكن أن تشاء أنت شيئًا لم يشاءه الله، لكن لك مشيئة. هم قالوا: لا، أفعال العباد كلها ليس لهم فيها مشيئة، وهذه طائفة سمت نفسها: الجبرية.

ثم طائفة ثانية سمت نفسها: **(القدرية)** والذين قالوا أن العباد مستقلون بأفعالهم، قالوا أن العباد بتفعل معاصي وتفعل ذنوب وتفعل طاعات، قالوا لو قلنا بأن الله خالق كل شيء فكيف أن ربنا خلق الشر؟ ولو ربنا هو الذي له الإرادة والمشيئة فكيف ربنا يريد المعاصي؟ فقالوا إذًا العباد هم الذين يفعلوا، هم الذين يخلقوا أفعالهم بأنفسهم. وهذا كلام باطل، لأن العبد بيفعل المعصية نعم هو الذي يفعلها، لكن خالق الأفعال كلها هو الله عز وجل، فالله هو الموجد للأفعال؛ سواء خير أو شر، لكن الذي يباشر الفعل هو العبد. فلازم تفرق بين هذه وهذه.

جاء ناس في النصف، وهؤلاء هم **(الأشاعرة)**، هم أرادوا أن يفروا من كلام القدرية وفي نفس الوقت لا يستطيعوا أن يقولوا بكلام الجبرية بالضبط، فاخترعوا شيء قالوا: أن أفعال العباد هي خلق لله لكن هي كسب من العباد. ما معنى الكسب؟ قالوا أن الكسب هذا هو الفعل المقارن للقدرة الحادثة. وحتى تفهموا ما معنى ذلك؛؛ أنا لو أحضرت الآن القلم وألقيته على الزجاج فكسره، فهل ستقول أن القلم هو الذي كسر الزجاج؟ أنا رميت القلم فالزجاج كُسِر بسبب القلم. فنحن عندنا ارتباط ما بين أن القلم هو السبب، والمُسبَّب الكسر، فالقلم كان سببًا في الكسر، طيب من الذي جعل القلم سبب في الكسر؟ الله جعل أن القلم هذا قوي والزجاج هذا ضعيف فالقلم سبب في الكسر، فالتأثير حدث بسبب القلم لكن من الذي خلق التأثير أصلًا وجعل أن القلم هذا يكون قوي ويكسر الزجاج؟ هو الله عز وجل. فنحن نقول بأن القلم كان سببًا في الكسر، والقلم أثر في الكسر لكن التأثير هذا مش منه لوحده، لكن ربنا هو الذي جعل القلم له هذا التأثير، لأن ممكن يضرب في الزجاج ولا ينكسر، وممكن مره تضربه ينكسر. **لكن الأشاعرة يقولوا:** لا يصح أن نقول أن القلم سبب في الكسر، فهو مخلوق، فكأنه بذلك هو الخالق. طيب ما الذي حدث؟ قالوا عندما جاء القلم عند الزجاج فليس القلم هو الذي كسر لكن ربنا هو الذي خلق الكسر مقارن عند وجود القلم عند الزجاج!! كلام طبعًا لما تضعه على عقلك تقول ما هذا الذي تقولوه ولماذا كل هذا أصلًا؟! ما الهدف؟! قالوا نحن لو قلنا أن القلم هو الذي كسر إذًا كأن القلم هو الذي خلق التأثير، والمفروض أن الذي يخلق التأثير هو الله. قلنا لهم طيب ما هو الله عز وجل ممكن يجعل التأثير هذا

يحدث وممكن لا يحدث؛ {قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ} [الأنبياء:69] ، فنزل إبراهيم عليه السلام في النار ربنا جعل النار لا تحرق إبراهيم، ولو نزل واحد آخر في النار ستحرق. سيدنا خالد شرب السم والله لم يجعل للسم تاثيرًا اعتقادا بأن الله عز وجل هو الذي قد يُخلِّف السبب عن التأثير.

فهم أرادوا أن يفروا من كلام القدرية الذين قالوا أننا الذين نخلق أفعالنا، فجعلوا شيء اسمه (الكسب) وهو الفعل المقارن للقدرة المحدثة، مقارن، أي أنت عليك فقط أن ترمي القلم لكن القلم لم يكسر الزجاج لكن ربنا هو الذي خلق الكسر وقت ما جاء الإثنين مع بعض! وهذا كلام باطل ما يصح، كأنهم بيفروا من التأثير. ونحن نقول أن الله عز وجل جعل لهذا القلم تأثيرًا، وإن شاء سلب التأثير وإن شاء جعل التأثير. من الذي خلق التأثير؟ هو الله، فالله بيخلق الأسباب ويجعلها مسببة لحدوث الأشياء، وليست الأسباب هي التي تخلق نفسها بنفسها.

هذه خلاصة المسألة، ونحن في المرحلة هذه لا نحتاج أكثر من أن نعرف ما المقصود بالجبرية وما المقصود بالقدرية، ولابد أننا نؤمن بالأربع مراتب.

القدرية مشكلتهم أنهم يقولون أن العباد خالقون لأفعالهم، ومعنى ذلك كأنهم يقولون أن ربنا لا يقدر أن يجعل المؤمن كافر والكافر مؤمن، وأن المؤمن أصبح مؤمن بأفعاله، والكافر أصبح كافر بأفعاله، لماذا قالوا ذلك؟ قالوا لأن العباد بيخلقوا أفعالهم، فكأنهم أرادوا أن ينزهوا الله على أنه خلق مؤمن وكافر فقالوا كيف ربنا يخلق مؤمن وكافر، وهذا في الجنة وهذا في النار؟ فنجعل أنهم هم الذين بيجعلوا نفسهم مؤمنين وهم اللي بيجعلوا نفسهم كافرين! وهذا أيضًا كلام باطل، لأنك نعم أنت لك هداية لكن الله هو الذي بيهديك أو هو الذي يضلك – وهذه كونًا وشرعًا ستأتي – أن الله كتب كونًا أن أبو بكر يؤمن، وأراد شرعًا أن أبو بكر يؤمن، فأبو بكر كان كونًا وشرعًا وفقًا لمراد الله، ومسألة كونًا وشرعًا ستأتي معنا لأنه ذكرها هنا، لكن الذي أريده الآن خلاصة القول بأنك تؤمن في القدر بالأربع مراتب وتفهم معنى الإيمان بهذه المراتب الأربعة، وتفهم معنى الجبرية ومعنى القدرية بهذا القدر.

قال:

(والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِه ومُرِّه، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا)

يريد أن يقول أن الإيمان بتقدير الله عز وجل، الخير من الله، والشر الواقع في الوجود أيضًا بتقدير من الله، فالإيمان هنا في القدر أنك تؤمن بتقدير الله عز وجل لكل شيء؛ سواء قدره الله خيرًا أو قدره شرًا، حلوًا أو مرًا، لماذا؟ لأن القدر هذا قلنا فعل الله، ولا يمكن أن يفعل الله عز وجل إلا خير. إذًا **لو من باب فعل الله عز وجل** لابد أن تقول أن كل فعل الله خير. **لكن من باب المفعول**؛ الله فعله في كل شيء خير لكن قد يقدر الخير والشر، فهناك مفعولات لله فيها خير ومفعولات فيها شر، والله لا يقدر شرًا محضًا؛ إما يكون خيرًا محضًا أو خير ومعه الشر، ولكن الشر هنا إما لابتلاء، لحكمة، لكن ليس هناك شر محض، بل لابد أن يكون فيه خير، حتى أنه يبتلى المرء فيصبر فينتفع بعد ذلك. إذًا الله عز وجل

تقديره وقضائه كله خير فعلي لا شر فيه، بل هو عدل وحكمة، كل أفعاله خير، لكن الشر يكون في المخلوقات والمفعولات؛ فإبليس وجنوده شر، هذه من مخلوقات الله عز وجل، والأشياء الضارة؛ خلق الحيات، خلق العقارب فيها شر، هذه من المخلوقات، لكن خلق الله عز وجل لهذه المخلوقات التي قد يكون فيها ضرر أو شر لحكمة. خلق إبليس مع أنه فيه شر لكن لحكمة أن الناس لو ردت وساوس إبليس ولم تسمع له فازت وكان جزائهم عند الله عز وجل أنهم يدخلون الجنة، وفيها حكمة أن الله يفرق بين المسلم والمنافق الذي يتبع إبليس أم لا يتبع إبليس، فمع أنه شر لكن هناك حكمة من هذا الخلق.

فأنت لابد أن تؤمن بأن الله لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يخلق شيئًا إلا لحكمة هو أعلم بها سبحانه وتعالى. فلذلك قال: **(حُلْوِهِ وَمُرِّهِ)**، وهذا كأنه من تنويع الكلام لأنه قال: **(خَيْرِهِ وشَرِّه)** ثم قال: **(حُلْوِهِ وَمُرِّهِ)** من باب تنويع الكلام، لكن قد يكون فيها أيضًا فائدة لأن الأمور منها ما هو حلو؛ بعض الناس يظن أنه حلو أو ذوق الناس يستحسنونه ويكون هو فيه شر، والبعض قد يكون الناس تكرهه وفيه خير؛{كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ } [البقرة:216] ، انظر الناس تكره القتال نعم، تكره الدماء، تكره القتال والاقتتال حقًا، لكن الله عز وجل بيَّن أن هذا فيه خير مع أنكم تكرهونه لكن هو فيه خير لكم، فيه عزة، فيه نصر، فيه نشر للدين، فيه حفظ بعد ذلك لبقية الأنفس، وارتفاع للدين، فيه فوز من مات فكان من الشهداء وله الجنة، إلى غير ذلك.

وفيه أن أشياء قد يظنها الناس حلوة أو يستحسنوها مثل الشهوات؛ فالشهوات بعض الناس تستلذ بها وتستمتع، والشهوات نعم فيها من اللذة لكنها محرمة – الشهوات المذمومة ففيها لذة نعم؛ فالمرء الذي يفعل الفاحشة فهو ممكن يستلذ في هذا الفعل لكنه بيفعل كبيرة من الكبائر.

لذلك الحلو والمر لابد أن يكون بتقدير الشرع وليس باستحسان الناس، ليس بالذي يظنه أنه حلو أو يظنه أنه مر! لا، بما يرضاه الله عز وجل للناس، الحلو والمر يرجع لتقدير الله عز وجل، لأن المصائب مثلًا فيها مرارة، المصيبة لما بتنزل عليك ففيها مرارة في النفس لكن إن صبرت واسترجعت وآمنت يكون فيها خير كثير بعد ذلك لك، وهي فيها مرارة لكن الله يقدرها عليك إما أن ينقيك من الذنوب والمعاصي، وإما يجعلك تصبر فترتفع درجات، فهي في ظاهرها مرارة لكن في باطنها فيها خير وفيها حلو بعد ذلك.

وقد قال النبي ﷺ : **[حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ]**، وهذا حق؛ حفت الجنة بالمكاره؛ لذلك تأتي في الطاعة تجد الناس بتكابد نفسها مع أنها طاعة، لماذا؟ لأن هي سبيلك للجنة فبتجاهد، لكن في الشهوات والملذات التي هي سبيل للنار سهلة جدًا أن تفعلها ولا تجاهد نفسك حتى تعصي لكن بتجاهد نفسك حتى تطيع، فحفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وهذه حكمة لله وإلا لو كانت المسألة أن النار أصلًا الإنسان بيكرهها وأفعالها مكروهه لم يكن أحد سيدخل النار، ولو الجنة هكذا كان كل الناس دخلوا الجنة، لكن لابد أن تظهر معاناتك ومجاهدتك في فعل ما يدخلك الجنة والابتعاد عن ما يكون سببًا في دخولك النار.

قال النبي ﷺ : **[والشَّرُّ ليس إليكَ]**، ماذا يعني قول النبي ﷺ ونحن كنا بنقول أن ربنا بيخلق الشر والخير، والحلو والمر، ثم النبي ﷺ قال: (والشر ليس إليك) هذا دعاء للنبي ﷺ أي أن الشر ليس من عندك، طيب كيف يستقيم هذا مع الذي بنقوله وهو أن تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره؟ قال "والشر ليس إليك" أي ينزه الله عن الشر، وهذا معناه أن الله لا يخلق شرًا محضًا، بل الشر نسبي في المخلوقات، وربنا لو خلق بعض الأشياء فيها شر إذًا فهذه مصالح وحكم، ومعنى أن يقول "والشر ليس إليك" أي فعل الله – وقلنا هناك فرق بين الفعل والمفعول – فعل الله ليس شر، لابد أن يكون خير، لكن ممكن يخلق الله عز وجل مخلوقات فيها شر؟ نعم، فمعنى أن "الشر ليس إليك" أي يارب كل فعلك خير حتى وإن كانت المخلوقات فيها بعضها الخير والشر لكن كلها خير، إذًا أنت ما أردت بهذا الفعل إلا الخير، وما خلقته من مخلوقات فيها شر فهذه لحكمة ولمصالح يعلمها الله عز وجل، لكن كل ما خلقه الله عز وجل إما خيرًا محضًا أو خير معه شر، ووجود الخير لحكمة بالغة، ووجود الشر أيضًا فيه لحكمة بالغة.

لذلك لما جاءت الآيات وبعض الأحاديث ما نُسِب الشر إلى الله عز وجل تأدبًا، لذلك لما قال النبي ﷺ : "والشر ليس إليك" أي ينفى النبي ﷺ وهو بيدعو أن الشر ليس من عندك يارب، مع أننا بنؤمن أن كل شيء من عند الله عز وجل، فهنا قاله من باب التأدب لأن الله خالق كل شيء؛ خالق الشر والخير، الموت والحياة، لكن عندما تتكلم عن نسبة الشر بنتأدب كما تأدبت الجن، قالوا:{ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن:10] ، هنا لما أرادوا بالشر قالوا (أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ) بالمبني للمجهول، (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) ولما جاءوا في الخير فصرحوا، فهنا تأدبًا مع الله عز وجل. وأيضًا قال تعالى عن إبراهيم:{ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء:80] ، لم يقل "إذا أمرضني"، بل نسب لنفسه، وهذا من باب التأدب في الدعاء مع الله عز وجل وفي والكلام أن حتى لو يوجد شيء شر فلا يُنسَب مباشرة إلى الله مع أن الله خالق الخير وخالق الشر، لأن الله خالق كل شيء. قال:{وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء:79-80] ،(وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ) انظر.. لكن قال في المرض: (وَإِذَا مَرِضْتُ) وليس (وإذا أمرضني فهو يشفين) لا، تأدب مع الله عز وجل فلم ينسب له ذلك، هذا من باب الأدب في الإخبار عن الله عز وجل.

قال:

(ومَصدَرُها عن قضائِه)

أي مصدر الأمور كلها في الكون فمالكها الله عز وجل {تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ} [الملك:1] .

نقف عند: **(عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَونِه)** فيها تفصيل في العلم والقدر والإرادة والمشيئة الكونية،.. وغير ذلك، هذه نجعلها إن شاء الله في الأسبوع القادم.

المحاضرة السابعة

كنا قد بدأنا الأسبوع الماضي في الإيمان بالقدر، تكلمنا عن الإيمان بالقدر، سأقرأ مره أخرى المتن وإن شاء الله نكمل الإيمان بالقدر، قال:

(والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِه وَمُرِّه، وكلُّ ذلك قد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيده، ومَصدَرُها عن قضائه. عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قبل كَونِه، فجَرَى على قَدَرِه، لا يكون من عبادِه قولٌ ولا عَمَلٌ إلاّ وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤] يُضِلُّ مَن يشاء فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء فيُوَفِّقُه بفضلِه، فكلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلى ما سَبَقَ من علمه وقَدَرِه، من شَقِيٍّ أو سعيدٍ . تعالَى أن يكونَ في مُلْكِه ما لا يُريد ، أو يكونَ لأَحَدٍ عنه غِنًى، أو يكون خالقٌ لشيءٍ إلا هو رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَرَكاتِهم وآجالِهم)

هذا القدر هو الإيمان بالقدر يتكلم عنه المؤلف، وقلنا الإيمان بالقدر هو ركن من أركان الإيمان الستة **[أن تؤمنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ]** الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام لما جاء يسأل النبي ﷺ ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وهو الأصل السادس لا يصح إيمان أحد ما لم يؤمن بهذه الأركان الستة، ومن لم يؤمن بركن من هذه الأركان الستة لا يكون مسلمًا. فهنا قال: **(والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِه وَمُرِّه)**. وبينا أن الإيمان بالقدر يكون على أربع مراتب، العلم (علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون)، والكتابة (الكتابة في اللوح المحفوظ– الكتابة العمرية " كتابة الملك للجنين"– الكتابة في صحف الملائكة – الكتابة الحولية في ليلة القدر)، الإرادة والمشيئة (أن كل شيء في هذا الكون لا يحدث إلا بمشيئة من الله عز وجل، وأن للمخلوق مشيئة لكنها تحت مشيئة الله)، والخلق؛ والخلق على نوعين؛ النوع الأول: الخلق من عدم، والنوع الثاني: الذي يشترك فيه العباد وهو تحويل الشيء من صورة إلى صورة، فالخشب يكون مكتب، والحديد بيكون سيارة. وقلنا أن الله خالق العباد وأفعال العباد وهذه مهمة جدًا لأننا تكلمنا عن ما يسمى القدرية؛ الذين قالوا أن العباد بتخلق أفعالها، فمعنى أن الله خالق كل شيء أن الله خالق كل المخلوقات – وخالق العباد طبعًا تحديدًا – وأفعال العباد. فهذا الإيمان بمراتب القدر الاربعة؛ (علم فكتب فأراد وشاء فخلق) ، هذه كانت مراجعة على الأسبوع الماضي.

وقفنا عند:

(ومَصدَرُها عن قضائه)

أي مصدر الأمور، كل الأمور بتحدث بقضاء الله عز وجل، فالله عز وجل مالك كل شيء،{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ } [الملك:1] ، ومصدر الأمور عن حكمة من الله، وعن قضاء، وعن مشيئة.

قال:

(عَلِمَ كلّ شيْءٍ قبل كَونِه)

وهو الإيمان بعلم الله عز وجل السابق لكل شيء، قبل كل شيء الله عز وجل علمه وكتبه في اللوح المحفوظ وأراده وخلقه؛ والأربع مراتب هذه قلنا أنها ليست على الترتيب، لكن هي كلها من قدر الله عز وجل.

(عَلِمَ كلّ شيْءٍ قبل كَونِه، فجَرَى على قَدَرِه)

أي كل شيء جرى في الكون على قَدَر الله عز وجل بعلمه؛ ومن علمه قدره، فلا يحدث شيء في الكون إلا بعلم الله وارادته ومشيئته وخلقه له.

(لا يكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلاّ وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به)

إذًا أفعال العبادات كلها الله عز وجل قد علمها وكتبها قبل أن تحدث.

قال:

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}

ثم قال:

(يُضِلُّ مَن يشاء فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء فَيُوَفّقُه بفضلِه)

هنا مسألة الإرادة والمشيئة؛ فالله عز وجل هو الذي له الإرادة والمشيئة، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن يضله فهذا من عدل الله عز وجل لأن الله قد سبق في علمه أن هذا ليس من أهل الهداية بل هذا من أهل الضلالة، ويهدي الله عز وجل ما يشاء وهذا من فضل الله عز وجل وكرمه سبحانه وتعالى، قال تعالى:{ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ } [النحل:93] ، والآيات كثيرة جدًا على مسألة أن الضلالة والهداية من الله عز وجل، وكلها بمشيئة من الله عز وجل.

قال:

(فكلٌّ مُيَسّرٌ بتَيْسيره إلى ما سَبَقَ مِن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ)

وهذه الجملة مهمة لأن هذه هي التي تشغل بعض الناس كثيرًا، لما تقول طالما أن الهداية من الله والضلالة من الله، فما الذي يكون من عندنا؟! يقول هنا أن كل ما يفعله العباد من طاعات أو معاصي قد سبق ذلك في علم الله عز وجل أولًا، وقد كتبه الله عز وجل أولًا، وقد أراده الله عز وجل إما كونًا أو

شرعًا – كما سيأتي معنا – وخلق العباد وأفعالهم، كل هذا في القدر، ثم الله عز وجل لما كتب ذلك كتب هؤلاء ميسرون لكذا وهؤلاء ميسرون لكذا. هو يريد أن يقول أن كل ميسر بتيسير الله إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد؛ أي أن هؤلاء أهل الشقاوة وهؤلاء أهل السعادة.

طيب؛؛ كل هذا فيما سبق؟ نعم، سُئل النبي ﷺ **[فيما العَمَلُ اليَومَ؟ أفيما جَفَّت به الأقلامُ وجَرَت به المَقاديرُ، أم فيما نَستَقبِلُ؟]** الصحابة سئلوا النبي ﷺ أن الذي بيعمله الناس الآن "أفيما جفت به الأقلام" أي كتبت الأقلام، وانتهى، "وجرت به المقادير" أي أن الله قدره؟ "أم فيما نستقبل؟" أي في الذي سنستقبله لم يُكتب بعد؟ فقال النبي ﷺ : **[لا بل فيما جفَّتْ به الأقلامُ وجرَتْ به المقاديرُ]**، إذًا هو شيء قُدِّر من قبل وقد كُتِب، فقالوا:**[ففيم العملُ؟]**، إذا كان كل شيء كُتب وقُدر ففيم العمل؟ فقال النبي ﷺ:**[اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له]،[أمَّا مَن كان مِن أهلِ السَّعادةِ فيُيَسَّرُ لعَمَلِ أهلِ السَّعادةِ، وأمَّا مَن كان مِن أهلِ الشَّقاءِ فيُيَسَّرُ لعَمَلِ أهلِ الشَّقاوةِ، ثُمَّ قَرَأَ: {فأمَّا مَن أعطى واتَّقى وصَدَّقَ بالحُسنى فسَنُيَسِّرُه لليُسرى وأمَّا مَن بَخِلَ واستَغنى وكَذَّبَ بالحُسنى فسَنُيَسِّرُه للعُسرى} [الليل: 5- 10]]** .

فكل ميسر لما خلق له؛ سواء الشقاوة أو السعادة، والله عز وجل كتب أهل السعادة فمن كان من أهل السعادة يُسر له أن يعمل بعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يُسر لعمل أهل الشقاوة فيكون شقيًا. وهذه مسألة مهمة لأنها تختلط على الناس كثيرًا؛ **مسألة المُخيَّر والمُسيَّر وهل نحن مجبرين أم غير مجبرين؟** نقول كل شيء كُتِب نعم، وعُلِم نعم، والله عز وجل لا يحدث شيء في الكون إلا بعلمه، لكن الله خلق لك الإرادة، والله نعم يعلم أنه سيُعرَض عليك الالتزام فتلتزم، وتُعرَض عليك المعاصي فتتجنبها، وغيرك يُعرض عليه الالتزام فلا يلتزم، وتُعرض عليه المعاصي فيفعلها. فالذي فعل المعاصي أو فعل الطاعة هو العبد نفسه، لكن هل الذي فعله هذا الله لا يعلمه؟ بل يعلمه، وكتبه وخلق لك الإرادة وأنت الذي اخترت هذا الطريق، لكن هو في الأصل مكتوب ومعلوم.

بعض الناس بنعرفها لهم بأن نقول له لو أنت في الجامعة أو في المدرسة يوجد شيء اسمه الكنترول الذي تظهر فيه النتيجة أولًا ثم تُعلَم بعد ذلك، فهو يقول لك عرفتها من الكنترول، فأنت بتكون قد عرفت النتيجة من الأول من الكنترول قبل ما تُعلن، فهو يعرف النتيجة ثم بعد ذلك بتعلن النتيجة الموجودة. ولله المثل الأعلى؛ الله عز وجل يعلم كل شيء، لأنه هو الخالق لكل شيء، يعلم أن فلان هذا سيعرض عليه لكن هو بدل ما يصلي سيفعل الذنب، أو هذا سيذهب ليصلي ولا يفعل المعصية. فسابق علم الله يعلم ما كان سيفعله البشر، لكن الذي فعل حقيقة هم البشر، فيحل لك الإشكال. هم حتى سألوا النبي ﷺ إذا كان كل شيء كُتِب ففيم العمل؟ قال: **(اعملوا)** كتابة الأشياء هذه الله كأنه يعلم ما سيكون لأنه الإله، لكن هل هذا معناه أنك لا تفعل الأشياء بنفسك؟ لا، أنت الذي تفعل بنفسك. فأنت لذلك ستحاسب على نفسك، فلماذا توجد جنة ونار؟ لأنك أنت الذي تفعل، فمن فعل الطاعة كان من أهل الجنة، ومن

فعل السيئات كان من أهل النار. فحتى لا يختلط عند البعض مسألة قدرية أن الله مُقدِّر لكل شيء ومسألة إرادة المخلوق وأفعاله، لذلك قال:

(تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد)

وهذا تنزيه الله عز وجل عن العجز سبحانه وتعالى هو الكامل، وأنه **(تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد)** لكن هذه الكلمة هو يقصد بها أنه ما في شيء يحدث في الكون بدون إرادة، وهذا رد على القدرية، فهم يقولوا أن العبد يخلق أفعاله، وهو يريد أن يقول أن **(تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد)** إذًا كل ما في الكون من إرادة الله، إذًا أفعال العباد أيضًا بمشيئة الله. هم القدرية يقولوا أن أفعال العباد ليست بمشيئة الله، يقولوا ذلك حتى لا ينسبوا إلى الله الشر، لأن هناك شرور ومعاصي وذنوب يفعلها العباد، فيقولوا كيف أن الله يخلق ذلك؟ فأرادوا أن ينزهوا الله عن ذلك، فجعلوا أن الشرور هذه والمعاصي والسيئات أن العباد هم الذين يفعلوها بأنفسهم، وهم من يريدوها، وهم من يخلقوها! وهذا خطأ، فالله يخلق كل شيء نعم، لكن فعل الشرور والمعاصي من العبد؛ العبد هو الذي يباشرها، والله أوجدها نعم كتبها في اللوح المحفوظ وعلمها وخلقها لكن الذي يفعلها هو العبد. **فيجب أن نفرق بين الكتابة وايجادها، وبين الذي يباشرها ويعملها.**

فلذلك قال: **(تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد)**. قال تعالى:{ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام:112] ، إذًا لو ربنا شاء ذلك لم يكن سيحدث، قال تعالى:{ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ} [الأنعام:107]، ومع ذلك هناك شرك موجود في البشرية. إذًا المسألة كلها بمشيئة الله عز وجل، وهذه مهمة جدًا. فالذي يقصده هنا أن أهل السنة والجماعة يقولون بأن كل شيء في ملكه لا يمكن أن يحدث بغير إرادة الله عز وجل، وأما القدرية الذين يقولون بأن ممكن العباد تخلق أفعالها فهذا كلام باطل.

لكن هنا لابد أن نبين شيء؛

الإرادة نوعان: إرادة كونية وإرادة شرعية:

الإرادة الكونية هي التي تأتي بمسمى "المشيئة"، لما تجد كلمة "المشيئة" فتعرف أن هذه إرادة كونية. ويوجد شيء اسمه "الإرادة الشرعية". ما الفرق؟ الإرادة الكونية: تسمى المشيئة، والإرادة الشرعية: هي المحبة.

ما الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؟

لما يقول الله عز وجل:{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [البروج:60] ، و{يَهْدِى مَن يُرِيدُ} [الحج:16] ، فهذه إرادة كونية. أول شيء نعرف به الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية أن **الإرادة الكونية حتمية الوقوع**؛ لو أراد الله عز وجل شيئًا أن يقع كونًا فلابد سيقع، هذه الكونية.

أما **الشرعية ممكن تقع وممكن لا تقع**؛ الله يريد لك شرعًا شيء قد يقع وقد لا يقع؛ الله عز وجل أمر بالتوحيد وعبادة الله وحده، ولكن هل يوجد شرك أم لا؟ فالذي أراده "التوحيد" هذه إرادة شرعية؛ أنه أمر بالتوحيد، لكن وقع بعضه وبعضه لم يقع، بعض الناس وحَّدوا وبعض الناس أشركوا. إذًا الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، قال تعالى:{ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا } [النساء:36] ، هل كل الناس عبدوا الله؟ لا، لكن الله يريد العبادة؟ نعم. فهذه اسمها إرادة شرعية؛ وهي التي يحبها الله.

لو تذكروا تعريف العبادة: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه؛ فكل ما يأمر به الله عز وجل أو يريده شرعًا لابد أنه يحبه، لا يمكن أن يريد شرعًا شيء لا يحبه. لكن الفارق أنه ممكن يريد كونًا ما يحب وما لا يحب؛ مثل الله عز وجل خلق إبليس، أراده كونًا، لكن الله لا يحب إبليس، خلق أهل الكفر وأراد وجودهم كونًا ولكن هو لا يحبهم.

إذًا **الفارق الأول** بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية أن الإرادة الكونية حتمية الوقوع أولًا لو ربنا أرادها لابد ستقع كونًا، لكن الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع؛

الفارق الثاني: أن الإرادة الكونية تكون فيما يحبه الله وفيما لا يحبه الله، أما الإرادة الشرعية لا يمكن تكون إلا فيما يحبه الله لأن الإرادة الشرعية معناه أوامر الله، والله لا يأمر إلا بما يحب.

- **وقد تجتمع الإرادتين الكونية والشرعية معًا، وقد تكون الكونية فقط، وقد تكون الشرعية فقط، كيف؟**

- **من الذي يجتمع فيه الإرادة الكونية والشرعية؟ إيمان المؤمن** أنه كونًا أراده الله فوقع، وشرعًا يحبه الله، فتحققت فيه الإرادة الشرعية. إذًا المؤمن إيمانه جمع بين الكوني والشرعي.

- سأعطيكم المثال وأنتم تقولوا أي نوع:

- **كفر الكافر**: إرادة كونية؛ هي وقعت بالمشيئة أولًا لكن لأنه لا يحبه الله فلم يتحقق فيها الشرعي وحقق فيها الكوني.
- **هل أحد ممكن يأتي بانفراد الإرادة الشرعية؟**

هي لم تحدث لكن الله يريدها شرعًا، مثل **إيمان الكافر**؛ أراده الله شرعًا لكن لم يحدث كونًا، فانفردت فيه الإرادة الشرعية لأنه يحبه الله، وهو لم يحصل طبعًا، وهو مطلوب شرعًا، لكن لم تتعلق به المشيئة لأنه لم يحصل أصلًا.

- سأقول لكم الآية وتقولوا هذه أي نوع من الإرادتين:

- قال تعالى:{ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ } [البقرة:185] ، **إرادة شرعية**؛ لأنه شيء يحبه الله، أراده الله شرعًا، وطالما أراده الله شرعًا ويحبه فكانت إرادة شرعية.

حتى تُفرق ما بين الشرعي والكوني؛ لو وجدت الإثنين حب فسيكون عندك مشكلة لأن الكوني فيها حب والشرعي فيها حب، فستحتاج تنظر هل هي حتمية الوقوع أم غير حتمية الوقوع؟ أي لابد أن تحدث؟ أم ممكن تحدث وممكن لا تحدث؟ طيب لو وجدتها أصلًا غير محبوبة شرعًا إذًا على طول ستتجه على أنها كونية، ولو وجدتها محبوبة فسحتاج أن تنظر هل هي ممكن تقع وممكن لا تقع، أم لا؟ فإذا كانت حتمية الوقوع فستكون كوني، وإذا كانت ليست حتمية الوقوع فستكون شرعي، مثل:{ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا } [النساء:36] هل الله يحب العبادة أم لا؟ لكن هل هي حتمية، هل كل الناس عبدوا الله؟ فهناك ناس عبدوا وناس لم تعبده، إذًا هنا تقول أنها شرعية لأنها قد تقع وقد لا تقع.

- {يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ} [النساء:26] ، الله يحبها، لكن المحبة لا تكفي، فهل هذا كل الناس؟ لا، إذًا هي غير حتميه الوقوع، إذًا: **شرعية**.

طبعًا مثل أنه يوجد إرادة كونية وشرعية فستجدوا أشياء كثيرة كونية وشرعية غير الإرادة؛ مثلًا قضاء كوني وقضاء شرعي، وإذن كوني وإذن شرعي،...

- الإذن الكوني والإذن الشرعي:

- قال تعالى: {وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ} [البقرة:102] ، أي لا يمكن أن يضروا أحد إلا بإذن الله، هذا **كوني**.
- {مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ} [الحشر:5] **شرعي**؛ أي بشرع من الله الأحكام هنا.

- البعث الكوني والبعث الشرعي:

- {فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ} [الإسراء:5] ، **بعث كوني**.
- {وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا } [النحل:36] **البعث الشرعي**.

- التحريم الكوني والتحريم الشرعي:

- {وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ} [القصص:12] هذا **كوني**.
- {حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ } [المائدة:3] ، **شرعي**

وقيسوا نفس الضابطين الذي قلناهم؛ حتمية الوقوع، ويحب أم لا يحب. لكن المشيئة لا تقال إلا في الإرادة الكونية، لا يصح أن تقول مشيئة على الإرادة الشرعية، فالمشيئة مرادفة للإرادة الكونية، والإرادة الشرعية مرادف لها المحبة. فالمشيئة يقصد بها الكوني، لكن الشرعي ليست مشيئة لأنها ممكن ألا تحدث.

قال:

(أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًى)

أي يستغني عن الله عز وجل، وهذا لا يجوز شرعًا لأن الله عز وجل قال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ } [فاطر:15] ، فلا غِنى لأحد عن الله عز وجل سبحانه وتعالى، العباد كلهم فقراء إلى الله عز وجل، والعبد فقير من أول خلقه إلى مماته فهو يفتقر إلى الله عز وجل، بل لا يستطيع أن يفعل شيئًا بغير قَدَر من الله ومساعدة من الله.

(أو يكون خالقٌ لشيءٍ)

أيضًا ينفي أن يكون أحد خالقًا لاي شيء، وهذا يرد على القدرية.

(إلا هو رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم)

أي أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء، والمقدر لكل شيء، والمالك للعباد وأعمالهم.

(والمُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم)

وهذا يبين لك أن أفعال العباد، وطاعات العباد، ومعاصي العباد فالله مقدر لكل شيء.

والآجال؛ وهذه مهمة، الآجال أي أن الله عز وجل مقدر آجال كل شيء، قال تعالى:{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا } [آل عمران:145] ، و{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف:34] ، و{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ} [الأنعام:2] ، فهذه تبين لك أن كل شيء بأجل عند الله عز وجل. وقال تعالى:{ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد:38] ، الدنيا كلها أجل ولابد ستفنى، وكل واحد قيامته بموته؛ بأجله، ويكون بعد ذلك في القبر، ثم يُبعث يوم القيامة، وحتى الدنيا لها أجل محتوم لابد ستفنى بعد ذلك، الله عز وجل يفنيها {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ } حتى الأمم لها آجال، كم من أمة كانت موجودة وأجلها انتهى وجاءت أمم بعد ذلك، فكل شيء له أجل كما قال **(المُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم)** هو الله عز وجل.

هناك لفتة نختم بها الكلام في هذا الباب، لما قلنا: "لكل شيء أجل" ، طيب لما يأتي أحد ويقتل أحد، فهنا **أهل السنة يقولون**: أن الميت هذا مقتول بأجله، كتب الله عز وجل أن في اليوم الفلاني فلان سيقتله وأجله سينتهي، نحن أهل السنة نقول أن هذا المقتول ميت بأجله الذي كتبه الله.

هو يوجد أحد يقول غير ذلك؟ نعم، **المعتزلة يقولون**: أن الميت المقتول هذا مقطوع عليه أجله، فهو ممكن يكون عمره مئة سنة فالقاتل اعتدى عليه فقتله وهو عمره مثلًا ستين سنة، فقطع عليه أربعين سنة من أجله. والكلمة هذه ممكن تجدوها في بعض الكتب وهي طبعًا ليست عند أهل السنة والجماعة.

لماذا هم يقولوا هذا الكلام؟ على الأصل الخطأ أنهم يرون أن العباد بتخلق أفعالها، وليست من تقديرات الله، فجاء العبد قرر أن يقتل فلان فهو الذي قطع عليه أجله وقتله! وهذا كلام باطل، لكن على أصول المعتزلة هم يقولون أن أفعال العباد لا تدخل تحت قدرة الله ومشيئة الله، فكأن العبد هو الذي قطع أجل العبد الآخر. أما أهل السنة يقولون أنه قد مات بأجله، قد سبق في علم الله وكتابه بأن عمره كذا وسيُقتَل بهذه الطريقة.

هذا الكلام كان في القدر، سكتفي بهذا القدر.

المحاضرة الثامنة

انتهينا من القضاء والقدر، وسيتكلم عن بعثة الرسل، فنقرأ هذه القطعة.

قال المؤلف – رحمة الله عليه–:

(الباعثُ الرُّسُل إليهِم لإقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم. ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالةَ والنِّذَارَةَ والنُّبُوَّةَ بمحمَّد نَبيِّه صلى الله عليه وسلم، فجَعَلَه آخرَ المرْسَلين، بَشِيراً ونَذِيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسِرَاجاً منيراً. وأنزَلَ عَليه كِتَابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ، وهَدَى به الصِّرَاطَ المستَقيمَ)

هذا الجزء يخص بعثة الرسل، وبعثة الرسل هي نعمة من الله عز وجل على العباد، وأيضًا بعثة الرسل لقطع الحجج منهم على الله عز وجل، فقال: **(الباعثُ الرُّسُل إليهِم لإقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم)**.

هنا الباب الذي قبله كان بيتكلم عن وجوب الإيمان بالقدر، وبعد أن ذكر وجوب الإيمان بالقدر وتكلمنا عنه بدأ هنا يتكلم عن وجوب الإيمان بالرسل وما جاءت به الرسل، والرسل جاءت بشرع، إذًا هو هنا يتكلم عن الإيمان بما جاء شرعًا من الله عز وجل، فناسب أن يذكرها بعد الإيمان بالقدر، لأنه لا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر وبالشرع، {أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ} [الأعراف:54] ؛ أن تؤمن بأن الأقدار كلها من عند الله، وتؤمن أيضًا بشرع الله عز وجل الذي جاء عن طريق الرسل، فناسب في المتن هنا أنه يذكر بعثة الرسل وما جاء به الرسل من رسالات، ليبين أن الإيمان بالقدر لابد أيضًا أن يكون معه الإيمان بالشرع الذي جاء به القدر.

قال المؤلف:

(الباعثُ الرُّسُل إليهِم)

الله عز وجل قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين وبعثهم لإقامة الحجة على العباد، قال تعالى:{ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء:165] ، فإرسال الرسل كان للنذارة وللبشارة ولقطع الحجج حتى ما يأتي أحد يوم القيامة ويحتج على الله عز وجل ويقول ما جاء رسول أو ما جاءني أحد، قال تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15] . فالله عز وجل يبعث الرسل وينزل الرسالات لقطع الحجج، فمن جاءته الرسالة وعلم بها وجاءته صحيحة نقية فقد انقطعت الحجة على الله عز وجل.

ثم بيَّن المؤلف بأنه ختم الله عز وجل الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ، قال سبحانه وتعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الأحزاب:40] .

وقال:

(فجَعَلَه آخرَ المرْسَلين، بَشِيراً ونَذِيراً وداعياً إلى الله بإذنِه وسِرَاجاً منيراً)

وهنا يبين بأن ما من رسول أرسله الله عز وجل إلا لدعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك، قال سبحانه وتعالى:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ} [النحل:36] ، فكل الرسل جاءت بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل وحده، افراده بالعبادة، واجتناب الطاغوت؛ أي اجتناب الشرك، وكل الرسل جاءت بشريعة بينت الحلال والحرام على حسب كل ملة من الملل، ثم خُتِمت برسالة النبي ﷺ.

فقال: **(الباعثُ الرُّسُل إليهم لإقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهم)**، إذًا الغاية هنا من إرسال الرسل هي دعوة الخلق أولًا؛ أن الرسل جاؤوا لدعوة الخلق، والاعذار إليهم، وهذا يكون بالبشارة والنذارة؛ بالبشارة لمن استجاب وتابع فيبشره بالجنة، والنذارة لمن رد ولم يستجب ولم يتابع فينذره بالنار– والعياذ بالله – قال تعالى: {وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس:10-11] ، إذًا هنا البشارة لمن اتبع فله المغفرة والأجر الكريم، وأما النذارة تكون لمن لم يتبع فيكون له جهنم.

ثم قال: **(ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالةَ)** فأول رسول كان نوح عليه السلام، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل وآمن قليل معه. ثم آخر الرسل وهو النبي ﷺ ، قال سبحانه وتعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الأحزاب:40] ، فكان النبي ﷺ هو آخر الرسل وآخر الأنبياء أيضًا، قال النبي ﷺ: **[فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ..]** ثم قال:**[وخُتِم بي النَّبيُّونَ]**، يبين بأنه قد خُتِم الأنبياء بالنبي ﷺ.

ولذلك أنت حتى تحقق شهادة أن محمد رسول الله ﷺ لابد أن تؤمن بأمرين:

– أن النبي ﷺ أُرسِل للناس كافة؛ عامة؛
– وتؤمن بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين.

لابد أن تؤمن بالإثنين. لماذا ركزنا على هاتين الإثنتين؟ لأنك لو أنكرت واحدة من الإثنين فأنت لم تحقق شهادة أن محمد رسول الله ﷺ، لأن البعض يقول بأن النبي ﷺ أُرسِل للعرب، فبعض النصارى الذين لا يؤلهون عيسى ويجعلونه نبيًا فقط وعبدًا لله عز وجل لكن لا يؤمنون بمحمد ﷺ؛ ويقولون أنه أرسل للأميين؛ للعرب، والله عز وجل يقول في كتابه:{ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:158] ، فالنبي ﷺ أرسل للناس جميعًا. فلابد حتى تحقق شهادة أن محمدًا رسول الله

ﷺ أن تؤمن أن محمد ﷺ أرسل للناس جميعًا ليس لبعض العرب فقط، وإلا هذا يكون كفرًا. وأيضًا لابد أن تؤمن بأن النبي ﷺ خاتم النبيين، لأنه لا نبي من بعد النبي ﷺ ولا يجوز أن يُبعَث نبيًا بعده، فمن ظن أن هناك نبي بعد النبي ﷺ يمكن أن يُبعَث فهذا أيضًا كفر ولم يحقق شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ. فهذان أمران لابد أن يُنتبه إليهما في تحقيق شهادة أن محمد رسول الله ﷺ.

وقد بيَّن الله عز وجل خصائص وفضائل النبي ﷺ أو مهامه وما جاء به في خمس أشياء في قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا} [الأحزاب:45-46] ، فهذه الآية تبين خصائص النبي ﷺ الخمس؛

أولًا: (شَٰهِدٗا) شاهدًا على الناس جميعًا، بل هو شهيدًا على الأمم السابقة، ويوم القيامة سيشهد النبي ﷺ – كما جاء في الحديث – هو وأمته على من آمن من الأمم السابقة الذين لم يجدوا من يشهد لهم، فيأتي النبي يشهد على إيمانهم بمن قبله، ويشهد المؤمنون معه؛

(وَمُبَشِّرٗا) يبشر من اتبع شرعه أنه إلى الجنة؛

(وَنَذِيرٗا) ينذر من أعرض عن ذلك بأن له النار؛

(وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ) عز وجل كما قال تعالى، فهو يدعو الناس إلى الحق بإذنه؛

(وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا) .

فهذه مناقب أو خصائص أو فضائل خمسة للنبي ﷺ قد بينها الله عز وجل.

وقال تعالى أيضًا: {لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [التوبة:128] ، هذه أيضًا ممكن تضاف إلى خصائص النبي ﷺ أنه حريص على أهل الإيمان، حريص كما جاء في حديث النبي ﷺ أنه يحج عنهم يوم القيامة أن يقعوا في النار وغير ذلك، فهو حريص على المؤمنين، رؤوف رحيم بهم. وقال تعالى أيضًا:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [الأعراف:157] ، هذا يبين جزاء من اتبع النبي ﷺ وما جاء به. وقال تعالى:{ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ} [الأعراف:158] . فهنا لابد أن نبين عموم الرسالة –كما قلنا – وختام النبوة للنبي ﷺ، فهذه مسألة مهمة جدًا وأنت تضبط فيها شهادة أن محمد رسول الله ﷺ.

ما الفرق بين النبي والرسول؟

العلماء تكلموا في هذه المسألة واختلفوا فيها، وهناك أكثر من قول في الفرق بين النبي وبين الرسول؛

بعضهم قال:

أن **النبي** هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالبلاغ، **والرسول** هو من أوحي اليه بشرع وأُمِر بتبليغه؛ فكأن النبي أوحي إليه أيضًا؛ فالإثنين اشتركوا في الوحي لكن النبي لم يؤمر بالبلاغ والرسول أُمِر بالبلاغ، وهذا مع أنه تعريف مشهور جدًا عند العلماء لكنه فيه نظر، لأنه ورد في الشرع بأن الأنبياء يبلغون أيضًا وينذرون القوم، قوله تعالى:{يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ} [المائدة:44] ، إذًا النبي هنا بيحكم وبينذر، وأيضًا داوود وسليمان هم أنبياء ومع ذلك قال:{ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ} [الأنبياء:78] . إذًا مسألة أن النبي يؤمر بالوحي ولا يبلغ فيها نظر أصالة، وهذا أحد الأقوال.

والقول الثاني:

أن **الرسول** هو الذي يأتي بشرع جديد، **والنبي** يأتي بشرع ليس بجديد؛ بل يأتي بشرع من سبقه، أي يكمل شرع جديد، فالنبي يأتي بشرع ويبلغ أيضًا وينذر لكنه يبلغ من قبله. لذلك يقال دائمًا: "أنبياء بنو إسرائيل" لماذا أنبياء بنو إسرائيل؟ لانهم جاؤوا على رسالة موسى عليه السلام، والله عز وجل أرسل بعد موسى عدة أنبياء لبني إسرائيل يجددون ما جاء به موسى، منهم طبعًا هارون وغير ذلك. وهذا قول وجيه جدًا، لكنه أيضًا ممكن يُدخل عليه أمر؛

لكن هناك قول ثالث قال به شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال **الرسول** هو من أُرسِل إلى قوم كافرين مكذبين، مثل نوح، هود، صالح، موسى، هارون أيضًا – لأن هارون على الصحيح أنه رسول – أما **النبي** فهو من أرسل إلى قوم مؤمنين. وهذا يوافق القول الثاني قليلًا في أنه يجدد ما قبله، لكن ليست المسألة في التجديد أو في شرع جديد لأن هذا ممكن يحل إشكالية آدم عليه السلام أن لماذا آدم نبي؟ لأنه ما أرسل إلى قوم كفار، لأن الشرك جاء بعد نوح، فممكن هذا يبين لماذا آدم نبي وليس برسول ويحل الإشكال. ويستشهد شيخ الإسلام ابن تيمية بقول الله عز وجل: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج:52] ، أين الاستشهاد؟ أن الله سمى إرسال النبي وإرسال الرسول "إرسال"، أي سماه في معنى الارسال العام، أي أن كله يسمى ارسال؛ أرسل رسول وأرسل نبي، فما دام أرسل إذًا أرسله لقوم. إذًا يرد على الذين قالوا بأن الوحي للنبي وأنه لا يبلغ والرسول هو الذي يبلغ، بل قال: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج:52] ، إذًا الذي أعده الله عز وجل ليكون رسول أو نبي فـ "أرسله". إذًا هنا يقصد أن المرسلين منهم النبي ومنهم الرسول، أي أن الارسال العام الشرعي هذا عام يسمى "ارسالًا"، ومادام أُرسِل إذًا أُرسل لقوم، إذًا سيبلغهم أيضًا، فكأن الكل مرسل من عند الله سواء كان نبيًا أو رسولًا، لكن الرسول مرسل إلى قوم كفار، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين

كأنه بيجدد لهم ويعلمهم ويحكم بينهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. **وانتبه**.. هو أُرسِل لقوم كفار، طبعًا ممكن يُشكل علينا مسألة ارسال عيسى بعد موسى، لأن موسى عليه السلام كان أولًا ثم جاء عيسى على قوم إسرائيل أيضًا، لكن هنا ممكن تقول أنه يقصد بها شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم قد كفروا فجاءهم برسول جديد وهو عيسى عليه السلام.

وسواء هذا القول؛ أنه أرسل في قوم كفار، أو القول الذي قال بأنه من جاء بشرع جديد يكون رسولًا ومن جدد شرعًا قديمًا يكون نبيًا، هذا أيضًا من القوة ومن الوجاهة لماذا؟ لأن الله عز وجل سمى أنبياء بنو إسرائيل رسل أيضًا، قال:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ} [البقرة:87] ، فسمى أنبياء بنو إسرائيل رسل، إذًا لما سماهم رسل فكأنه يقصد أنهم جاءوا على قوم قد كفروا ويجدد لهم.

إذًا المسألة ليست في القول الثاني الذي يقول أن الرسول هو الذي بيأتي برسالة جديدة والنبي يجدد ما سبق، لا، فربنا سمى أنبياء بنو إسرائيل رسل، وهم بيأتو برسالة موسى، إذًا المسألة ليست في تجديد الرسالة، لكن المسألة في القوم الذي بيبعث إليهم، وهذا الذي يبين لك لماذا عيسى عليه السلام سُمي رسول مع أنه جاء لبني إسرائيل أيضًا وكان عندهم من قبل رسالة موسى، لكن لأنهم كفروا فجاء إلى قوم كافرين.

وطبعًا يبين لك أن النبي ﷺ جاء لقريش وهم كفار لأنهم أصلًا كان عندهم بقايا دين إبراهيم، لأن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجدهم يستقسمون بالأزلام ويرسمون إبراهيم عليه السلام داخل الكعبة، فقال كذبوا ما استقسم إبراهيم بالأزلام قط، فدل ذلك على أنهم كان عندهم بقايا دين إبراهيم عليه السلام.

لكن بعد موسى ليس هناك رسول بالمعنى الخاص إلا عيسى، ثم النبي ﷺ بعد ذلك.

إذًا هذه هي الثلاثة أقوال، وكلها خلافية بين العلماء لا انكار فيها.

وممكن نقول أن بين النبي والرسول عموم وخصوص؛ فأحيانًا يأتي الرسل بمعنى الأنبياء، والأنبياء بمعنى الرسل، لكن إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى، مثل الإسلام والإيمان؛ إذا اجتمع الإسلام مع الإيمان – كمثل حديث جبريل – افترقا في المعنى، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة، وإذا افترقا كما جاء حديث أركان الإسلام أو أركان الإيمان ممكن يأتي الإسلام بمعنى الإيمان أو الإيمان بمعنى الإسلام، ومثل الفقير والمسكين. هنا أيضًا بعضهم قال النبي والرسول إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا؛ فإذا اجتمعا في الذكر فيكون النبي له معنى خاص والرسول له معنى خاص، وإذا افترقا فممكن النبي يكون بمعنى الرسول، والرسول بمعنى النبي، مثل أن النبي ﷺ يقال عليه رسول ويقال عليه نبي، هذا هو المقصود.

قال:

(ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالةَ والنِّذَارَةَ والنُّبُوَّةَ بمحمَّد نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم)

ختم الأنبياء بالرسول محمد ﷺ وختم النبوة، وما دام خُتِمت الرسالة والنبوة إذًا ختمت البشارة والنذارة، لكن خُتمت من النبي ﷺ لكن هي مازالت موجودة لمن تابع النبي ﷺ ، أي من تابع النبي ﷺ فباقية له البشارة والنذارة، كل من تابع النبي ﷺ وفعل ما أراده النبي ﷺ وما جاء به له البشارة، وكل من خالف له النذارة، لكن هو يقصد أنه ختم الرسالة والنذارة والنبوة بشخص محمد ﷺ ولن يأتي رسول بعد ذلك يبشر أو ينذر، لكن بقي الشرع الذي جاء به النبي ﷺ.

قال:

(وأنزَلَ عَليه كتابَه الحَكِيمَ)

أي أنزل القرآن، وهنا **(كتابَه الحَكِيمَ)** هو القرآن، والقرآن له أكثر من اسم، منها الكتاب، منها الفرقان، منها الذكر، منها أحسن الحديث، وقد وُصِف الكتاب بأكثر من صفة؛ منها {كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ} [هود:1] ، أو { ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ} [يونس:1] ، أو العزيز، المجيد، العظيم، والكريم أيضًا، والمبارك، كل هذه صفات للقرآن جاءت في السنة، وكل هذه الأسماء تُطلَق على القرآن ولها معنى، فالحكيم غير العزيز غير الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، الذكر{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:9] فسماه الذكر، وكل اسم له معنى وباختلاف المعاني لكن تعود إلى واحد؛ وهو القرآن. ووصف القرآن بأنه حكيم لأكثر من معنى؛ أولًا أن القرآن يحكم بين المختلفين، قال:{ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ} [هود:1] يأتي بمعنى الإحكام والاتقان، فالقرآن بيحكم فهو دليل من أدلة التشريع بل هو الدليل الأول الذي يُحكَّم به لأنه كلام الله عز وجل، حكيم يتضمن معنى الحُكم، وحكيم أيضًا يتضمن الإتقان والإحكام، وآيات القرآن كلها محكمة متقنة وفيها معنى الحكمة. والحكمة أي القول الصائب، ولا شك بأن القرآن وآيات القرآن فيها ذلك.

قال:

(وشَرَحَ به دينَه القَويمَ)

المصنف إما يقصد: شرح الله بالقرآن الدين؛ أي بيَّن الآيات والأحكام، أو أنه شرح الرسول ﷺ بالقرآن الدين القويم؛ أي بيَّن لنا عن طريق الآيات وتفسيرها الدين. أيًا كان فالمعنى حق في ذلك. قال: "الدين القويم" وهو دين الإسلام، وهو الدين الحق.

قال:

(وهَدَى به الصِّرَاطَ المستَقِيمَ)

وهذه طبعًا للنبي ﷺ ، هدى بالنبي ﷺ الصراط المستقيم.

والهداية نوعان:

- هداية البيان والارشاد (أو: الدلالة والإرشاد)؛
- هداية السداد والتوفيق.

هنا يقصد بـ **(هَدَى به الصِّرَاطَ المستَقِيمَ)** هداية البيان والارشاد، والدليل: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:52] ، أي أنت الذي جُعِلت لك الهداية للناس، وهنا (لَتَهْدِىٓ) أي تبين للناس، وقلنا أن الله أرسله داعيًا ومبشرًا ونذيرًا، وشاهدًا، وغير ذلك في الآيات، فـ {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:52] هذه العامة؛ بيهدي جميع الناس؛ أي بيرشد الناس جميعًا – مؤمن وكافر – إلى الصراط المستقيم.

أما الآية: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:56] إذًا التوفيق والسداد ليس من عندك، بل هي من عند الله عز وجل. ومناسبة هذه الآية أن عم النبي ﷺ أبو طالب لما مات وحزن عليه النبي ﷺ فقال الله عز وجل: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:56] . لكن يوجد شيء في المسألة هذه أن الله قال له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} **فهل يجوز أن أحب الكافر؟**

الله عز وجل يقول {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} إذًا أثبت له المحبة؛ أنه بيحبه، فهل يجوز أن تحب الكافر؟ فهنا المقصود به الحب الجبلي؛ الابن مع عمه، والعم صنو الأب كما قال النبي ﷺ. فهنا لا يقصد به محبة الموالاة، لأن موالاة الكافر وحبه لكفره لا يجوز، لكن هنا الحب الجبلي الطبيعي كما مثلًا نوح كان يحب ابنه، لكن هنا اثبات المحبة الجبلية حتى ما يختلط عليكم ممكن أحد يأخذ الكلام ويقول لك أن ربنا قال للنبي ﷺ {أَحْبَبْتَ} فلماذا لا أحب الكافر؟ نقول لا، هذه المحبة الجبلية التي لا يمكن أن تُنزَع من القلب، لكن هو لا شك يكره ما عليه من الكفر ولا يحب فيه ذلك، هذا هو المقصود.

فنقول هنا أن هداية التوفيق والسداد هذه خاصة بالله عز وجل فقط، ليست لأحد من البشر، النبي ﷺ ما استطاع أن يهدي عمه الذي كان يناصره ويحوطه ويدافع عنه، وما استطاع إبراهيم أن يهدي أبيه آزر، وما استطاع نوح أن يهدي ابنه، إذًا انظر الشرع.. جاءت علاقة الأب مع الإبن، والإبن مع الأب، والنبي ﷺ مع عمه كان يناصره ويحوط به ويدافع عنه ضد قريش ومع ذلك ما استطاع هدايته، وهذه تبين لك بأنك في طريقك في الدعوة أنت عليك البلاغ نعم، عليك السبب، وإن كنت تحب للناس جميعًا

الهداية بل حتى مع أحب الناس إليك؛ مع ابنائك، مع إخوانك، مع والديك، فأنت تدعوهم وتتمنى لهم الهداية وتصبر ولا تتوقف عن ذلك، ولكن تعلم بأنه ليس لك من الأمر شيء، الأمر كله من عند الله، فأنت تدعو من باب الأسباب، وتلح لهم في الدعاء وتدعوهم، والله عز وجل هو الذي يريد الخير أو يريد غير ذلك أيضًا لمن يقدره الله عز وجل، كما قال تعالى:{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ} [فصلت:17] ، أي أن الله هداهم لكن هم ما أرادوا ذلك، والله أراده كونًا طبعًا؛ قدَّره الله عز وجل، و{إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان:3] .

إذًا هداية التوفيق والسداد هذه من الله، لكن هذا لا يمنع أن الداعي إلى الله لا يمل ولا يكل، فبعض الناس يقول لك "مفيش فايدة في هذه الناس، منذ سنين وأنا أكلمهم"، أو في الأولاد أو في الآباء أو في الأحباب. لا.. أنت ما تدري متى يُكتَب لهم الهداية؟ ممكن تظل تدعوه لسنوات والله يكتب له الهداية قبل وفاته بأيام أو بشهور أو بسنين، وهناك أول ما تدعوه بكلمة واحدة فالله يكون قد كتب له الهداية، وهذا ليس لك. وأنتم أيضًا وأنتم تدعوا اخوانكم وأهليكم وأقاربهم إياكم أن تقنطوا من ذلك، أو تظنوا بأنكم تدعونهم كثيرًا وهم لا يستجيبون فيأتي في قلوبكم كأن الأمر قد انتهى على ذلك! فالأمر ليس لك، الذي عليك فقط أنك تجتهد في اتخاذ أسباب الهداية لهم.

نكتفي بذلك.

المحاضرة التاسعة

نبدأ إن شاء الله في مسألة البعث والجزاء وقول المؤلف:

(وأنّ السّاعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنّ اللهَ يَبعَثُ مَن يَموتُ، كما بدأَهم يعودون. وأنّ اللهَ سبحانه وتعالَى ضاعَفَ لعباده المؤمنين الحسَنات، وصَفَحَ لهم بالتّوبَة عن كبائِرِ السيّئات، وغَفَرَ لهم الصّغائِرَ باجْتناب الكبائِر، وجَعَلَ مَن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَته {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨] ومَن عاقَبَه اللهُ بنارِه أخرجه منها بإيمانه، فأدخَلَه به جَنّته{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة:٨]،ويُخرِجُ منها بشفاعَة النّبيِّ صلى الله عليه وسلم من شفع له من أهل الكبائر من أمته)

هذا الجزء يتكلم فيه المؤلف عن الإيمان باليوم الآخر، وذكره هنا بعد الإيمان بالقدر، مع أن الإيمان بالقدر جاء في الحديث في الركن السادس وجاء الإيمان باليوم الآخر في الركن الخامس، فهنا المؤلف قدَّم الإيمان بالقدر على الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم والآخر ركن من أركان الإيمان الستة، وهو أن يؤمن أن هناك يوم الحساب ويوم القيامة، لذلك قال:{ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ } [الحج:7] ، و"الساعة" التي هي يوم القيامة، ويوم القيامة له أكثر من اسم؛ الساعة، يوم البعث، يوم النشور، يوم القيامة نفسه، يوم الجزاء، يوم الحساب، أسماء عديدة ليوم القيامة منها قوله تعالى:{ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ} [القيامة:1] ، وقال تعالى:{ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ} [الروم:12]، فكل هذه من أسماء يوم القيامة.

ويوم القيامة من الخمس التي اختص الله عز وجل بمعرفتها، فلا يعرفها أحد واستاثر الله عز وجل بمعرفتها، وهي من الغيب، قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ} [لقمان:34] ، فهذه من الخمس التي استاثر الله عز وجل بعلمها، ولما سُئل النبي ﷺ في حديث جبريل لما قال له جبريل:**[مَتَى السَّاعَةُ؟]** قال: **[مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ]** ، فهنا يبين بأنه لا أحد يعلم موعد الساعة. وقال تعالى أيضًا: {يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ} [الأعراف:187] .

فهنا قال:

(وأنّ السّاعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها)

أي لا شك فيها، ليس هناك شك في الساعة، فيجب الإيمان الكامل بالساعة، والاستيقان بها، وبأن هناك يوم آخر؛ هناك يوم بعث ويوم حساب.

قال:

(وأنّ اللهَ يَبعَثُ مَن يَموتُ)

وهنا بعض العلماء تكلموا على أنه الأولى أن يقول: "يبعث من في القبور" لقول الله عز وجل:{ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ} [الحج:7] ، المعنى صحيح ليس فيه إشكال لكن هنا قال (يبعث من يموت) والآية قالت (يبعث من في القبور). وهذه دلالة على الإيمان بالبعث؛ أن الله عز وجل يبعث الناس يوم القيامة كل من سيكون في القبور.

وبعض الكفار قد ردوا مسألة البعث وجحدوا أن الله يبعث؛ سواء كفار قريش أو غيرهم.

والدلالات عند أهل العلم على أن الله يبعث من في القبور أربعة:

1- **أن تستدل بالنشأة الأولى**؛ أي تستدل بأن الله عز وجل هو الذي خلق أولًا، إذًا لا يعجزه سبحانه وتعالى أن يعيد الموتى مرة أخرى. فهذا اسمه استدلال بالنشأة الأولى، قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} [الواقعة:62] ، وقال تعالى في سورة ق:{أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق:15] . إذًا تستدل على أن الله الذي خلق أولًا يَخلُق ثانيًا، فلماذا تجحدون البعث! فلا إشكال في ذلك.

2- الاستدلال الثاني: **أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض**؛ قال تعالى:{ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ } [يس:81] ، هنا الاستدلال بأن السماوات والأرض أعظم بكثير من خلق الإنسان، ومع ذلك أن الذي خلق السماوات والأرض أليس بقادر أن يخلق مثلهم ويعيدهم مرة أخرى! قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف:33] ، فهنا أنت تستدل على البعث من الآية؛ أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن – أي لم يتعب ولا يصيبه شيء حاشاه ذلك – وهو على كل شيء قدير؛ أنه قادر على أن يحيي الموتى مرة أخرى.

3- الاستدلال الثالث: **بخلق النبات وإحياء الأرض**؛ قال تعالى:{ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ

ٱلْخُرُوجُ} [ق:9-11] ، استدلوا بأن الله عز وجل الذي أحيا الأرض وأنشأها وأنزل الماء وأنشأ النبات والنخل الثمر فيه قال: {كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ} أي كذلك يخرج كل من خلق من بني آدم يوم القيامة.

4- الاستدلال الرابع: **بما وقع حقيقة من إحياء الموتى**؛ قد أحيا الله عز وجل الموتى بأمثلة من قبل وذُكِرت في القرآن، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:55-56] ، فنستدل أيضًا بأن الله عز وجل قد أحيا الموتى حقيقة كما حدث مع بني إسرائيل.

فهذه الاستدلالات الأربعة فيها رد على الكفار الذين أنكروا البعث وأنكروا إحياء الموتى بعد ذلك.

ثم قال المصنف:

(كما بدأَهم يعودون)

كما بدأ خلقهم من تراب يرجعون مره أخرى إلى ذلك، وينشئهم الله عز وجل النشأة الأخرى ليوم الحساب، ف **(كما بدأَهم يعودون)** استدل بالمبدأ على المعاد؛ كما بدأ الله عز وجل الخلق يعودون مرة أخرى للحساب.

ثم قال بعد ذلك:

(وأنّ اللهَ سبحانه وتعالَى ضاعَفَ لعباده المؤمنين الحسَنات، وصَفَحَ لهم بالتّوبَة عن كبائرِ السيِّئات)

يتكلم هنا في مسألة مضاعفة الحسنات من الله عز وجل، ما الدليل على أن الله يضاعف الحسنات؟ {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام:160] ، و{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ} [البقرة:261] هذه أيضًا تبين تضعيف الحسنة بالعشر إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة، هذا من الكتاب.

ومن السنة: قول النبي ﷺ : **[مَن تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمرةٍ مِن كَسبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ، وإنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُها بيَمينِه، ثُمَّ يُرَبِّيها لصاحِبِه كما يُرَبِّي أحَدُكُم فَلُوَّه، حتَّى تَكونَ مِثلَ الجَبَلِ]**، الله "يربيها" أي يضاعف له هذه التمرة حتى تكون مثل الجبل، تضعيف كبير جدًا؛ تمرة تكون كالجبال، وهذه طبعًا ترجع للإخلاص والصدق في ذلك والله أعلم. فهنا بيَّن الله عز وجل وبيَّن النبي ﷺ مضاعفة الحسنات لعباده المؤمنين.

ثم انتقل بعد ذلك من مضاعفة الحسنات لمسألة المغفرة؛ بأن الله عز وجل يغفر لمن تاب عليه، فيغفر للمؤمنين صغائر وكبائر الذنوب. فممكن **الصغائر** تمحى بفعل الحسنات، **والكبائر على قولين:** هل لابد من التوبة حتى تمحى؟ أم ممكن بالحسنات تذهب الكبائر أيضًا؟

الصغائر: متفق عليه من العلماء بأن من فعل صغيرة ثم تبع ذلك بحسنة ممكن الحسنة تمحو السيئة كما جاء في السنة بذلك: **[وأتبِعِ السَّيِّئَةَ الحسَنَةَ تَمْحُهَا]**.

لكن الإشكال في الكبيرة؛ هل الحسنة لو كانت كبيرة فتمحها أيضًا؟ أم لابد فيها من توبة؟

فهنا قال أولًا أنه يغفر لكل من تاب إليه، كل من تاب لا شك بأنه يُغفَر له؛ كبيرة أو صغيرة، طالما وقعت التوبة فيغفر الله عز وجل، لكن ممكن تكون مغفرة الذنوب لها مكفرات كما قلنا، غير التوبة، فالتوبة لا إشكال فيها من تاب تاب الله عليه صغيرة أو كبيرة، لكن مكفرات الذنوب التي هي الأعمال التي لو فعلها المرء ممكن هذه تمحو السيئات أم لا؟

أولًا مغفرة الذنوب بالتوبة، هذه لكل البشر؛ للمؤمن وللكافر، أي ليست للمؤمن فقط، بل للكافر إذا تاب من الكفر ودخل في الإسلام فالله يغفر له، قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:72] ،{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ } [المائدة:73] ، ثم قال بعد ذلك:{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ} [المائدة:74] ، فدل ذلك على أنهم لو تابوا من ذلك الكفر قِبل الله توبتهم. وقال تعالى عن أصحاب الخدود أيضًا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} [البروج:10] ، معناه إذًا لو تابوا فلن يكون لهم العذاب. إذًا مغفرة الذنوب بالتوبة هي لكل الناس؛ ليست للمؤمنين فقط، فالتوبة سبب لمغفرة الذنوب، كل الذنوب، فمن تاب تاب الله عز وجل عليه حتى الكافر كما بينا.

فالصغائر اتفقوا على أنها ممكن تُمحى بفعل الحسنات، لكن هناك خلاف من العلماء؛ هل الكبائر لا تُمحى إلا بالتوبة؟ أم مكن بفعل الحسنات؟ الصغائر طبعًا قالوا أنها تُغفَر باجتناب الكبائر، قال تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء:31] ، وأيضًا تُغفَر بالأعمال الصالحة، قال النبي ﷺ: **[الصَّلَواتُ الخَمسُ، والجُمعةُ إلى الجُمعةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ: مُكَفِّراتٌ ما بينَهنَّ إذا اجتَنَبَ الكَبائِرَ]**، فقالوا هنا إذًا الصلوات الخمسة والجمعة للجمعة والعمرة للعمرة مكفرة للذنوب، قال "إذا اجتنبت الكبائر".، إذًا أيضًا في الصغائر علمنا بأن الأعمال الصالحة تمحو الصغائر فتكفر باجتناب الكبائر.

الكبائر هي التي فيها خلاف بين العلماء؛ بعضهم استدل بقوله:{إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} [هود:114] وهذا قول ابن تيمية، قال "إن الحسنات يذهبن السيئات" دل على أن كل الحسنات ممكن تذهب كل السيئات؛ صغائر وكبائر، فقالوا إذًا ممكن المرء لو فعل حسنة عظيمة تمحو الكبيرة من الكبائر. واستدلوا أيضًا بفعل حاطب بن أبي بلتعة لما تجسس وقال عمر لما سمع النبي ﷺ قال قد صدقكم الرجل، فقال عمر دعني أضرب عنقه، قال يا عمر **[لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إلى أهلِ بَدرٍ فقال: اعمَلوا ما شِئتُم فقد غَفَرتُ لَكُم]**، فالتجسس كبيرة فجعل بأن سبقه مع أهل بدر– أنه بدري – فجعل أن هذا

العمل الكبير في بدر يغفر أو يكون سببًا في مغفرة هذه الكبيرة من الذنوب. فلذلك البعض قال أيضًا الحسنات الكبيرة قد تمحو السيئات، وإن كان الجمهور على غير ذلك كما قلنا بالحديث؛ قال: **[ما اجتنِبَتِ الكبائرُ]** فكأنه جعل الكبائر ليس لها إلا التوبة، لكن مع العمل الصالح يغفرها كالصغيرة. والمسألة فيها خلاف بين العلماء وفضل الله واسع ونسأل الله أن تنزل الكبائر أيضًا تحت عموم قوله:{إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ} ، فلو فعل المرء حسنة عظيمة قد تؤدي ذلك إلى أن تُمحي أيضًا الكبيرة التي كانت عنده.

ولكن لابد أن نبين **أن من فعل الكبيرة ومات على هذه الكبيرة ولكنه من أهل التوحيد فهو في مشيئة الله**، إن شاء الله عز وجل غفر له وإن شاء عذبه أو حاسبه على ذلك؛ فإن عذبه فهذا من العدل، وإن غفر له فمن كرمه وفضله، لكن من مات على الكبيرة فهو في مشيئة الله مادام هو من أهل الإسلام، **خلافًا للخوارج والمعتزلة**؛ الذين يقولون بأن أصحاب الكبائر مخلدين في النار لا يخرجون منها، والخوارج قالوا عنهم كفار، والمعتزلة قالوا منزلة بين منزلتين، لكن قالوا في النهاية يوم القيامة أنهم مخلدون في النار، وهذا خطأ، لان أهل الكبائر لهم شفاعة أصلًا، فقد ثبتت الشفاعة لأهل الكبائر عن النبي ﷺ. وقولهم هذا يخالف قول الله عز وجل: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [النساء:48] .

إذًا من مات على التوحيد وحتى لو كان من أهل الكبائر فهو في مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر له من الأول ودخل الجنة، وإن شاء عذبه ثم مآله إلى الجنة بعد ذلك لأن معه التوحيد. وأما القول بأن أصحاب الكبائر كفار فهذا قول الخوارج ليس من قول أهل السنة والجماعة، وأما من تاب فالله عز وجل يتوب عليه حتى من الشرك والكفر، قال تعالى:{ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الزمر:53] ، إذًا الله عز وجل يغفر الذنوب جميعًا، إذًا حتى لو كانت كفر؟ نعم، شرك؟ نعم، ما دام قد تاب ورجع إلى الله عز وجل. وأما أهل الكبائر الذين في النار فيخرجون بشفاعة النبي ﷺ أو غيره من عباده المؤمنين، أو من الملائكة، أو من الأنبياء يقول لهم اذهبوا فأخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو حبة خردل من إيمان، إلى غير ذلك، فهؤلاء يخرجون بإيمانهم بما تبقى معهم الإيمان من النار ويدخلون الجنة بشفاعة أهل التوحيد لهم.

هذه القطعة الأولى التي كانت معنا اليوم، نأخذ الجزء الذي يليه؛؛

قال المؤلف رحمة الله عليه:

(وأنّ اللهَ سبحانه قد خَلَقَ الجنّةَ فأَعَدّها دارَ خُلُود لأوليائه، وأكرَمهم فيها بالنّظر إلَى وَجْهِه الكريم، وهي الّتي أَهْبَطَ منها آدم نبيّه وخليفَتَه إلى أَرضه بِما سَبَقَ في سابِق عِلمِه. وخَلَقَ النّارَ فأَعَدّها دارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ به، وألْحَدَ في آياتِه وكتُبه ورُسُلِه، وجَعَلَهم مَحجُوبين عن رُؤيَتِه)

القطعة هذه فيها أكثر من مسألة؛

1- مسألة أن الله قد خلق الجنة والنار، أنهم مخلوقتان موجودتان الآن؛

2- مسألة النظر إلى وجه الله عز وجل، وهذه من المسائل المهمة جدًا التي من اعتقاد أهل السنة والجماعة؛

3- أين هي الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام ثم اهبط منها؟ وهذه مسألة تكلم فيها المخالفين لأهل السنة والجماعة.

المسألة الأولى: أن الجنة والنار موجودتان الآن:

قال المؤلف: **(أنَّ اللهَ سبحانه قد خَلَقَ الجَنَّةَ)**. وطبعًا كل المسائل هذه من الإيمان باليوم الآخر؛ هو بدأ بالإيمان بيوم القيامة والبعث، ثم أيضًا من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأن الجنة والنار موجودتان، وأن الله قد خلق الجنة وأعدها للمتقين وجعلها دار خلود لأوليائه المؤمنين، وقد خلق النار وجعلها للكفار أو للعصاة من المؤمنين، ثم جعلها دار خلود للكفار فقط – كما قلنا– لأنه أخرج أهل المعاصي من النار إلى الجنة مآلهم بعد ذلك. وقد خلق الله عز وجل النار أيضًا كما خلق الجنة، الآيات على ذلك في أكثر من موطن؛ قال الله عز وجل عن الجنة:{ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:133] ، وقال تعالى:{ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ} [الحديد:21] ، "أعدت" أي جُهزت، خُلقت، خلقها الله عز وجل، أو هيئت. ومنها قوله تعالى أيضًا:{ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ* عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ} [النجم:13-15] ، هذه دلالة على أن الجنة كانت موجودة في وقت ما النبي ﷺ أسري به في الجنة، وقال أيضًا:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ} [النحل:32] ، تُنعَّم بعض الأرواح؛ كأرواح الشهداء في حواصل الطير تحوم حول الجنة، وأطفال المسلمين، وغير ذلك، قال: {ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:32] .

كذلك الله عز وجل قد خلق النار وأعدها كما قلنا وأنها موجودة وأنها دار الخلود لمن كفر بالله – والعياذ بالله– وهناك أدلة أيضًا على وجود النار كما هناك أدلة على وجود الجنة، قال تعالى في قوم نوح:{ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا} [نوح:25] ، إذًا أُدخلوا النار. وقال في فرعون وقوم فرعون: {ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ} [غافر:46] ، وهذه غير النار أيضًا يوم القيامة أصالة. وقال تعالى:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ} [الأنعام:93]، وأيضًا قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران:131] ، أعدت أي هيئت وخلقت ووجدت الآن موجودة للكافرين. هذا من الكتاب.

ومن السنة؛ قال النبي ﷺ: **[عُرِضَت عليَّ الجَنَّةُ والنَّارُ]**، وأيضًا حديث النبي ﷺ لما مرَّ على رجلين يعذبان في قبورهما، وحديث عذاب القبر وحديث نعيم القبر أيضًا، وقول النبي ﷺ:**[إنَّ اللهَ خلق للجنةِ أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلابِ آبائِهِم، وخلق للنارِ أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلابِ آبائِهِم]**.

إذًا كل هذه الأدلة تدل على أن الجنة والنار موجودة وقد أعدت.

لماذا بنقول هذا الكلام؟ هل هناك أحد خالف؟

نعم هناك بعض الطوائف خالفت في أن الجنة والنار مخلوقتان الآن؛ وهم ما يسمون بـ **(المعتزلة)**، قالوا: "الله لم يخلقهما وما ثمرة وجود الجنة والنار ولم يأت يوم القيامة بعد؟ فخلقهما الآن عبثًا)! وهذا استدلال عقلي فاسد، فقالوا: (خلقهما الآن عبثًا لكن سيخلقهما وقت الحساب)! وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة واجماع السلف على أن الله قد خلق الجنة وخلق النار وقد أعد الجنة دار خلود لأهل الإيمان، والنار دار خلود لأهل الكفر.

المسألة الثانية: مسألة النظر إلى وجه الله عز وجل:

وهذه مسألة عظيمة جدًا؛ أعلى نعيم عند أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله – أسأل الله عز وجل أن يرينا جميعًا وجه الله عز وجل – وهذه مسألة أيضًا افترق فيها أهل السنة والجماعة عن غيرهم من المبتدعة كما سنبين.

هناك أدلة على رؤية الله عز وجل لربهم:

من الكتاب:

♦الدليل الأول: {وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:22-23] ، ما هو وجه الشاهد وكيفية الاستدلال؟

والمقصود بوجه الشاهد: أي الألفاظ أو الكلمات التي في الدليل التي تشهد لك بما قلت بأن المؤمنين سيرون ربهم، فوجه الشاهد هو: {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} .

والمقصود بكيفية الاستدلال: أي كيف استدللت منها على الرؤية. فممكن أقول لك من قال لك أن هذا معناه النظر إلى الله عز وجل؟ فقد قال تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية:17] هنا أي تتدبر وتتفكر كيف أن ربنا خلق الإبل، إذًا "النظر" هنا في هذه الآية معناه "التفكر"، وأنت هنا بتقول "النظر" الرؤية البصرية، فكيف الاستدلال؟ وهناك آية أخرى:{ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ } [الحديد:13] ، أي انتظرونا، وهذه كانت في الكفار.

إذًا جاءت "انتظرونا"، أو "التفكر، أو "الرؤية البصرية"، ما الفرق بين كل آية من الثلاثة؟

في الآية: {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} يوجد تعدي بحرف "إلى"؛ ناظر إلى، فالفارق أن هنا لما يأتي الفعل متعدي بحرف جر مثل (إلى) فمعناه أنك بتنظر إلى شيء آخر، فالتعدي بحرف (إلى) أي انتقل الفعل من فعل متفكر لازم إلى فعل متعدي، والذي جعله يتعدى هو حرف الجر (إلى)، فلما أقول لك "انظر إلى الجبل" إذًا هنا معناه أن تنظر رؤية بصرية، وليس معناه أن أقول لك "تفكر إلى الجبل"، لكن لما أقول لك: انظر الجبل" أي تفكر في الجبل، و "انظرونا" أي انتظرونا" ليس فيها حرف متعدي بـ (إلى).

فلما يأتي الحرف متعدي بـ (إلى) فيفيد هنا معنى آخر، فلما كان الفعل بالنظر إذًا يفيد الرؤية. فالفعل لما تعدى هنا بـ (إلى) أي جاء معه حرف جر فأصبحت الرؤية بصرية.

♦الدليل الثاني: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس:26] ، أين الشاهد وكيفية الاستدلال؟

الشاهد: (وَزِيَادَةٌ) والاستدلال: من تفسير النبي ﷺ لـ (وَزِيَادَةٌ): لأن النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية قال: **[الزيادةُ، النظرُ إلى وجهِ اللهِ]**، فأصبح كيفية الاستدلال هنا ببتفسير النبي ﷺ وهذا دليل، وهذا ثاني شيء في التفسير لأنه أول شيء أن القرآن يفسر بالقرآن، أو القرآن بالسنة، فالنبي ﷺ فسَّره فقال الزيادة النظر إلى وجه الله، وهذا قد ثبت، وأيضًا هذا المعنى ثابت عند الصحابة والتابعين.

♦الدليل الثالث: { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق:35] ، (مَزِيدٌ) هي رؤية الله عز وجل.

♦الدليل الرابع: في سورة المطففين وهذا الدليل استدل به إمام المذهب "الشافعي"{كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:15] .

كيفية الاستدلال: بمفهوم المخالفة؛ فالمنطوق بيقول: {كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} فهذا المنطوق في حق الكفار، فقال الشافعي إذًا المفهوم – أي المسكوت عنه – هو أن المؤمنين غير محجوبين عن ربهم، فالسياق كان في الكفار فهنا استدل بالمفهوم.

الأدلة من السنة:

[إنَّكُم سترَونَ رَبَّكُم كما ترَونَ هذا القَمَرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيَتِه]، وهنا مثال القمر تشبيه وضوح الرؤية بالرؤية وليس المرئي بالمرئي؛ فتشبيه وضوح الرؤية بالرؤية أي كما ترى القمر في البدر كل

الناس بتراه عندما تقف على الأرض فمليون واحد سيرى القمر ولا أحد سيتزاحم على القمر، فكذلك وضوح الرؤية لله عز وجل، فستكون هذه الرؤية واضحة وليس تشبيه المرئي بالمرئي، فلا أحد يقول بأن الله كالقمر.

انتهينا من الأدلة.. لكن عندنا إشكال،،

أهل السنة يقولون بذلك ويثبتون أن أهل الإيمان يرون وجه الله عز وجل في يوم القيامة..

قلنا هذه الرؤية لها مواصفات:

1- رؤية بصرية، توافقوني أم تخالفني؟ نعم **رؤية بصرية**

رؤية قلبية، توافقوني أم تخالفوني؟ ليست قلبية بل رؤية بصرية (فالمخالف لنا بيقول بذلك أنها قلبية).

2- رؤية من غير إحاطة أم بإحاطة؟ نعم **رؤية من غير إحاطة**، والدليل:{ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ} [الأنعام:103] أي لا يمكن ادراك الله عز وجل، لكن ترى، وهناك فرق بين الرؤية والادراك؛ فالرؤية مثل أن أرى مبنى لكن لا أحيط به، والادراك هو أن أحيط به من كل اتجاه، فلما بترى الشمس فهذه رؤية وليست ادراك، والقمر رؤية أيضًا. إذًا هي رؤية من غير إحاطة.

3- **رؤية فوقية**؛ رؤية من فوق، فيها العلو لأن هذا من لوازم علو الله عز وجل.

لماذا أنا أقول هذا الكلام؟ لأن هذا أنت بتضبط به الرؤية عند أهل السنة والجماعة.

4- **رؤية ظاهرة**؛ لا يصيبك فيها لا ضرر ولا شيء.

فكل هذه مواصفات للرؤية عندنا.

ممكن تستدل بحديث آخر: **[وما بينَ القَومِ وبينَ أن يَنظُروا إلى رَبِّهم إلَّا رِداءُ الكِبرياءِ على وَجهِهِ في جَنَّةِ عَدنٍ]**، بين في اثبات رؤية الله عز وجل؛ أن أهل الإيمان يرون الله عز وجل.

هذا كلام صريح في اثبات الرؤية عند أهل السنة والجماعة، لكن هناك من أنكر؛ فهناك من أنكر الرؤية بالكلية، وهناك من أوَّل أو حرَّف الرؤية بمعاني لا يقبلها أهل السنة والجماعة.

فالذين أنكروا بالكلية هم المعتزلة؛ قالوا لا يُرى الله عز وجل يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالى:{ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ} [الأنعام:103] فقالوا: أنه قال تعالى "لا تدركه الأبصار" فكيف يُرى؟ وقد رددنا على هذه. لكن استدلوا بشيء آخر؛ لما موسى طلب من الله عز وجل أن يراه فقال له:{ قَالَ لَن

تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ} [الأعراف:143] قالوا: (لَن تَرَىٰنِي) (لن) في اللغة على التأبيد، إذًا لن يراه لا في الدنيا ولا في الآخرة. **طيب كيف سنرد على هذا الكلام؟**

عندما ترد على المخالف في دليل هو أتى به فلابد أن ترد عليه من نفس دليله؛

فهل (لن) بتفيد التأبيد فعلًا على الديمومة أم ممكن تفيد التأبيد وممكن لا تفيد التأبيد؟ أهل العلم يقولون بأن (لن) تفيد التأبيد أحيانًا وقد لا تفيد التأبيد. إذًا نريد مثال في أن (لن) أتت ولن تفيد التأبيد. قال تعالى:{ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ} [البقرة:95] ، على الكافر لن يتمنى الموت، ثم بعد ذلك قال الله عز وجل عنهم:{ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ} [الزخرف:77] ، وذلك يوم القيامة، فقالوا إذًا (لن) هنا لا تفيد التأبيد على كل حال، إذًا ليس لكم فيها دلالة على أن (لن) تفيد التأبيد لأننا عندنا أدلة أخرى. فهنا هذا المثال في (لَن تَرَىٰنِي) خاص بالدنيا، لأن الله لن يراه أحد في الدنيا يقظة، أما في الآخرة فالله سيجعل لنا القوة البصرية أننا نستطيع أن نراه ونتحمل ذلك. إذًا رددنا على هذه المسألة.

فالمعتزلة أنكروا الرؤية، وهم أنكروا الرؤية حقيقة لأنهم أصلًا بينكروا صفات الله عز وجل، وبالتالي إذا كانوا بينكر الصفات فأنت سترى من عندهم؟! فهوو أصلًا ليس له صفة، فكأنه معدوم، إذًا لابد أن ينكروا الرؤية. وهذا كلام باطل.

جاءت طائفه ثالثة (غير المعتزلة وغير أهل السنة والجماعة) وهم **الأشاعرة**، وجدوا أن الآيات فيها اثبات الرؤية، فقالوا لن نستطيع أن نرد الآيات التي قالت بها المعتزلة أنه لا توجد رؤية، لا يمكن ذلك، لكن قالوا: "أن الرؤية غير الرؤية التي تقولوها أنتم، فهذه ليست رؤية بصرية بل رؤية قلبية، هذا علم، أي كأن الله يقذف في قلوب المؤمنين المتعة واللذة كأنهم رأوا الله لكنهم لم يروا الله عز وجل!!" قالوا كلامًا أضحك الناس عليهم. كيف تقولوا رؤية قلبية أو رؤية علمية وليست رؤية بصرية وكأن الله يقذف في قلوبنا أننا نراه ونحن لا نراه!

وبعضهم قال أنها رؤية لكن ليست إلى جهة. هم لماذا قالوا هذا الكلام؟ يقول لو أنت أثبت الرؤية الصفات فستثبت أن هناك جهة، وستثبت كأن هناك إحاطة، أو جسمية، وبالتالي كأنك شبهت الخالق بالمخلوق، وأيضًا هو بينفوا علو الذات، لأنه توجد فوقية قلناها في الرؤية البصرية – ليست فوقية علو شأن بل علو ذات أيضًا – والأشاعرة لا يقولون باثبات العلو، بل يقولون الله لا داخل ولا خارج ولا أعلى ولا أسفل، فقالوا لو أثبتنا أيضًا الرؤية البصرية سنثبت العلو، فأرادوا أن يفروا من كل ذلك بطريقتهم الخاطئة والمخالفة لأهل السنة، فقالوا نقول بالرؤية لكن رؤية علم فقط ليست رؤية بصر! وهذا كلام غير معقول كما قال المعتزلة اضحكوا الناس عليهم لأن لا يمكن أحد أن يثبت رؤية ويقول في الآخر الرؤية لابد أن تكون بصرًا، وإلا لو رؤية علم فلم ستسمى رؤية أصالة!

ولكن نقول نرى ولا نعلم؛ لا نتكلم لا في جهة، ولا نتكلم في إحاطة، ولا في تجسيم ولا في شيء، لكن نقول نعم هناك فوقية لأن هناك علو، ونرى الله عز وجل بأبصارنا نعم وربنا سيخلق لنا القدرة على هذه الرؤية. وهي الجهة علو طبعًا، لا إشكال، ولا يلزم من اثبات الجهة التجسيم أو تشبيه الخالق بالمخلوق.

إذًا بينا المعتزلة والجهمية معًا، وبينا الأشاعرة، وبينا أهل السنة والجماعة.

المسألة الثالثة: أن الجنة التي أُهبِط منها آدم عليه السلام هي جنة الخلد:

الجنة التي أُهبِط منها آدم عليه السلام هي جنة الخلد التي خلقها الله عز وجل لأوليائه، لأن الله قال لآدم قبل أن يأكل من الشجرة:{ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ} [طه:118-119] ، وقبلها قال في آيات أخرى: {وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ} [البقرة:35] ، ثم وسوس لهم الشيطان وأخرجهم.

البعض قال أنها ليست جنة الخلد؛ أي الجنة التي خرج منها آدم عليه السلام ليست هي الجنة التي سنعود إليها التي أعدت للمتقين، قالوا الجنة في مكان آخر، قال: "اهبط" أي مكان عال، ثم قالوا أن هذه كانت موجودة في "الهند" وهو خرج منها إلى الأرض التي نزل فيها.

وطبعًا هذا الكلام حقيقة كلام باطل، وهناك كتاب كامل لابن القيم (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) تكلم عن مسألة الجنة والنار، لكن أهل السنة والجماعة يقولون بأن الجنة التي أُهبِط منها آدم هي جنة الخلد. وأما من قالوا بأن الجنة كانت في الأرض في "الهند" وبعضهم قال في "جدة" أيضًا، فهذا كله كلام فلاسفة وملحدين وأهل كلام وتصوف.

ما الدلالة على ذلك؟ أن الله عز وجل لما تكلم عن الملائكة طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم، وسجود الملائكة كان في السماء، والملائكة أصلًا في السماء، فلما سجدوا سجدوا في السماء، إذًا كان السجود في السماء أيضًا، قال تعالى:{ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ } [البقرة:36] ، "مما كانا فيه" كانوا في السماء، وكان هذا موطن سجود الملائكة لآدم، والذي أبى فيه إبليس. فدل ذلك على أنهم لم يكونوا في الأرض، بل آدم وحواء أُهبِطوا إلى الأرض بعد ذلك.

ثم قال:

(وخلِيفَتَه إلى أَرضِه بِما سَبَقَ في سابِق عِلمِه)

وهذه فيها نظر في مسألة **(وخلِيفَتَه إلى أَرضِه)** ويقصد قول الله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ} [البقرة:30] . قال (خليفته) أي يقصد خليفة الله في أرضه بما سبق في سابق علمه.

وهو آدم خليفة نعم، لكن علماء التفسير قالوا (ما معنى خليفة؟)

بعضهم قال خلف الأقوام الذين كانوا من قبله في الأرض؛ أي قبل نزول آدم إلى الأرض كانت توجد أقوام قبل ذلك في الأرض، لذلك الملائكة قالوا: {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ} [البقرة:30]، فكأن الملائكة بتقول عن علم من قبل أنه كان هناك ناس سفكوا وفعلوا، فلما قال لهم الله أنه سيجعل في الأرض خليفة فهم كأنهم بيقولوا: سيكون هناك مرة أخرى من يفعل كذا وكذا. لذلك بعضهم قال من معاني تفسير أن "آدم خليفة في الأرض" أنه خلف خلق كانوا قبله على الأرض، لذلك سُمي خليفة.

وبعضهم قال لأن الله عز وجل جعله وذريته خلائف؛ لذلك قال:{ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ} [الأنعام:165] ، فهنا خليفة معناه أنهم سينزلوا ويجعل من ذريته خلائف يسكنون الأرض بعد ذلك.

أما الثالثة التي قصد بها المؤلف هنا (خليفته) أي خليفة الله فحقيقة أضعف الاقوال، وحتى فيها نظر؛ إلا لو قلنا بأن خليفة الله أي إضافة تشريف لآدم، كالكعبة بيت الله، أو ناقة الله، فيكون خليفة الله من باب إضافة التشريف؛ أي تشريفًا لآدم.

لكن الأصل أن الخليفة هو من يخلف غيره، فإذا غاب أو مات يخلف الذي يليه، والله لا يموت وشاهد لا يغيب سبحانه وتعالى، فلا يكون أحد خليفة عنه، بل هو تعالى هو الخليفة عن الناس، لذلك أنت في السفر بتقول: **[اللَّهمَّ أنتَ الصَّاحبُ في السَّفرِ، والخليفةُ في الأَهْلِ، والمالِ]**، فالله هو الذي يكون خليفة ولا أحد خليفة عن الله. فبهذا المعنى لا يصح، لكن لو قلنا أن المقصود هنا أن الإضافة للتشريف فقط أي أن الله اختصه أن يكون في الأرض خليفة فممكن يسير على ذلك، وإلا النبي ﷺ قال على الدجال:**[وإنْ يخرجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حَجِيجُ نفْسِهِ، واللهُ خليفَتِي على كلِّ مسلمٍ]**، إذًا الله هو الخليفة وليس أحد يخلف الله عز وجل.

لذلك قلنا أن "آدم خليفة الله" فيها نظر، ولم يأت ذلك في القرآن ولا في السنة، مع أن هذه الكلمة منتشرة؛ "خليفة الله في أرضه" مثلًا أو غير ذلك. ولو قلنا أنه من باب التشريف أي إضافة المخلوق إلى الخالق من باب التشريف فحقيقة لم تثبت أيضًا بدليل، لكن الله أثبت على الكعبة أنها بيت الله. فتُحمَل على هذا المعنى وفيه نظر أيضًا عمومًا.

قال:

(وخَلَقَ النَّارَ فأعَدَّها دَارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ به، وألْحَدَ في آياتِه وكتُبه ورُسُلِه، وجَعَلَهم مَحجُوبِين عن رُؤيَتِه)

وهذه طبعًا عطف على الكلمة الأولى لما قلنا أنه خلق الجنة للمؤمنين، فهنا **(خَلَقَ النَّارَ فأعَدَّها دَارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ به، وألْحَدَ في آياتِه)** .

هو يريد أن يبين بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان كما قلنا، وأن دار الجنة خلود لأهل الإيمان، ودار النار خلود للكافرين، وقلنا هذا اتفاق عند أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان أبدًا، **وانتبهوا لهذه المسألة..** لا تفنيان أبدًا لأنها فيها كلام نُقِل عن ابن تيمية وابن القيم أنهم قالوا بـ "فناء النار"، والبعض قال أنه بـ "فناء نار الموحدين"، كأنهم فرقوا بين نار للموحدين ونار للكفار، والجمهور لا يفرق هذا التفريق، هي نار، وأن النار لا تفنى، وبعضهم قال أنه نقل عن ابن تيمية أنه قال أن النار تفنى. لذلك بيستدل بعض المخالفين لأهل السنة على أن ابن تيمية بيبتدع وبيقول كذا وكذا، ومسألة النقل صراحة أن ابن تيمية قال فيه خلاف بين العلماء؛ هو تكلم طبعًا في كتبه عن مسألة الجنة والنار، بعضهم قال أنه توقف، وبعضهم قال أنه يُظهِر كلامه كأنه يرى بأن النار تفنى، – والجنة طبعًا لن تفنى – وبعضهم قال أنه يقصد أن هناك نار موحدين وهناك نار غير موحدين؛ نار الموحدين بعد أن ينتهي أهل التوحيد من الحساب ويدخلون الجنة فكأن النار هذه تفنى. والمسألة فيها خلاف، وطبعًا بعض المخالفين لنا يريدون أن يقدحوا في ابن تيمية فينسبون له هذا الكلام الذي قاله.

وبعض الذين قالوا بشبهة فناء النار، ابن تيمية وغيره، قوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ} [هود:106-107] ، بعضهم قالوا (إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ) كأنه استثناء وهذا دلالة على أن النار بتفنى. وهذه ليست بالضرورة؛ حتى لغة ليس المقصود بها استثناء، قال (إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ) أي "ما دام شاء ربك" أي ليس معناها استثناء أنه سيشاء ألا تكون هناك النار، لا، فممكن تكون المسألة متصلة، فـ (إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ) أي كأنه ما دام قد شاء ربك ذلك سيكون.

المهم أن هذه المسألة الصحيح الراجح أن النار لا تفنى، ولو قلنا أنه يوجد كلام عند بعض علماء السلف بأن النار تفنى فالله أعلم ممكن يكونوا يقصدوا أيضًا نار الكفار على أن كل الكفار سيفنون بنارهم، لكن هذا يناقض أنهم سيستمرون في الخلود في العذاب.

سنقف عند أحوال الناس يوم القيامة، وقول المصنف: **(وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَجيءُ يَومَ القيامَةِ)**.

المحاضرة العاشرة

وقفنا عند أحوال الناس يوم القيامة، سيذكر المؤلف بعض الأمور التي تخص أحوال الناس يوم القيامة فقال:

(وأنّ اللهَ تبارك وتعالى يَجِيءُ يَومَ القيامَةِ: {وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢]، لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وعقُوبَتِها وثَوابِها، وتوضَعُ الموازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هم المُفلِحون} [الأعراف:٨]، ويُؤْتَوْنَ صَحائِفَهم بأعمَالِهم: فَمَن أُوتِيَ كِتَابَه بيمينه فسوف يُحَاسَبُ حِساباً يَسيراً، ومَن أُوتِيَ كِتَابَه وراءَ ظَهْرِه فأولئك يَصْلَوْنَ سَعيراً. وأنّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُه العِبادُ بِقَدْرِ أعمالِهم، فناجُون مُتفاوِتُون في سُرعَةِ النَّجاةِ عليه من نار جَهَنَّم، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فيها أعمالُهم. والإيمانُ بِحَوْضِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، تَرِدُهُ أُمّتُهُ لاَ يَظْمَأُ مَن شَرِب مِنه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّرَ)

ذكر المؤلف في هذه القطعة أكثر من مسألة سنتكلم عنها؛

1. المسألة الأولى: تكلم عن مجيء الله عز وجل يوم القيامة؛
2. المسألة الثانية: تكلم عن الموازين، وأن هناك وزن؛
3. المسألة الثالثة: إتيان الكتاب باليمين أو بالشمال؛
4. المسألة الرابعة: تكلم عن الصراط، وأن الصراط حق؛
5. المسألة الخامسة: تكلم عن حوض النبي ﷺ.

كل هذه الأمور الخمسة التي ذكرها المؤلف هي من أركان الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر ذكره هنا المؤلف بعد أن ذكر الجنة والنار، مع أن كان المناسب أن يذكره أولًا قبل الجنة والنار ثم يكون بعد ذلك الجنة والنار، أيًا كان، لكن هي كلها من الأمور التي تخص الإيمان باليوم الآخر.

المسألة الأولى: أن الله عز وجل يجيء يوم القيامة:

أهل السنة والجماعة كما قلنا في باب الأسماء والصفات يثبتون ما أثبته الله عز وجل لنفسه من أسماء أو صفات، **والمجيء صفة فعلية**، وضابط الصفة الفعلية: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل. أما الصفات الذاتية فهي لازمة لا تنفك عن ذات الله؛ مثل السمع البصر ذاتي لا ينفك، متصف به دائمًا أبدًا.

فهنا قال:

(وأنّ اللهَ تبارك وتعالى يَجيءُ يومَ القيامَةِ)

إذًا الله يجيء، والمجيء هنا صفة فعلية، وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله يجيء حقًا، كيف يجيء؟ نقول: لا نعلم الكيفية، ففي كل صفة من الصفات الفعلية تثبتها؛ مثل الاستواء بنثبته، كيف استوى؟ لا نعلم كيفية الاستواء، المجيء.. يجيء الله عز وجل يوم القيامة، الضحك.. يضحك، كيف يضحك؟ لا نعلم الكيفية، يفرح، يحب، وهكذا **في كل الصفات الفعلية أهل السنة يثبتونها حقيقة ويفوضون كيفية هذه الصفة كيف تكون.**

فهنا الله عز وجل يجيء يوم القيامة ويأتي، وذُكر ذلك في أكثر من موطن؛ منها قوله تعالى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ} [الأنعام:158] ، وقال تعالى:{ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:22] . الأولى طبعًا إتيان الله عز وجل وإتيان الملائكة، والثانية مجيء الله عز وجل ومجيء الملائكة. وقوله تعالى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ } [البقرة:210] ، وهنا أيضًا إتيان الله عز وجل.

كل هذه الآيات ظاهرها أن الله يأتي يوم القيامة ويجيء، كما أن الله ينزل إلى السماء الدنيا نقول ينزل لكن لا نعلم كيف ينزل كذلك هو يجيء ولا نعلم كُنه مجيئه أو كيفية المجيء. إذًا الإيمان به واجب والمجيء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة قياسًا على قول الإمام مالك في الاستواء.

هل يوجد أحد نفى المجيء؟

نعم ما يسمون **الجهمية والمعتزلة** هم أصلًا بينفو صفات الله عز وجل، فنفوا المجيء. وهناك **الأشاعرة**؛ فالأشاعرة عندهم إشكال في الصفات الفعلية؛ ما يثبتونها على حقيقتها كأهل السنة والجماعة الذين يثبتونها. فهم يحرفون المجيء؛ بعضهم يقول أن:{ وَجَآءَ رَبُّكَ} أي جاء أمر ربك، يجعلون المجيء لأمر الله وليس لله عز وجل! وهذا الكلام باطل لأن ربنا قال:{ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ} [النحل:33]، إذًا هناك فرق بين إتيان الله وإتيان الأمر، والله قد ذكر مرة إتيان الله، ومرة إتيان الملائكة، ومرة إتيان أمره، فكل واحد نثبته كما هو، وهناك فارق بين إتيان الله وإتيان الملائكة وإتيان أمر الله. **الأشاعرة قالوا:** لا. لماذا؟ لأنهم أصلًا لا يثبتون الصفات الفعلية، بل يحرفونها، فيقولون كما قالوا في نزول الله عز وجل في السماء الدنيا قالوا: ينزل أمره. طيب ما ينزل الله عز وجل في السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؟! قالوا: لا بل ينزل أمره!

والصحيح نقول: بأن الله عز وجل يجيء ليحاسب الناس يوم القيامة ولعرض الأعمال على الناس كما جاء في الحديث: **[يَدنو أحَدُكُم مِن رَبِّه حتَّى يَضَعَ كَنَفَه عليه، فيَقولُ: عَمِلتَ كَذا وكَذا؟ فيَقولُ: نَعَم،**

ويقولُ: عَمِلتَ كَذا وكَذا، فيَقولُ: نَعَم، فيُقَرِّرُه، ثُمَّ يقولُ: إنِّي سَتَرتُ عليك في الدُّنيا، فأنا أغفِرُها لكَ اليَومَ].

المسألة الثانية: الموازين:

قال المؤلف:

(وتُوضَعُ الموازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئك هم المُفلِحون})

هل الميزان حقيقي أم غير حقيقي؟

هل يوجد ميزان يوم القيامة؟ نعم يوجد ميزان وميزان حقيقي، بل قال أهل السنة أن له كفتان ولسان، قال تعالى:{ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ } [المؤمنون: 102-103] وقال تعالى:{ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ} [الأنبياء:47].

إذًا الميزان عندنا ميزان حسي؛ لماذا بنقول حسي؟

لأن المعتزلة يقولون: لا يوجد شيء اسمه ميزان حسي، بل هو شيء معنوي، والمقصود بالموازين أي العد والقسط فقط لكن لا يوجد ميزان حقيقي وحسي!

ونحن نقول: بل الميزان حسي وله كفتان، لأن السنة وردت بذلك.

لكن ما الذي يوزن في الميزان؟

العبد يوزن؛ والدليل: لما ارتقى عبد الله بن مسعود على الحائط ليأتي بشيء من النخل فجاءت ريح شديدة فكان سيقع وكان نحيفًا، فضحك الصحابة أول لما ارتقى ورأوا دقة ساقيه، فقال النبي ﷺ مما تضحكون؟ قالوا رأيت يا رسول الله ﷺ دقة ساق عبد الله بن مسعود؟ فقال:**[لَهُما أثقَلُ في الميزانِ من أُحدٍ].** ودليل آخر قال النبي ﷺ: **[إنَّه لَيَأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ، لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ]**، فلا يساوي عند الله في الميزان جناح بعوضة، فهذه أدلة أن العبد نفسه بيوزن.

الأعمال بتوزن؛ والدليل: حديث: **[الطُّهورُ شطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ]**، إذًا "الحمد" عمل يملأ الميزان. وحديث: **[كَلِمَتانِ خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ، حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ: سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ]** فهذا عمل بيوزن.

السجلات توزن؛ فالسجلات التي كتبتها الملائكة سواء سيئات أو حسنات أيضًا توزن، والدليل: حديث البطاقة أنه يأتي بالعبد فيوضع له تسعة وتسعين سجل كلها سيئات فيقول الله عز وجل بعد أن يقر بها العبد: **[إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلمَ عليك اليوم، فتخرج بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا اللهُ، وأن**

محمدًا عبدُه ورسوله، فيقول: احضُر وزنَك، فيقول: يا ربِّ! ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلاتِ؟! فيقول: إنك لا تظلمُ، قال: فتوضع السجلاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشت السجلاتُ، وثقلت البطاقةُ، فلا يثقل مع اسمِ اللهِ شيءٌ] . فهنا أيضًا السجلات التي تكتبها الملائكة بتوزن.

المبتدعة من المعتزلة أنكروا حقيقة الميزان؛ وقالوا لا يوجد وزن للأعمال، وقالوا أن المراد بالميزان هو العدل فقط، فلم يثبتوه وأن ليس هناك ميزان للحسنات والسيئات وغير ذلك.

وقال تعالى:{ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ} [الأنبياء:47]. الإشكال عند بعض العلماء أن هل لكل أمة ميزان؟ أم هو ميزان واحد لكل الأمم؟ بعض العلماء قالوا أن لكل أمة ميزان؛ أي أمة النبي ﷺ ميزان، والأمم الأخرى..، وبعضهم قال هو ميزان واحد لكل الأمم، ولا إشكال في ذلك عمومًا.

المسألة الثالثة: إتيان الكتاب باليمين أو بالشمال:

قال:

(ويُؤْتَوْنَ صَحائِفهم بأعمَالِهم: فَمَن أُوتِي كِتَابَه بيمينه فسوف يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، ومَن أُوتِي كِتَابَه وراء ظَهْرِه فأولئك يَصْلَوْنَ سَعيراً)

أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة إيتاء الكتاب؛ أن المرء يؤتى الكتاب، فمن كان من أهل الجنة فيؤتى كتابه بيمينه، ومن كان من أهل النار فيؤتى كتابه من وراء ظهره بشماله بالجمع بين الأدلة، قال تعالى:{ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا} [الانشقاق:7- 8] ، وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ} [الانشقاق:10] ، وقال تعالى أيضًا:{فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ} [الحاقة:19] ، وفي آية أخرى: {وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ} [الحاقة:25] . فالصحيح أن من أوتي كتابه بشماله أو من أوتي كتابه وراء ظهره فهو من وراء ظهره يأخذه بشماله.

وقال: **(ويُؤْتَوْنَ صَحائِفهم)** فما الدليل على ذلك؟ و"الكتاب" هو "الصحائف" عمومًا، فحتى ما تقول أن الآيات في "الكتاب" فقوله تعالى: {وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ} [التكوير:10]، فالصحف التي نشرت هي الكتب التي سيستلمها العباد. وطبعًا يبين ذلك "النشر" حديث الرجل صاحب البطاقة أن تنشر سجلاته جميعها على الميزان ثم بعد ذلك توضع البطاقة التي ينجو بها.

المسألة الرابعة: الصراط:

قال:

(وأنّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُه العبادُ بِقَدْرِ أعمالِهم، فناجُون مُتفاوِتُون في سُرعَةِ النّجاةِ عليه مِن نار جَهَنَّمَ، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فيها أعمالُهم)

هنا يثبت مسألة أخرى أيضًا في الإيمان باليوم الآخر؛ وهي وجود الصراط. والصراط هو: جسر منصوب على متن جهنم يمر عليه الناس.

والناس قبل الصراط ثلاثة أصناف مؤمن ومنافق وكافر؛

في أول الصراط الكافر لا يعبر الصراط أصلًا، فأول شيء يؤخَذ الكفار؛ كل من كان يعبد شيئًا يمثله الله عز وجل له؛ إله الشمس فتأتي الشمس فتكور ويكورن مع الشمس ويلقون في جهنم، ويأتي من كان يعبد القمر فيأتي القمر ويأتي من كان يعبدون القمر فيكورون مع القمر ويلقون في جهنم، ومن كان يعبد البقر فيأتي بالبقر ويكورون ويلقون إلى جهنم، فكل طائفة كانت تعبد غير الله يأتي الإله الذي كان يعبدونه من دون الله باطلًا فيلقون في جهنم. ويتبقى أهل الإيمان وأهل النفاق، وقول النبي ﷺ: **[لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانَت تَعبُدُ]**.

ثم يأتي في مسألة المؤمن والمنافق حديث الصراط أن الله عز وجل يأتي لطائفتين معًا ينتظرون الله عز وجل فيأتيهم في صورة غير التي يعرفونها، فيقول: "أنا ربكم"، يقول أهل الإيمان: "لست بربنا" فقال: "هل بينكم وبينه علامة؟" قالوا: "نعم"، ثم يأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها، فلما يرون الله عز يقول: "أنا ربكم"، فيقولون: "أنت ربنا"، فيكشف عن ساقه سبحانه وتعالى فيخر أهل الإيمان سجدًا ويحاول أهل النفاق أن يسجدوا فالله عز وجل جزاء وفاقا لأنهم رفضوا السجود في الدنيا لله فيجعل ظهورهم طباقًا أي ما تلتوي، ثم ينقلبون على ظهورهم، فيميز أهل النفاق عن أهل الإيمان، ثم يتبقى أهل الإيمان يعبرون الصراط.

والصراط هو جسر موضوع فوق جهنم ليعبروا عليه إلى الجنة. وعبور الناس على الصراط يختلف بقدر الأعمال؛ فمنهم من يعبر كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كأجاويد الخيل التي تجري، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف على بطنه، فالناس متفاوتون في العبور في السرعة وفي البطئ، ومنهم من يركض. قال النبي ﷺ: **[فناجٍ مُسَلَّمٌ، وناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ]** فـ (ناج مُسلَّم) هذا الذي سيعبر، لأنه يوجد كلاليب تحت الجسر من جهنم بتطلع بتحاول أن تخطف الناس – وهؤلاء ليسوا الكفار لكن المسلمين العصاة منهم الذين يستحقون أن يعذبوا أولًا ثم يدخلون الجنة، فمن يعبر مباشرة ناجٍ مُسلَّم حتى لو عبر ببطء أو عبر بسرعة فهذا مُسلَّم. قال: (وناجٍ مخدوش، ومكدوس في نار جهنم)

هذا تأخذه الكلاليب تخدش فيه إلى أن تأخذه إلى جهنم يمكث – في أحاديث أخرى ليس محلها هنا الآن– قدر ما يريد الله عز وجل ثم يُخرج بعد ذلك ويدخل الجنة، وهؤلاء يسمون الجهنميون.

المهم أن الصراط حقيقي ويمر الناس عليهم بأعمالهم، والأعمال هذه كما كانت في الدنيا؛ فأنت بقدر ما تعمل من أعمال في الدنيا من خير يسارع لك على الصراط، وبقدر ما لا تعمل يبطئ لك على الصراط، هذا في الحسنات. وأما في السيئات– فنعوذ بالله من ذلك ونتوب جميعًا من سيئاتنا إن شاء الله قبل موتنا– وإلا فناج مخدوش مكدوس في نار جهنم، وهذا كله جزاء وفاقًا؛ من كان في الدنيا مسارعًا في الخيرات وفي الطاعات ومُقبِل على الله فكان الجزاء وفاقا يوم القيامة في الصراط تجده كالبرق، كالريح، كأجاويد الخيل يسرع أو يمشي أو يركض فكلهم بحسب أعماله،{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران:185] ، فالذي زحزح هذا يكون في الآخر لكنه قد فاز، لكنه تفاوت الناس في الجنة.

وهذا الذي من المفترض أن يكون في المرء؛ أن الهمة تعلو وألا تكتفي بمن زحزح على النار وأدخل الجنة، ولماذا لا تكون لك مراتب عليا في الجنة؟ لماذا لا تكون مع النبي ﷺ في الفردوس الأعلى وتكون جارًا له؟ أو مع الصديق، أو مع الفاروق، أو مع باقي الصحابة رضوان الله عليهم، لماذا ترضى بالأدنى؟ إذا كنت في الدنيا لا ترضى بالأدنى! أنت في الدنيا عندما تشتري شيء أو تأكل شيء أو..، فدائمًا تنظر لأفضل شي، فتريد الأفضل في الدنيا؛ معك أموال فبتحاول أن تحصل على أفضل شيء؛ سواء أفضل من حيث السعر، أو من حيث الجودة، أو من حيث الاستمتاع بالشيء الذي تشتريه. فهذه أمور الدنيا، أما في الجنة، لماذا تزهدون فيها؟ فالمفترض أن تسارع إلى علو المرتبة في الجنة، فلا تقف وتقول خلاص صليت جماعة، أو صليت ركعتين فتقول الحمد لله يكفي ذلك! لا، لماذا لا تسارع في الأعمال وتزيد؟

ولابد أن تستحضر إذا وفقك الله لعمل فاعلم أن الله يحبك لأنه فتح لك هذا الطريق، فلماذا تنتظر؟ فسارع في هذا الطريق، لذلك النبي ﷺ خشي على أبو بكر وعمر لما رآهما من على بعد فقال هذان سيدا كهول أهل الجنة، فقال أأبشرهما يا رسول الله؟ قال: لا، وأنا أقولها دائمًا أذكر نفسي وإياكم. العلماء احتاروا لماذا لا يبشرهم حتى يفرحوا بذلك، فقال لا. لماذا قال لا مع أبو بكر وعمر؟ لأنه توجد مسألة أخرى لما قال: **[من مات لم يشرك بالله شيئًا دخل الجنة]** فقال أنس أفلا أبشر الناس؟ قال بشرهم، قال عمر: لا يا رسول الله يتكلوا؛ أي يتكلوا على أنه بيقول لا إله إلا الله فلا يعمل، مثل الناس التي تقول لك أنا مؤمن ومسلم وقلبي أبيض ولا يعمل أي شيئ آخر يظن أن ذلك سيدخله الجنة. فالنبي ﷺ أقر عمر حتى لا يتكل الناس. طيب في المسألة الأولى لا يمكن أن أبو بكر وعمر سيتكلوا! بل لأنه خشي عليهم إن علما بأنهما سيدا كهول أهل الجنة أن يزدادا في الطاعة فيشقا على أنفسهما شكرًا لله، وأهل الصلاح يفعلون ذلك. فأبو بكر وعمر هم في الأصل يعلموا ويُبشروا بالجنة، لكن لأنهم يعلموا أنهم بشرهم الله بالجنة فلن يتوقفوا عن الطاعة، بل سيسارعون أكثر ويزدادوا من الطاعة قربًا لله وشكرًا.

فأنت كلما توفق لعبادة فتعلم أن توفيقك لهذه العبادة فضل ونعمة من الله، إذًا الله يحبك، لأن الله ما يرشدك للخير إلا لأنه يحبك، فلما تعلم أن الله يحبك فكأنك تسارع إليه أكثر فتزداد في الطاعة أكثر، لا أن تقول خلاص الحمد لله صلينا التراويح، الحمد لله صمنا رمضان، الحمد لله عملنا كذا! لا. وهذا فقه؛ أنك لما تعلم أن الله اصطفاك مثلًا تجلس في درس علم لتتعلم فهناك غيرك في مكان آخر سواء في محرم أو حتى في مباح لكنه لا يكون في هذه المرتبة، فأنت لما تعلم ان الله اصطفاك وفتح لك هذا الباب فتستشعر نعمة الله عليك أو الله يحبك، فتظن أنه لما يحبك الله فتسارع لمحبوبك، فتزيد. وهذا الذي نريده؛ بأن المرء لا يكتفي، بل يسارع، فدار الدنيا هي البناء لك في الآخرة، فالغرس الذي ستغرسه هنا فالثمرة ستكون في الآخرة.

المسألة الخامسة: حوض النبي ﷺ:

ذكر الحوض، فقال:

(والإيمانُ بِحَوْض رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، تَرِدُهُ أُمّتُهُ لاَ يَظْمَأُ مَن شَرب مِنه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدّلَ وغَيّرَ)

أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بحوض النبي ﷺ، وحوض النبي ﷺ ترد عليه أمته؛ و(أمته) أي أمة الإجابة، فهناك أمة الدعوة وهناك أمة الإجابة. فأمة الدعوة فهذا العالم كله؛ أن كل الناس هم أمة لدعوة الإسلام؛ أي ندعوهم جميعًا وتسمى أمة الدعوة، لكن أمة الإجابة هم الذين استجابوا للنبي ﷺ، فهؤلاء الذين يردون على الحوض، لكن منهم ناس يشربون، ومنهم ناس يُدفعون عن الحوض. والحوض له صفات جاءت في السنة، طوله مسيرة شهر وعرضه شهر، وماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من المسك وأبرد من الثلج وآنيته عدد نجوم السماء – نسأل الله أن نشرب جميعًا من يد النبي ﷺ الشريفة – ترد عليه الأمة؛ من كان مستقيمًا على سنة النبي ﷺ يشرب، وعلى دين الله عز وجل، ومن لم يكن ذلك يُرَد، حتى أن النبي ﷺ يرى أناس يأتون إلى الحوض فتدفعهم الملائكة فيقول: **[أصحابي أصحابي]**، فتقول له الملائكة: **[إنَّكَ لا تَدري ما أحدَثوا بعدَكَ]** أي ماذا غيروا، حتى أنه في رواية: **[إنَّهم لَم يَزالوا مُرتَدِّينَ على أعقابِهم مُنذُ فارَقتَهم]**. وهو لا يتكلم عن الصحابة فقط، يتكلم عن من جاء من بعد النبي ﷺ وخالف هدي النبي ﷺ وسنة النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ لهم: **[سُحقًا سُحقًا لمَن بَدَّلَ بَعدي]**، وهذا من المبتدع؟ المبتدع الذي خالف أمر النبي ﷺ وهديه هو الذي يُدفَع عن الحوض فلا يشرب، أو قد يكون المقصود المرتد الردة الكبرى عن الإسلام الذين يستوجبون الخلود في النار، وقد يقصد المرتدون لترك الاستقامة السنة والذهاب إلى البدعة، وهؤلاء ليسوا بكفار، لأن البدعة نوعان: بدعة مكفرة وبدعة مفسقة، فقد يكون المقصود هنا هذا أو هذا.

وهذه ترجع للخلاف هل **الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟** وهذه مسألة خلافية، لو قلت أن الحوض قبل الصراط إذًا ممكن تقول أنهم فعلًا مرتدون فدخل فيها الكفار، لأن بعد الصراط المفترض يكون النجاة، ولذلك اختلفوا العلماء؛

بعضهم قال أن الحوض قبل الصراط وهذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية؛
وبعض علماء السلف قالوا بأن الحوض قد يكون بعد الصراط. والذي رجح قول أنه قبل الصراط قول النبي ﷺ: **[مَن شَرِبَ منه لم يَظمَأْ بَعدَه أبَدًا]**، فلو شرب من الحوض قبل الصراط فهذه علامة على أنه لن يظمأ بعدها إذًا هو من أهل الجنة.

أيًا كأن؛؛ المسألة هذه محل خلاف حقيقة؛ هل الحوض قبل أم بعد، لكن الإثنين لا إنكار فيه، فهذا له دليل وهذا له دليل ولم يأت نصًا في هذه المسألة. لكن المهم بأن النبي ﷺ بيَّن أن هناك حوض وأن هذا الحوض للنبي ﷺ يُشرب منه، لكنه زكَّى الأنصار، لما قال الأنصار: **[إنَّكُم سَتَلقَونَ بَعدي أُثرةً، فاصبِروا حتَّى تَلقَوني على الحَوضِ]**، وهذه منقبة للأنصار رضي الله عنهم بأنهم سيلقون النبي ﷺ على الحوض.

هناك طائفة أنكروا الحوض؛ وهم المبتدعة من الخوارج والمعتزلة، أنكروا وجود الحوض، والأدلة على ذلك كثيرة حتى لا ندخل فيها أكثر من ذلك.

ندخل في الإيمان؛؛

قال:

(وأنّ الإيمانَ قَولٌ باللّسانِ، وإخلاصٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالجوارِح، يَزيد بزيادَة الأعمال، ويَنقُص بنَقْصِها، فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَولُ الإيمانِ إلاّ بالعمل. ولا قَولٌ وعَمَلٌ إلاّ بنِيّة، ولا قولٌ وعَمَلٌ ونِيّةٌ إلاّ بمُوافَقَة السُّنّة. وأنّه لا يَكفُرُ أَحدٌ بذَنب مِنْ أَهْل القِبْلَة)

هنا يتكلم عن الإيمان، والمسألة هذه مهمة جدًا، الإيمان عند أهل السنة والجماعة، لأن هناك طوائف كثيرة خالفت.

وتعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة: (قول باللسان، وإخلاص القلب، وعمل بالجوارح). فلابد من التلفظ؛ وهذا هو قول باللسان، التلفظ بالشهادتين حتى يكون مؤمنًا؛

- فمن علم أن الإسلام حق ولم يتلفظ فليس بمسلم، مثل أبو طالب.
- ومن تلفظ باللسان ولم يعتقد الإسلام بقلبه فليس بمسلم؛ مثل المنافقون يقولوا باللسان، قال تعالى عنهم:{ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ} [المنافقون:1] . إذًا أيضًا قول اللسان بدون اعتقاد القلب لا يصح.

- وأيضًا قول اللسان واعتقاد القلب بدون عمل لا يصح.

فالكل مركب عند أهل السنة والجماعة؛ فلابد من قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وهذا الإيمان عند أهل السنة والجماعة. والذين خالفوا فكل واحد خالف في شيء من هذه الثلاثة؛

فمثلًا طائفة تسمى **الجهمية** قالوا: الإيمان المعرفة فقط؛ أي يكفي أنك تعرف أن هناك إله، مجرد المعرفة إذًا أنت مسلم أو مؤمن! وهذا خطأ.

والأشاعرة قالوا: التصديق؛ أن تصدق فقط! وهذا خطأ، أخرجوا الأعمال، بل منهم من قال أن النطق بالشهادتين شرط فقط لكن ليس ركنًا، وهذا خطأ أيضًا.

والمرجئة قالوا: تصديق القلب وإقرار باللسان؛ طيب أين الأعمال؟ قالوا الأعمال ليست من الإيمان، لذلك يقولوا أن كل الناس إيمانهم واحد؛ أن إيمان أبو بكر مثل إيمان أفجر الناس في الأمة! لأن الإيمان عندهم التصديق ويقولوا أن التصديق ليس فيه مراتب أيضًا؛ أي أن كله مرتبة واحدة في الإيمان.

فرقة اسمها **الكرامية** قالوا: أن الإيمان هو الاقرار باللسان؛ وليس مهم القلب، فجعلوا المنافق كأنه مؤمن، مع أنهم قالوا أنه كافر في النار خالد لكن هم سموه مؤمن، لأنه قال لا إله إلا الله.

- **إذًا الإيمان لابد فيه من:**

1- اعتقاد القلب (الذي فيه التصديق والاقرار)؛ وهو قول القلب
2- عمل القلب؛ وهي الأعمال القلبية؛ مثل الإنقياد والإرادة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل؛
3- إقرار اللسان؛ وهو الشهادتين؛
4- عمل اللسان؛ وهي العبادات التي تكون باللسان؛ كالذكر مثلًا؛
5- عمل الجوارح؛ مثل الصلاة، الصوم، الحج، العمرة،..

فأصبح عندك خمسة؛ قول قلب، وعمل قلب، وقول لسان، وعمل لسان، وعمل جوارح. الكل هذا إيمان. ما الدلالة على ذلك؟ قول النبي ﷺ: [**الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون..]** وفي رواية - **[بضعٌ وستُّون شُعبةً، فأفضلها قولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان]** ، "لا إله إلا الله" أعلاها، وأدناها – أعمال – وهي إماطة الأذى، والحياء – قلبي – شعبة من الإيمان، كل هذا إيمان؛ أعمال ظاهرة، وأعمال باطنة، وبالقلب، وباللسان، وبالجوارح.

فالإيمان مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحج، الصلاة، الصوم، الصدقة، التوكل، والخوف، كل هذا من الإيمان.

قال:

(وأنّ الإيمانَ قَولٌ باللّسانِ، وإخلاَصٌ بالقلب)

فمهم جدًا إخلاص القلب، لأن أي عمل حتى يصح مطلوب له شرطان: الإخلاص، والمتابعة،

الدليل علي المتابعة: **[مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ]**،

الدليل علي الإخلاص: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [البينة:5] ، هذه الآية احفظوها مهمة جدًا كدليل.

فأصبح الآن لصحة العمل لابد من الإخلاص ومتابعة السنة.

قال:

(يَزيد بزيادَة الأعمالِ)

الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة في الإيمان **أن الإيمان يزيد وينقص**؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لأن الأعمال من الإيمان وبالتالي بيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا مهم جدًا لأن بعض الطوائف المبتدعة قالوا أن الأعمال ليست من الإيمان، فجعلوا الإيمان تصديق فقط وأن كل الناس في الإيمان سواء. لكن نحن عندنا الإيمان يزيد وينقص.

هل هناك أدلة على أن الإيمان يزيد وينقص؟

حديث: **[لا يَزني الزَّاني حينَ يَزني وهو مُؤمِنٌ]**، نفى عنه النبي ﷺ الإيمان، فلما نفى الإيمان تبقى الإسلام، من الذي قال هذا؟ من حديث لابن عباس رضي الله عنهما قال بأن الإيمان يرتفع فوقه كأنه ظله، أي سحابة، لما يأتي بالمعصية يرتفع عنه فيظل معه الإسلام، ثم يتوب فينزل، فدل ذلك على أنه بينقص من الإيمان للإسلام لما يأتي بالمعصية، وهذا تفسير ابن عباس، فالحديث لابد أن تبين تفسيره، فترتكز إلى تفسير ابن عباس فيه؛ أن الإيمان بيرتفع عنه ساعة المعصية فتبقى معه الإسلام، إذًا نقص الإيمان، فلما يتوب يرجع له مره أخرى.

لكن هناك دليل أصرح من ذلك: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ} [التوبة:124] ، وقال تعالى:{ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا} [آل عمران:173] ، وقوله تعالى:{ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ } [الفتح:4] . فالأدلة على الزيادة صريحة.

هل هناك أدلة على النقصان؟

حديث: **[ما رَأيتُ مِن ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهَبَ للُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكُنَّ، قُلْنَ: وما نُقصانُ دينِنا وعَقلِنا يا رَسولَ اللهِ؟ قال: أليسَ شَهادةُ المَرأةِ مِثلَ نِصفِ شَهادةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلى، قال: فذلك مِن**

نُقصانِ عَقلِها، أليسَ إذا حاضَت لَم تُصَلِّ ولَم تَصُمْ؟ قُلنَ: بَلى، قال: فذلك مِن نُقصانِ دينِها] فقالوا هذا نقصان – وطبعًا لا لوم على النساء في ذلك – لكن هذا نقصان في الدين أي نقصان في الإيمان.

قال:

(ولا يَكْمُلُ قَولُ الإيمانِ إلاّ بالعمل)

هو يؤكد على مسألة لابد أن تضبطوها عندنا في أهل السنة والجماعة؛ أن الأعمال من الإيمان، فالنبي ﷺ ربط بين صلاح القلب وصلاح الجسد، قال: **[ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، ألا وهي القَلبُ]**، فجعل الربط بين القلب وبين الجسد، كذلك الربط بين الأعمال وبين الإيمان.

قال:

(ولا قَولٌ وعَمَلٌ إلاّ بنِيّة، ولا قولٌ وعَمَلٌ وَنِيّةٌ إلاّ بمُوَافَقَة السُّنّة)

هذه كلها بيناها؛ التلازم في الثلاثة: لابد من القول والعمل والنية، مع موافقة السنة.

ثم قال:

(وأنّه لا يَكفُرُ أَحدٌ بذَنب مِنْ أَهْل القِبْلَة)

وهذه مسألة مهمة جدًا، وكل هذه مسائل الإيمان عند أهل السنة والجماعة، أنهم يقولون بأن من أتى حتى بكبيرة من الكبائر فهو من أهل السنة وإن لم يتب. وطبعًا لو تاب فتاب الله عز وجل عليه، وأما إن مات على الكبيرة ولم يتب فنقول أنه من أهل الإسلام لكنه من فُساق أهل الإسلام، أو من أهل الكبائر، أهل المعاصي. فأهل السنة والجماعة لا يُكفِّرون أحد من أهل القبلة بكل ذنب **ما لم يستحلوا، أو إلا أن يأتي بناقض من نواقض الإيمان**، لكن من أتى بذنب أيًا كان سواء صغائر أو كبائر فمادام لم يستحلها فلا يكفر بذلك، وانتبهوا من هذه المسألة.

وحديث النبي ﷺ **[لا يَزني الزَّاني حينَ يَزني وهو مُؤمِنٌ]** هذا يستدل به بعض الخوارج فيقولون "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" فقد سلب عنه الإيمان فأصبح من أهل الكفر، وهذا قول الخوارج الذين يكفرون المسلمون بالمعاصي أو بكبائر الذنوب فيجعلون من أتى بالكبائر كافرًا؛ سواء بالزنا، بالربا، بالكذب، إلى غير ذلك، يخرجونه بأدلة باطلة أو شبهات عندهم. لكن الله قد جعل هناك شفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة.

وقد قال النبي ﷺ: **[من قال لا إله إلا اللهُ دخل الجنَّةَ]**، فقالوا إذًا ما دام مات على التوحيد حتى وإن أتى بذنوب ومعاصي فـ "لا إله إلا الله" عاصمة له من الخلود في النار ومن الكفر.

والأدلة كثيرة، لكن نحن بنثبت الآن فقط التأصيل وإن شاء الله سيكون هذا بتوسع بعد ذلك، لكن نبين أن **الخوارج** هم الذين يُكفِّرون بالمعصية، ويُكفِّرون بالذنوب، ويجعلون من أتى بالكبيرة خالد مخلد في نار جهنم. لكن **أهل السنة والجماعة** لا يقولون بذلك.

والدلالة على ذلك: قال تعالى:{ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ } [الحجرات:9] ، فسماهم الله طائفة من المؤمنين واقتتلوا والقتال كبيرة وسماهم طائفتان من المؤمنين، قال: {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات:10] ، فسماهم أيضًا إخوة في الإيمان. بل في الآية الثانية التي فيها القتل العمد قال تعالى: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ} [البقرة:178] ، أي لو قتل واحد عمدًا ثم أولياء الدم عفوا عنه وأخذوا الدية قال تعالى: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ} سماه أخ مع أنه قاتل عمدًا، لكن هو مسلم، وهذا يبين أن أهل السنة والجماعة يرون بأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة كما قال المؤلف، إلا لو كان مستحلًا ذلك فهذا الذي يكفر بذلك.

نقف عند وجوب الإيمان بأحوال البرزخ.

المحاضرة الحادية عشرة

وقفنا عند: **(وأنَّ الشُّهداءَ أحياء عند ربِّهم يُرْزَقونَ)**، أحوال البرزخ، وهو ما تبقى لنا ؛ وجوب الإيمان بأحوال البرزخ، وسيأتي الكلام عن الصحابة رضوان الله عليهم بعد ذلك.

قال المؤلف عليه رحمة الله تعالى:

(وأنّ الشُّهداءَ أحياء عند ربِّهم يُرْزَقونَ، وأرواح أهْل السّعادَةِ باقِيةٌ ناعِمةٌ إلى يوم يُبْعَثون، وأرواح أهلِ الشّقاوَةِ مُعَذّبَةٌ إلى يوم الدِّين. وأنّ المؤمنينَ يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم ويُسْأَلُون ، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم:٢٧])

هذا ما تبقى في الإيمان باليوم الآخر، وذكر الإيمان بأحوال البرزخ، ومن قبل ذكر أمور خاصة بيوم القيامة وأهوال يوم القيامة، وهذا الجزء يختم بوجوب الإيمان بأحوال البرزخ، وبدأ بالشهداء.

والشهيد هو: الذي قُتِل في سبيل الله. والصحيح عند الفقهاء: هو الذي قُتِل في المعركة، وأيضًا قُتِل في معركة بين المسلمين وبين الكفار. إذًا خرج الموت بعد المعركة؛ أي أنه لو جُرِح ومات بعد ذلك مثلًا بأيام أو غير ذلك فليس هذا شهيد المعركة. وخرج من قُتِل في قتال بين فئتين من المسلمين؛ فئة باغية على فئة مثلًا. فهذا ليس الشهيد المقصود. إذًا الشهيد هو الذي أولًا قُتل في سبيل الله، أي قاتل فقتل ابتغاء كلمة لا إله إلا الله، ولم يقاتل شجاعة، ولم يقاتل حمية، ولم يقاتل رياء ولا سمعة، ولا لقوم ولا لأرض ولا لوطن- وإن كان طبعًا نقصد أن من مات دون ماله، أو دون عرضه، أو دون أرضه هذا لو اعتدى الكافر عليه- لكن نتكلم عن هذا الذي يقاتل حتى يدافع بشرع الله عز وجل، فقضيته أنه يرد الكافر الذي اعتدى على أهله وداره وبيته، لكن نحن نتكلم عن الذي يقاتل أصالة لأرض فقط؛ أي ما يهمه غير الأرض التي يكون عليها.

ولكن نقول الصحيح كما قال النبي ﷺ: **[مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا]** هذا هو المقصود، وحتى من دافع عن ماله وعرضه وأرضه ابتغاء ألا يعلو الكافر على المسلم فهذا قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، المهم أن هذا يكون المقصد في قتاله. فإذا قُتل في المعركة فهذا هو شهيد المعركة الذي يقصد به المناقب والفضائل التي ذُكرت سواء في الكتاب أو في سنة النبي ﷺ. وما دون ذلك من أحكام الشهداء من شهيد الغرق، وشهيد الهدم، وغير ذلك، فهو له أجر لكن ليس كشهيد المعركة التي جُعِلت له المناقب؛ ومنها أنه ينجو من سؤال القبر كما جاء عن النبي ﷺ بأن الشهيد لا يُفتَن في قبره، ولما سُئل النبي ﷺ فقال: **[كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً]**. ماذا يعني هذا الكلام؟ أي

أن الشهيد المقاتل في المعركة هو أصلًا السؤال في القبر ليبين إخلاصه في الدنيا؛ أنه كان مخلصًا فيوفق في سؤال القبر، فإذا كان في المعركة قد بيَّن إخلاصه لله، فـ **[كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً]** أي لما يرى الطائرات والقنابل في زمننا هذا، أو يرى السيوف، ويثبت ويقاتل لله فقد قدم الإخلاص لله عز وجل، فهذه هي الفتنة التي كانت ممكن تجعله يرجع ولا يقاتل، فكأن النبي ﷺ يقول: **[كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً]**، أي أن هذه الفتنة التي تعرض لها في الدنيا ونجا منها واستمر على قتاله لله فقُتل فهذه تكفيه عن فتنة القبر ولا يحتاج أنه يُسئل في قبره، وهذا تعليل من النبي ﷺ كأنه لماذا الشهداء لا يُسئلون أو لا يفتنون في قبورهم؟

ثم ذكر المؤلف مسألة أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأحياء بمعنى: أن أرواح الشهداء كما جاء عن النبي ﷺ في حواصل طير خضر تحوم حول العرش، وكما قال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:169] ، وأيضًا قال تعالى:{ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} [البقرة:154] . فهذا يبين لك بأن الشهداء في حياة خاصة بعد الموت – وطبعًا كل هذه تسمى حياة برزخية نسبة إلى البرزخ؛ وهي المدة التي تكون بين الموت إلى البعث، فكل من يموت سيظل في حياة أخرى برزخية إلى أن يبعث الله عز وجل الناس جميعًا. فالشهداء في هذه المدة هم أحياء كما قال تعالى عنهم أنهم أحياء، لكن حياتهم ليست كحياة أهل الدنيا، وأيضًا هم ليسوا كسائر الأموات، لذلك أرواحهم الله عز وجل يجعلها في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد أنهار الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش كما صح الحديث عن النبي ﷺ؛ حديث عبد الله بن مسعود في مسلم. فهذه الآية وهذا الحديث يبين لك مناقب الشهداء الذين قد قتلوا في سبيل الله عز وجل.

وحمزة رضي الله عنه وأرضاه هو سيد الشهداء كما جاء ذلك عن النبي ﷺ، وقد قُتِل في أُحد، وهو عم النبي ﷺ ، ولذلك لما جاء قوله تعالى: {أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:169] ، فلا يُسمَّى الشهداء أموات لهذا الأمر؛ فلا نسميهم أمواتًا لكن نعتبرهم أحياء لكن في حياة أخرى غير حياة الدنيا؛ حياة برزخية في مناقب، وممكن تقول أموات إذا قلت أنهم انقطع عنهم أمور الدنيا وأحكام الدنيا من هذا الباب إذا أردت أن تقول أنهم أموات، وأحكام الأموات مثل الارث والنكاح، فهم يورثون وتنكح نسائهم من مات وامرأته ترملت ثم تزوجت، ويكفنون ويدفنون، فهم لهم أحكام الأموات نعم.

أيضًا بعضهم لهم مناقب بأن أحيانًا تكون أجسادهم لا تأكلها الأرض، وهذه كرامات للبعض، وقد حدث ذلك لما ذكر جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنه لما حدث بشهداء أحد لما دفنوا ثم جاء في زمن معاوية كانت الأمطار بدأت تنزل، فأراد معاوية أن يجعل طريقًا لسيول الأمطار في المدينة فأرادوا أن ينقلوا، فجاء طريق سيول الأمطار في مكان مقابر شهداء أحد، فنُقِلوا، فلما نقلوا قال جابر نقلت عبد الله – أبوه – فقال: "كأن قدمه ينزف دمًا كما كان"، وهذه كرامة وهذه موجودة إلى الآن أحيانًا تجد بعض

الشهداء لهم كرامات بأنهم إذا كُشفوا أو حدث شيء بعد فترة تجد الجسد كما هو سبحان الله، وقلنا أن هذه مناقب يجعلها الله عز وجل كرامات للشهداء؛ أسأل الله عز وجل أن يتقبل شهداء المسلمين جميعًا.

ثم قال:

(وأرواح أَهْل السَّعادَةِ باقِيةٌ ناعِمةٌ إلى يوم يُبْعَثون، وأرواح أهلِ الشَّقاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوم الدِّين)

و**(الروح)**: هي التي تحيا بها الأبدان، فالروح تتصل بالبدن، وما دامت الروح في البدن فالبدن يكون حيًا، فلو فارقت الروح البدن أصبح البدن قد مات. والروح مخلوق من جملة مخلوقات الله عز وجل كما قال تعالى:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى} [الإسراء:85] ، ولا أحد يعلم عن الروح فهي سر من أسرار الله عز وجل لكن هي خلق من مخلوقات الله، أنت لو سُئلت أين الروح الآن عندك؟ ما تستطيع أنك تقول أين مكان الروح. والروح تُرفع أثناء النوم وترجع مره أخرى، وهذه هي الوفاة المؤقتة، وهذه من عجائب قدرة الله عز وجل، ثم إن أراد الله أن يمسكها عنده فتحدث الوفاة الدائمة ولا ترجع مرة أخرى، فبانفصال الروح عن البدن تحدث الوفاة.

لماذا قلنا أن الروح مخلوقة؟ لأن بعض الطوائف من أهل الكلام والعقلانيين تكلموا هل هي مخلوقة؟ أم هي عَرَض؟ فالصحيح أن الروح مخلوق من مخلوقات الله عز وجل.

وهنا المؤلف لما ذكر الروح ذكر نوعان: أرواح أهل السعادة، وأرواح أهل الشقاوة.

فقال أن: **(أَرْواحُ أَهْل السَّعادَةِ باقِيةٌ ناعِمةٌ إلى يوم يُبْعَثون)**، إذًا الروح ستفارق الجسد، وهذا الذي بيحدث في الوفاة. لكن يظل كما جاءت السنة – وإن لم يذكرها هنا تفصيلًا – في القبر سواء **النعيم أو العذاب** إما يكونوا على الروح فقط، أو البدن فقط، أو على الروح والبدن، وكذلك النعيم إما على الروح فقط، أو الروح والبدن، أو البدن. فهنا يقول بأن أرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم القيامة؛ أي تشعر بالنعيم نعم مع أنها انفصلت لكن لها حياة برزخية لا نعلمها، فإن كانت في القبر أو إن كانت في الجنة كأرواح الشهداء فهذه تشعر بالنعيم؛ كتب الله عز وجل عليها السعادة، والعكس أرواح أهل الشقاء معذبة أيضًا إلى يوم القيامة.

وهذا الذي ورد في السنة عن مثلًا آل فرعون أنهم يعذبون في قبورهم:{ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ } [غافر:46] ، ويعذبون. وأيضًا المسلم الذي يعذب في قبره بذنوبه أحيانًا يكون عليه بعض العذاب وأحيانًا يكون عليه بعض السعادة على حسب حاله في قبره. وأما أهل الشقاء فمعذبون، وكل هذا يكون العذاب على الروح لكن أحيانًا يأتي العذاب أيضًا على الروح مع البدن، أو السعادة على الروح مع البدن، أو على الروح فقط، أو على البدن فقط. فهنا بيثبت مسألة الروح أنها من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ نثبت وجود الروح وأن الروح تظل باقية بعد الموت إن كانت خرجت من البدن، لكن النعيم والشقاء يكون عليها أيضًا في القبور أو في الجنة.

ثم ذكر بعد ذلك: **(وأَنَّ المؤمنِينَ يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم ويُسْأَلُون، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم:٢٧])**، إذًا يتكلم الآن عن سؤال المؤمن في قبره الذي يأتيه الملكان فيقعدانه فيقولون له من ربك؟ ما رسولك؟ ما دينك؟ فالمؤمن بيقول ربي الله ورسولي محمد ﷺ وديني الإسلام، وأما المنافق **انتبه**.. الحديث جاء ذلك؛ قال: (وأما المنافق فيقول ها ها) كلما يسأله يقول ها أو يقول لا أعلم. إذًا الحديث جاء في المؤمن وفي المنافق، لذلك اختلف بعض السلف؛ هل الكافر أصلًا يُسئل أم لا يُسئل؟ أي هل يفتن؟ وهنا حتى المؤلف قال: **(وأَنَّ المؤمنِينَ يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم ويُسْأَلُون)** كأنه رجح قول من يرى بأن الذي يُسئل في القبر هو المؤمن والمنافق، وأن الكافر لا يُسئل. فالمنطوق – وهو الكلام الموجود– وهو: **(وأَنَّ المؤمنِينَ)** هذا اسمه منطوق؛ نطقت وتلفظت به، أما المفهوم هو ما سكت عنه، وهو العكس، إذًا كأن المفهوم أن غير المؤمنين لا يفتنون في قبورهم.

وفتنة القبر اختلف فيها بعض السلف؛ هل هي خاصة بالمسلم والمنافق؟ لأن الحديث قال النبي ﷺ: **[أُوحِيَ إليَّ أنَّكمْ تُفتَنُونَ في قُبورِكمْ، مِثْلَ أوْ قريبًا من فِتنةِ المسيحِ الدَّجالِ، يُؤتَى أحدُكمْ فيُقالُ لهُ: ما عِلْمُكَ بِهذا الرجلِ؟ فأمّا المؤمِنُ أوِ المُوقِنُ، فيَقولُ: هوَ مُحمدٌ رَسولُ اللهِ، جاءَنا بِالبيِّناتِ والهُدَى، فأجَبْنا وآمَنّا، واتَّبَعْنا، هوَ مُحمدٌ (ثلاثًا)، فيُقالُ لهُ: نَمْ صالِحًا، قدْ علِمْنا إنْ كُنتَ لَمُوقِنًا به، وأمَّا المنافِقُ أو المُرتابُ..]** وهذا النوع الثاني **[فيَقولُ: لا أدْرِي، سمِعتُ الناسَ يَقولونَ شيئًا فقُلتُهُ]**، فهنا الحديث جاء في المؤمن وفي المنافق فقط، فبعض أهل العلم كـ "ابن عبد البر" وهذا إمام جليل مالكي وأيضًا إمام مجتهد مطلق قال: خاصة بالمؤمنين فقط؛ أي المنافق والمؤمن، وهنا أيضًا مع الإمام أبو زيد القيرواني وهو مالكي أيضًا. أما ابن القيم رحمة الله على الأئمة جميعًا والقرطبي صاحب التفسير المعروف قال أن فتنة القبر عامة للمؤمن وللكافر. والمسألة هنا ليست تفصيلًا لكن لتعرفوا ذلك؛ أن هناك قول بأن فتنة القبور للمؤمن ويدخل معه المنافق. وهناك قول عند علماء السلف أن فتنه القبور للمؤمن وللكافر أيضًا، وهذا الذي يقصده من هذه المسألة؛ يثبت أن هناك سؤال في القبر وأن هناك فتنة في القبر.

هذا كان آخر جزء من أجزاء الإيمان باليوم الآخر. ثم ينتقل على الإيمان بالملائكة

قال:

(وأنّ على العباد حَفَظَةً يكتُبون أعمالَهم، ولا يَسقُطُ شيْءٌ مِن ذلك عَن عِلمِ ربِّهم، وأنّ مَلَكَ الموتِ يَقْبِضُ الأرواحَ بإذن ربِّه)

أصول الإيمان لابد أن نؤمن بالملائكة، **والإيمان بالملائكة شرط صحة** وليس شرط كمال؛ أي لا يصح الإيمان إلا به، إذًا من لم يؤمن بالملائكة حكمه كافر.

أما معنى شرط كمال أنه مؤمن أو مسلم لكن عدم إيمانه هذا لا يقدح في إسلامه أو في إيمانه الأصلي، هذا هو مقصود الكمال؛ أي أن أصل الإيمان يكون معه.

والدليل على أن الإيمان بالملائكة شرط صحة: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة:98]، كأنه يقول أن من كان عدوًا لجبريل أو الملائكة فكأنه كافر لأنه عدو لله، والله عدو للكافرين. وطبعًا من معاداة الملائكة أنه لا يؤمن بهم أصلًا، أو أنه يستهزأ بهم؛ كأن يسموا الملائكة بنات، لذلك أحيانًا عندما تتزوج المرأة يقول لك أنها "تلبس فستان أبيض مثل الملائكة"! وهذا طبعًا عند العوام هذا الكلام ولن نحكم عليهم بهذا بالكلام فهذا من الجهل، لكن هذه الكلمة ما تصح أصالة.

لكن هناك دليل أصرح من ذلك لاثبات شرط الصحة: حديث جبريل لما جاء للنبي ﷺ وسأله عن الإسلام ثم سأله عن الإيمان ثم سأله عن الإحسان فلما سأله عن الإيمان قال:**[أن تؤمنَ باللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ]**، إذًا دل ذلك على أن أركان الإيمان الستة هذه شرط لصحة الإيمان، لأنه سأل على الإسلام، وسأل على الإيمان، ثم سأل على الإحسان.

إذًا الإيمان بالملائكة شرط صحة، لكن ما هو شرط الصحة فيه؟

أولًا: أنك تؤمن بوجود الملائكة، أنه توجد مخلوقات اسمها ملائكة، فلو أنكرت إذًا أنت لم تؤمن بالملائكة.

ثانيًا: أن تؤمن بالملائكة التي ذُكرت في القرآن؛ ذكر مثلًا إسرافيل، ميكائيل، جبريل، إذًا الملائكة التي ذكرت في القرآن لابد أن تؤمن بها، لماذا؟ لأنه متواتر، ربنا ذكرهم، فلو أنكرتم إذًا أنت لست مؤمن بالملائكة، لكن لو جهلتهم فلا إشكال لأن ليس كل الناس حافظين للقرآن أصلًا، لكن هو يؤمن أنه يوجد ملائكة. اذًا من كذَّب بالملائكة فليس بمسلم، ولو كذَّب أنه يوجد ملك اسمه جبريل إذًا فقد كذَّب بآية من القرآن فليس بمسلم.

لا بد أن يؤمن أنها مخلوقات من نور؛ الله عز وجل خلقها من نور، ولها مواصفات – ليس المقام هنا– لكن أنها لا تعصي الله عز وجل، يفعلون ما يؤمرون، وأنهم في طاعة لله عز وجل دائمًا، إلى غير ذلك. هذه من أصول الإيمان بالملائكة.

ومنهم أيضًا أنك تؤمن بملك الموت، لأنه جاء أيضًا ذكره في القرآن. كل هذا من الإيمان بالملائكة.

قال:

(وأنّ على العباد حَفَظَةً يكتُبون أعمالَهم)

طبعًا هناك آيات كثيرة في مسألة الملائكة؛ قال تعالى: {يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ} [النحل:2] .
هنا يبين أن للعباد حَفَظَة، إذًا يوجد حفظة وهم الملائكة يكتبون كل شيء، ومن أعظم ما يُكتب ما نحن فيه الآن؛ الملائكة يطوفون حتى يجدوا مجلس من مجالس الذكر، فيجلسون فيستمعون، فيكتبون أسماء أعضاء المجلس، ثم يصعدون به إلى الله عز وجل. من ينظر اسمائنا الآن؟ الله سبحانه وتعالى، لتعلموا عِظَم هذا المجلس والله كفى به نعمة وفضل بأنك تجلس في مجلس تحفه الملائكة ثم تصعد الملائكة باسمائكم- والله أعلم بنا جميعًا – فالله عز وجل ينظر في هذه الصحف التي فيها اسمك، ينظر إلى اسمك وهو مكتوب في صحف الملائكة أنك حضرت مجلس الذكر الفلاني أو مجلس العلم بتاريخ كذا وكذا وكذا. أنت فقط لو علمت أنه يوجد أحد علم أنك موجود في درس أو شيء أو حضرت وسُجِّلت فتفرح فرحًا شديدًا، فما بالك إذا علمت أن الله عز وجل هو الذي يعلم بذلك! من الذي يكتب؟ الملائكة.

قال تعالى أيضًا: {قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ} [النحل:102] ، فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ بالوحي. وقال تعالى:{ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ* كِرَامًا كَٰتِبِينَ} [الانفطار:10-11] ، هذه الملائكة التي تكتب كل شيء، عن اليمين وعن الشمال، كل ما يتلفظ به المرء تكتبه الملائكة، قال تعالى:{ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف:80] ؛ وهم الملائكة، يكتبون كل شيء تفعله حتى الذي في صدرك يُكتَب؛ وإن كان لا تُحاسب عليه مادام لم تتلفظ وتعمل به لكن كل شيء يُعلمهم الله عز وجل فيكتبونه.

وكل ملك له وظيفة؛ فجبريل موكل بالوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وميكائيل بانزال القطر والمطر، وملك الموت موكل بقبض الروح، قال تعالى:{ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة:11] .

طيب هنا عندنا إشكالية؛ توجد ثلاث آيات نريد أن نجمع بينهم:{ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة:11] و {ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ} [النحل:32] ، و{ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ} [النحل:28] ، هنا الأول الله عز وجل قال يتوفاكم ملك الموت، وقال تتوفاهم الملائكة، فأضيف التوفي إلى ملك الموت في آية، وفي الآية الثانية أضيف إلى الملائكة. طيب من الذي توفى؟

الإشكال أنه قال يتوفاكم ملك الموت ثم بعد ذلك ذكر الملائكة، طيب من هو المُوكَّل؟ ملك الموت، أم الملائكة؟ فكيف الجمع بين الآيتين؟ وهناك آية ثالثة: {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر:42] ، طيب **هل هو ملك الموت؟ أم الملائكة؟ أم الله سبحانه وتعالى؟ نريد أن نجمع الآيات.**

نأخذ الأولى والثانية الأول، واتركوا الثالثة في الآخر، نأخذ الأول الأيسر؛ ملك الموت أضيف إليه الوفاة، والملائكة الذين تتوفاهم ملائكة ظالمي انفسهم أو طيبين؛

نقول: أن ملك الموت معه أعوان من الملائكة؛ أي أن ملك الموت وُكِّل أصلًا بالمسألة، لكن ملك الموت معه أعوان فالآية الثانية قالت:{تَتَوَفَّٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ} أعوان لملك الموت، منهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب الذين يتنازعوا بعد ذلك، لكن لكي تجمع الآية الأولى والثانية أن الأمر مُوكَّل بملك الموت وملك الموت له أعوان يساعدونه وهم باقي الملائكة، فتستقيم المسألة.

طيب.. {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا} [الزمر:42] أن كل شيء بأمر الله ومشيئته.

إذًا بذلك أصبح ليس عندنا تعارض بين الآيات الثلاثة.

قال:

(يكتُبون أعمالَهم)

أي جميع الأعمال الصالحة وغير الصالحة؛ الظاهرة والباطنة، من قوله تعالى:{ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:18] ، إذًا كل شيء يتلفظ به المرء يُكتَب. لذلك اللسان هذا هو المهلكة، فالمرء لو سكت اليوم كله يكون أفضل له، وقبل أن يُخرِج كلمة من لسانه يراجع، فالتلفظ الذي يخرج من اللسان هذا سيُحسَب عليه؛ سواء كان فيه خير أم كان فيه شر، وكما قال النبي ﷺ: **[إنَّما يكبُّ النَّاسَ على مناخِرِهم في جَهَنَّمَ حصائدُ ألسنَتِهم]**. فاللسان هو الذي يضيع المرء.

وقد حدثت مع إحدى أمهات المؤمنين أن النبي ﷺ كان يكلمها على إحدى زوجاته فأشارت إليه فقط بإشارة لإحدى زوجات النبي ﷺ وكانت قصيرة، فأشارت بإشارة فيها انتقاص، فقال:**[لقدْ قلتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بماءِ البحْرِ لَمَزَجَتْهُ]**. فالإنسان ممكن ما ينتبه أن يقول كلمة في حق أحد فاللسان.. اللسان، فانتبهوا. وكما جاء في الحديث: **[من حفظ لي ما بين لحييْهِ وما بين رِجليْهِ أضمنُ له الجنةَ]**، وهو الفرج واللسان، فلو حفظ المرء ذلك ما وقع في ذنوب كثيرة.

قال:

(ولا يَسقُطُ شيْءٌ مِن ذلك عَن عِلمِ ربِّهم)

أي لا يغيب شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم عن علم الله سبحانه تعالى، فالله عز وجل وكَّل الملائكة بحفظ الأعمال فقط؛ أنهم يكتبوا، لكن الكتابة هذه الله لا يحتاج فيها شيء، لأن الله عز وجل كتب كل شيء قبل قبل خلق السماوات والأرض، فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، خلق العباد وخلق أفعال العباد، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، إذًا كتابة الملائكة إحصاء فقط على ما يفعله المرء حتى لما يأتي يوم القيامة يجد ما فعله مكتوبًا بيومه، لكن من باب المحاجاة عليهم أن كل شيء مكتوب،

الصحائف كلها مكتوبة، وإلا فالله لا يحتاج لهذه الكتابة في شيء سبحانه وتعالى لأنه يعلم أعمال العباد، ولأن الله لا ينسى: {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى} [طه:52] ، فالله قدَّر ذلك فقط ليحاسب العباد ويقررهم بهذه الأعمال التي فعلوها والتي قد كتبتها الملائكة.

نقف عند الواجب تجاه الصحابة؛ **(وأنَّ خيْرَ القرون القرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ الله ﷺ)**

المحاضرة الثانية عشرة

وقفنا عند الواجب تجاه الصحابة على الأمة، قال الإمام – عليه رحمة الله تعالى – في المتن:

(وأنّ خيْرَ القرون القرنُ الّذين رَأَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وآمَنوا به، ثمّ الّذين يَلُونَهم ثمّ الّذين يَلونَهم. وَأفضل الصحابة: الخُلَفاءُ الرّاشدون المَهْديُّون؛ أبو بكر ثمّ عُمر ثمّ عُثمان ثمّ عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين.وأن لاَ يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صحابَةِ الرّسولِ صلى الله عليه وسلم إلاّ بأَحْسَن ذِكْرٍ، والإمساك عمّا شَجَرَ بَينَهم، وأنّهم أَحَقُّ النّاس، أن يُلْتَمَسَ لَهم أَحَسَن المخارج، ويُظَنّ بهم أَحْسن المذاهب)

هذا الفصل عقده الشيخ عليه رحمة الله تعالى، وكدأب عقود متون العقيدة لا يخلو متن من متون العقيدة والكتب أن يبين واجب الأمة تجاه الصحابة رضوان الله عليهم، وهذه من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ ما هو اعتقادك في صحابة النبي ﷺ؟

وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل؛ قد اصطفى الله عز وجل من الأنبياء النبي ﷺ محمد بن عبد الله، وهو أفضل الأنبياء – كما بينا من قبل – أفضل أولي العزم، ثم اصطفى من بعد الأنبياء والرسل أفضل الأصحاب والحواري للأنبياء جميعًا هم أصحاب النبي ﷺ، اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه، وهؤلاء في الإجمال، وفي المجموع الصحابة رضوان عليهم هم أفضل الخلق، وإن كنا سنبين أحيانًا على التفصيل ممكن قد تجد من بعض التابعين من قد يكون أفضل من أفراد بعض الصحابة، لكن لابد أن نبين أن الصحابة على الإجمال وعلى الاطلاق هم أفضل القرون؛ قرن الصحابة، وأفضل الخلق من بعد الأنبياء والرسل هم الصحابة رضي الله عنهم، ولهم حقوق علينا، وهم الذين حملوا هذا الدين إلينا، هم الذين حملوا سنة النبي ﷺ، هم الذين جاهدوا في سبيل الله ففتحوا البلاد وأدخلوا رسالة الإسلام إلى هذه البلاد حتى بلادنا هنا مصر والعراق والشام بعد وفاة النبي ﷺ، وقد فُتحت مكة قبلها، ثم دانت العرب في جزيرة العرب إلى الإسلام.

بعد ذلك بدأت الفتوحات في عهد أبي بكر في الردة أولًا رجَّع الناس الذين ارتدوا، ثم في عهد عمر وعثمان وعلي، وبعد ذلك في دول الإسلام قد انتشر وفتحت بلاد كثيرة كما قلنا منها مصر والعراق والشام وبلاد خرسان وما وراء النهر، ووقعت امبراطوريتي الفرس والروم وأراضيها في أيدي المسلمين، وكل هذا كان من عمل الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم، لكن الصحابة لهم السبق بأنهم هم

الذين عاشروا النبي ﷺ وصاحبوه، ونزل الوحي عليهم مع النبي ﷺ، فهموه وتلقوه من النبي ﷺ وعلموا معناه وعملوا بذلك، لم يفهموا فقط وعلموا بل عملوا بهذا الدين وبهذا الوحي الذي نزل عليهم.

فكانت عقولهم أفضل العقول، وأفهامهم هي أفضل الأفهام، ما فهموه وما عقلوه وما تدبروه قد جمع الله عز وجل لهم لسان العرب لأنهم كانوا من العرب، وأيضًا جمع لهم معاشرتهم للنبي ﷺ في نزول الوحي ففهموا مراد الله ومراد النبي ﷺ فكان فهمهم هو أفضل الأفهام، وكان استنباطهم واجتهادهم هو الأفضل، وكان تفسيرهم من بعد تفسير الله في كتابه للآيات أو تفسير النبي يأتي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم لآيات الله عز وجل. والعجب أن تجد ابن عباس حبر هذه الأمة قد فسر القرآن فمن أعظم التفاسير التي نُقلت عنه هو مجاهد نقلها عنه ثم نُقلت بعد ذلك، فتجد أننا نرجع كثيرًا في تفسير بعض الآيات إلى تفسير ابن عباس، إلى تفسير ابن مسعود، إلى غير ذلك من الصحابة الكرام، ومنهم علماء وأكارم وأفاضل من علماء الصحابة نقلوا الفقه لنا وبينوا لنا كثيرًا من الأحكام الفقهية.

فتراث الصحابة لا تجده في أي دين آخر، ما تجد في أي دين من الأديان الأخرى حتى الأديان الكتابية أو السماوية ما تجد سند أصلًا تأخذه من هنا إلى النبي ﷺ، حتى عند النصارى وعند اليهود بينهم وبين أنبيائهم والأصحاب مئات السنين حتى ممكن تصل لواحد فقط يروي وبينه وبين النبي أو الرسول الذي كان عنده مئات السنين ما وصل إليه، أما نحن بفضل الله تعالى علينا –وهذه منة أيضًا – أن السنة نُقِلت بأسانيدها إلى أن وصلنا الآن تأخذ البخاري ومسلم وكتب السنة وصلوا بأسانيدهم إلى النبي ﷺ، والذين حملوا ذلك لا شك الصحابة، وقد بينا من قبل أن هناك المكثرين من الصحابة في الرواية عن النبي ﷺ وهم سبعة؛ أبو هريرة أكثرهم، عبد الله بن عمر، أنس رضي الله عنه، عائشة رضي الله عنها، عبد الله بن عباس رضي الله عنه، جابر رضي الله عنه وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال: **(وأنَّ خيْرَ القرون القرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وآمَنوا به، ثمَّ الَّذين يَلُونَهم ثمَّ الَّذين يَلونَهم).**

نرجع للصحابي.. **ما هو تعريف الصحابي؟**

"من لقي النبي ﷺ مؤمنًا ومات على ذلك" ، وقال هنا الشيخ (رأوا) لكن هناك نظر في مسألة (رأوا) هذه العلماء تكلموا فيها على أنه ممكن يلقاه ولا يراه، كعبد الله بن أم مكتوم فقد كان أعمى، فالأولى أن تقول (لقى) لأن الأعمى لم يراه، وهو صحابي، إذًا المسألة ليست بالرؤية، لكن المسألة باللقاء.

وأن يكون لقى النبي ﷺ (مؤمنًا)، إذًا من لقاه كافر فليس بصحابي. ومن لقاه كافر وأسلم بعد موت النبي ﷺ فليس بصحابي، وبعضهم يسموه "مخضرم" عند أهل الحديث، كأنه بين التابعي والصحابي. ومن لقاه وآمن ثم ارتد ورجع بعد موت النبي ﷺ ؛ أو ارتد بعد موت النبي ﷺ فيكون صحابي لأنه مات مؤمنًا وقد رأى النبي ﷺ مؤمنًا وإن تخللها ردة، لذلك بعض التعريفات يزيدوا: من لقي النبي

ﷺ مؤمنًا ومات على ذلك وإن تخلل ذلك ردة، لأن البعض ارتد ورجع، لذلك بيقيدوا ويزيدوا في التعريف وهذه تجدها في بعض الكتب، وذلك حتى يكون الذي ارتد ورجع تظل الصحبة موجودة ولم ترفع من عليه.

قال:

(ثمّ الّذين يَلُونَهم ثمّ الّذين يَلونَهم)

من أين أتى بالذين يلونهم ثم الذين يلونهم؟ حديث عمران بن حصين وابن مسعود في المتفق عليه- أي رواه الشيخان بخاري ومسلم – قال النبي ﷺ : **[خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم]**، وفي رواية أيضًا: " **ثمَّ الَّذين يلونَهم** "، بعض العلماء قالوا ثلاثة أو أربعة، لكن هو المتأكد أن هي ثلاثة قرون؛ قرن النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وتسمى القرون المفضلة؛ قطعًا ثلاثة. والقرن: هم بيسموه هنا على سبيل الجيل، وطبعًا المتعارف عليه أن القرن مئة عام؛ هذا الذي اشتهر، فتكون المئة الأولى والمئة الثانية والمئة الثالثة هي القرون الخيرية في الأمة التي تُقصَد، وهذه مهمة جدًا أنك تعلمها حتى عندما ترجع في مسائل وتقول مثلًا قالوا فيها أصحاب القرون الخيرية في العقيدة مثلًا أو كذا، وهي البدع التي تأصلت غالبها كانت بعد القرون الخيرية، وإن كان هناك نواة ظهرت في بعض القرون هذه لكن البدع تأصيلًا وكتبًا وتأليفًا وانتشارًا كانت بعد القرون الخيرية أو في آخر القرون الخيرية، لكن ما كان عليه أصحاب هذه القرون من اعتقاد سليم وصحيح تجده هو اعتقاد أهل السنة والجماعة الذي هو اعتقاد الصحابة قبل ذلك.

ثم بدأ يذكر أفضل الصحابة، وهذا محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة أنه يوجد تفاوت في الصحابة كما أن هناك تفاوت في الأنبياء { تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ } [البقرة:253] ، لكن طبعًا هم كلهم أنبياء ورسل، لكن أولي العزم من الرسل ثم الأنبياء الأخر، ثم حتى في أولي العزم تكلمنا عن أن هناك أفضلية، فكذلك الصحابة لهم تفاضل أيضًا، وهنا اتفاق بين علماء أهل السنة ويكون إجماعًا أن أفضل الصحابة أولًا هم الخلفاء الأربعة وهم أحد الأربعة من العشرة المبشرين بالجنة، وهو قال: **(أفْضَلُ الصحابة)** لقول النبي ﷺ:**[عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ]**، وفي حديث أنه قال: **[الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سَنةً]**، فثلاثين عامًا وقفت عند مقتل (عليّ) عند تسعة وعشرون عامًا وستة شهور إلا أيام، ثم اكتملت إلى تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية، وسمى عام الجماعة لأن اجتمع أهل الإسلام بعد تنازل الحسن لمعاوية، اجتمعوا على معاوية، وكان معاوية رضي الله عنه أول ملك راشد، لكن هناك فرق بين الخلافة والمُلك، لأنه بعد ذلك ولّى العهد ليزيد ابنه إلى غير ذلك من الدولة الأموية. فكانت الخلافة ثلاثون وهي فيها الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وما تبقى بعد ذلك من شهور في الحسن تنازل بعد ذلك كما قال النبي ﷺ عنه: **[إنَّ ابنِي هذا سَيِّدٌ، يُصْلِحُ اللهُ بِهِ بين فِئَتَيْنِ من المسلمينَ]**، وهذه كانت معجزة من النبي ﷺ لما رأى الحسن كان

يلعب صغيرًا فقال إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين، فكان فعلًا؛ تنازل الحسن عن الخلافة بعد مقتل علي لمعاوية، فجمَّع المسلمون على معاوية فانتهى الخلاف الذي كان موجود بعد مقتل علي رضي الله عنه وأرضاه.

وأفضل الخلفاء الراشدين أبو بكر؛ بالإجماع، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وإن كان هناك خلاف عند أهل السنة والجماعة بين عثمان وعلي أن بعضهم يرى تقديم عليّ على عثمان، والصحيح هو كما أراد الله كونًا أن تكون الخلافة هكذا؛ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وإن كان بعض علماء السنة يتوقفوا بعد أبو بكر وعمر في الأفضلية بين عثمان وعلي، والبعض يقدم عليّ، والغالب والراجح وهو قول جمهور الصحابة وغير ذلك بتقديم عثمان كما ذكر ذلك في الترتيب.

ثم يأتي من بعد الأربعة باقي العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، "كنا نعد أفضلنا أهل بدر" من بعد العشر، ثم أهل بيعة الرضوان، وهو الترتيب هكذا عند علماء السير والتاريخ وعند السلف أنهم يقدموا الأربعة الخلفاء الأول، ثم باقي العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان. ومن ذلك أيضًا تفضيل آخر وهو تفضيل المهاجرين على الأنصار أيضًا، والحقيقة الرجوع في ذلك كله لما جاء في الكتاب والسنة.

وقضية الصحابة قضية مهمة جدًا من القضايا العقائدية أصالة، وسنبينها لأنها الآن أصبحت مفصلية بين أهل السنة والجماعة وبين **الروافض** الخبثاء، لأن الروافض يسبون الصحابة، ويسبون عائشة رضي الله عنها، ويسبون أبو بكر وعمر، وسب عائشة وسب أبو بكر وعمر ورمي عائشة بما رموها به هذا كفر، وقولهم أيضًا أن القرآن محرف وأن الذي عندهم هو قرآن فاطمة هذا كفر أيضًا، وهم الآن يُروَّج لهم أنهم من أهل الإسلام أو كأنه لا فرق بين أهل السنة والشيعة والروافض!

وأنتم تعلمون طبعًا ما يحدث في الأمة وما يزين، وهم أصلًا أهل النفاق كله، هم الذين يتعاونون مع الكفار على أهل السنة، وهم يذبحون ويقتلون في أهل السنة في كل مكان؛ في العراق وفي سوريا وفي اليمن، وإيران طبعًا حدث ولا حرج لا يوجد أهل سنة ولا تقام جمعة أصلًا في إيران بالكلية، لا يوجد مسجد بيقام فيه جمعة أصالة وهم أصلًا لا يصلون جمعة كروافض ينتظرون صاحب السرداب لما يخرج لهم!

فهم أخبث الخلق لابد أن تعلموا؛ هم يسبون الصحابة، وهذه مفصلية، المفصلية عندنا لابد أنك تعلم الفرق بين أهل السنة وغيرهم من عقيدتهم في الصحابة رضوان الله عليهم، فهم كفَّروا الصحابة، هم أربعة عندهم أو يزيد هؤلاء هم عندهم فقط الصحابة واتهموهم طبعًا بما اتهموهم به. فلذلك هذه المسألة مفصلية في العقيدة أننا لابد أن نبين عقيدتنا في الصحابة الكرام.

قال: **(وأن لاَ يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صحابَةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم إلاَّ بأحْسَن ذِكْرٍ، والإمساك عمَّا شَجَرَ بَينهم، وأنَّهم أحَقُّ النَّاس، أن يُلْتَمَسَ لَهم أَحسَن المخارج، ويُظَنَّ بهم أحْسن المذاهب)**، هنا يتكلم

طبعًا على أنه لا يُذكَر أحد من الصحابة إلا بأفضل الذكر والترضية عليهم، لذلك من السنن أنك كما تصلي على النبي ﷺ أن تذكر الصحابي وتترضى عن الصحابة أيضًا لأن الله قد رضي عنهم، وهذه ليست خصيصة للصحابة لكن هو غالبها للصحابة، لكن لا يُمنَع أنك ممكن تدعو لأحد بأن يرضى الله عنك، لكن الذين رضي الله عنهم حقًا هم الصحابة، لذلك أهل السنة يترضون على صحابة النبي ﷺ.

ومن ذلك أنك لا تذكر أحد منهم بسوء، ولا تلمز عليه، ولا تتكلم فيه، وتسكت عن الخلاف الذي حدث بينهم؛ الفتنة التي حدثت؛ سواء التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنه في موقعة الجمل وصفين وغير ذلك، أو ما بعد ذلك أيضًا، فهذا نسكت عنه، وإذا أردنا أن نبينه فنبينه من باب التاريخ فقط، لكننا نعلم بأن كلهم أفاضل وكلهم صحابة، وأن الذي اجتهد وأصاب له الأجران والذي اجتهد وأخطأ فله أجر واحد فقط.

كان كما قال ابن تيمية وغيره في كتبهم يمسكون عما شجر بين الصحابة. وأي آثار جاءت عن الصحابة فيها تلميز أو فيها شيء إما ستجدها كذبة، أو موضوعة، أو مبالغ فيها. ونعم الصحابة غير معصومين نقول نعم وقعوا في أخطاء لكن نقول أننا نُجِل قدرهم وعملهم للدين ولا أحد معصوم غير من عصمه الله عز وجل وهو النبي ﷺ، هم اجتهدوا وأصابوا أو اجتهدوا وأخطأوا، يُحفَظ لهم أجر الاجتهاد، ومن أصاب له الأجر الثاني، ومن أخطأ فيعفى عن خطئه باجتهاده.

قال: **(ويُظَنَّ بهم أحْسن المذاهب)** أي يظن بهم أحسن الآراء، دائمًا تقدم لهم الخير وتحسن بهم الظن أصالة، ولا تفعل كما فعلوا الروافض والخبثاء والمنافقين وغير ذلك الذين أرادوا هدم الدين بهدم من حملوا الدين، ولا بد أن تفهموا هم لماذا بيفعلوا ذلك؟ فهم لما يهدوا في الصحابة ويضربوا في أبو هريرة، وطبعًا أبو هريرة عدو لكل العلمانيين وعدو لكل القرآنيون فقط الذين لا يؤمنون بالسنة، فأبو هريرة بالنسبة لهم الشيطان الأكبر لأنه من أكثر المكثرين عن حديث النبي ﷺ.

فهم يكرهون السنة أصالة ويريدون أن يهدموا السنة، فكيف يهدم السنة؟ بهدم الصحابة الذين نقلوا السنة، فيتكلم عن أبو هريرة، ويتكلم عن الصحابي الثاني والثالث والرابع، سواء كان من الروافض أو من غير الروافض الذين يريدون هدم سنة النبي ﷺ، فهو لن يستطيع أن يتكلم في النبي، فلو تكلم في النبي سيُهجَم عليه لا أحد سيتقبل، لكن هو يتكلم في من حمل السنة، ويبدأ يلمز عليهم ويشكك؛ يقول لك كيف أن أبو هريرة أسلم قبل موت النبي بثلاث سنوات في خيبر ويروي كل هذه المرويات، وكيف كذا وكذا، وكل هذا قدح في السنة أصالة لكن هو بيلمز في الصحابة رضوان الله عليهم.

لذلك كما قال علماؤنا: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) لذلك أنت يجب أن تفهم أن كل هؤلاء الذين يسبون الصحابة هم على باطل لقول الله عز وجل: {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ

ءَامَنُواْ } [الحشر:10] ، دعوا لمن سبقوهم وليس في قلوبهم غل، أما هؤلاء الروافض هم يسبون الذين سبقوهم، يسبون الصحابة وفي قلوبهم غل وحقد، لذلك الحمد لله أن ربنا حجب عنهم الجنة، لأن ربنا جعل الجنة لهؤلاء الذين يقولون: {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر:10] ، فمفهوم المخالفة أن الذين يسبون من قبلهم وفي قلوبهم غل وحقد ليسوا من أهل الإيمان وليسوا من أهل الرأفة ولا المغفرة عند الله عز وجل، لتعلموا أن الله قد بيَّن ذلك تصريحًا في الكتاب، فهم أصلًا والحمد لله حُرِموا من ذلك بقلوبهم التي فيها الحقد والحسد، وهم أصالة ليسوا من أهل الإسلام حقيقة، هم دخلوا الإسلام ليهدموا الإسلام، هم مجوس، هؤلاء كانوا أصلًا على المجوسية وأرادوا أن يدخلوا ليس حبًا في الإسلام بل أرادوا أن يكون دخولًا ليهدموا الإسلام بعد ذلك! في قلوبهم غل، أخبث على الناس من الكفار الصرحاء لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون فيه ما يبطنون من الكفر. لذلك وجب إعلاء قدر الصحابة وبيان ذلك.

ونبين لأنه إشكال عند البعض لما قال النبي ﷺ بأن: (العامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة)، فالبعض ظن أنه إن كان على علم قوي وأنه صابر فممكن الواحد يصل لأجر أكثر من الصحابة، على الزمان الذي سيأتي، النبي ﷺ قال فالعامل فيهم، قالوا: منا يا رسول الله؟ قال بل منهم، أي أن النبي يبين بأن أجر العامل في الزمان الذي سيأتي بعده؛ الذي لم يره النبي ﷺ؛ الأزمنة التي فيها الفتن وغير ذلك أن (العامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة) البعض ظن أن ممكن يأتي أحد فيأخذ خمسين أجر. فنقول: في هذا العمل فقط ممكن، لكن إجمالًا فالصحابة هم الأفضل، لكن في عمل وهو الصبر على أمور معينة في الفتن أو غير ذلك، فمن صبر في زمن الفتن فقد يأخذ أجر خمسين من الصحابة، لكنه ليس معناه أن هذا أفضل من الصحابة أو على الإجمال، لكن في هذا العمل قد يؤجر هذا الأجر إن تسلط الأعداء عليهم وجاءت الفتن فصبر على ذلك وجاهد فقد يكون له أجور عظيمة جدًا تصل لأكثر من أجور الصحابة في بعض هذه المواقف.

ونقول أيضًا أن بعض من جاء من بعد الصحابة قد يكون بعض الأعيان أفضل من بعض أفراد الصحابة، لكن في المجمل الصحابة هم أفضل الزمن والقرون، وأفضل الخلق بعد النبي ﷺ.

هذا الكلام كان مجمل وإلا فالكلام في الصحابة يطول عن ذلك، لكن نكتفي بهذا القدر، تبقى لنا فقط ختام المتن بأصول أهل السنة العملية كمسألة الطاعة لأولياء الأمور، والاتباع، والجدال والمراء، والصلاة على النبي ﷺ وعلى أزواجه إلى ما تبقى من المتن، إن شاء الله نختم به الأسبوع القادم.

المحاضرة الثالثة عشرة

اليوم إن شاء الله نختم هذا المتن المبارك؛ المقدمة التي كتبها الإمام أبو زيد القيرواني في كتابه الرسالة، فبدأ كما قلنا في أول الكلام في أول الدراسة على أن هذه مقدمة كتب فيها مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيَّن فيها عقيدة السلف الصالح، ثم استفتح بها كتابه (الرسالة) الذي كتب فيه بعد ذلك الأحكام الشرعية والفروع الخاصة بالعبادات وغير ذلك.

وكان هذا المتن من المتون التي يُنصَح بحفظها ودراستها لمبتديء طلاب العلم، لذلك أردنا أن نبدأ بهذا المتن للشباب الجدد في الدراسة، واليوم نختم ما تبقى فيه من كلام ذكره الماتن، وقد ذكر في المتن قال رحمه الله تعالى:

(والطَّاعَةُ لأئمّة المسلمين مِن وُلاَة أمورِهم وعُلمائهم، واتّبَاعُ السَّلَفِ الصّالح واقتفاءُ آثارِهم، والاستغفارُ لهم.وتَركُ المراءِ والجِدَالِ في الدِّين، وتَركُ ما أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ.وصلّى الله على سيِّدنا محمّدٍ وعلى آله وأزواجِه وذريته، وسلّم تَسليماً كثيراً)

هذه هي الجمل الأخيرة في هذا المتن يتكلم فيه المؤلف عن أصول أهل السنة والجماعة، **وهي أصول السنة العملية – كما يقال – وذكر أربع أمور:**

1. أولها السمع والطاعة لولاة الأمور وللعلماء؛
2. اتباع السلف الصالح، واقتفاء الآثار والاستغفار لهم؛
3. ترك المراء والجدال في الدين؛
4. ترك كل ما أحدثه المحدثون؛ أي مسألة البدعة، واتباع السنة.

المسألة الأولى: السمع والطاعة لولاة الأمور وللعلماء:

قال من عقيدة أهل السنة والجماعة الطاعة لأولي الأمر؛ سواء كانوا من الأمراء أو من العلماء، لقوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ} [النساء:59] ، وقال النبي ﷺ: **[على المَرءِ المُسلِمِ السَّمعُ والطَّاعةُ فيما أحَبَّ وكَرِهَ، إلَّا أن يُؤمَرَ بمَعصيةٍ، فإن أُمِرَ بمَعصيةٍ فلا سَمعَ ولا طاعةَ]**، ثم قال في حديث آخر: **[إنَّما الطَّاعةُ في المعروفِ]**، وهنا أحاديث كثيرة في السنة تبين وجوب السمع والطاعة للأمراء وللعلماء.

أولًا: للأمراء؛ وهم الذين نصبهم الله عز وجل أن يكونوا حكامًا على الرعية، فجاءت الأحاديث بوجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، وطبعًا السمع والطاعة هذه مقيدة كما جاء في الأحاديث التي عندنا وكما قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ} وهذه طاعة مطلقة، {وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ} كرر، وهذه طاعة مطلقة لأن طاعة النبي ﷺ من طاعة الله، قال: {وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} عطف أولي الأمر على طاعة الله وطاعة الرسول، أي أنه ليست لولاة الأمور طاعة مطلقة، لكن طاعته مقيدة في المعروف فقط؛ إن كان يأمر بمعروف فله السمع والطاعة، وأما إن كان يأمر بمعصية فليس له السمع والطاعة.

وهذا من اعتقاد أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك بعض الفرق المبتدعة **كالخوارج والمعتزلة** الذين يرون من أصولهم الخروج على الأئمة، وحتى أنه من أحد أصول المعتزلة الخمس الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وعندهم الأمر بالمعروف والنهي عن منكر أي الإنكار على الحاكم الظالم، وهذا يراه باسم إنكار المنكر.

وأما أهل السنة والجماعة فيفرقون؛ يتكلمون في أنواع الحكام؛ إذا كان الحاكم عادلًا، أو ظالمًا، أو فاسقًا، أو كافرًا، فلو عادلًا فوجوبًا وبالاجماع لابد من طاعته، ولو كان ظالمًا أو فاسقًا فأهل السنة والجماعة يرون أيضًا وجوب طاعته فيما لم يأمر فيه بمعصية، ولا يجوز الخروج عليه، وأما الحاكم الكافر فهذا الذي ليس له طاعة ولا يحق أن يتولى أمر المسلمين ويجب الخروج عليه إن استطاع المسلمون في ذلك سبيلا، لأن الكافر لا يُولَّى على أهل الإسلام.

هذا مجمل الاعتقاد هنا لأن المتن لا يحتمل، لكن هنا نبين أن هذه من أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لأولياء الأمور إذا كان في المعروف. وهو أراد أن يبين ذلك لأنه ظهر طبعًا الخوارج والمعتزلة الذين يرون جواز الخروج على الحكام وغير ذلك، وقد حدث ذلك لما خرجوا بداية على عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه أولًا، ثم حدثت فتنة الخوارج مع علي بن أبي طالب والقتال، وهذه أمور يُرجَع فيها بالتفصيل إن شاء الله لدراسات أخرى.

ثانيا: للعلماء؛ قال (وعلماؤهم)، إذًا الطاعة هنا لأولياء الأمور الحكام وللعلماء، والعلماء أيضًا على التفسير الراجح أن أولي الأمر يشمل الحكام ويشمل العلماء، قال: {وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [النساء:59] ، هنا يُراد العلماء أيضًا مع الحكام؛ فالتفسير عند أهل العلم أن أولي الأمر يكونوا العلماء ويكونوا الأمراء أيضًا؛ أي أن الآية تحتمل صاحب السلطان، وتحتمل أيضًا العالم بالكتاب والسنة.

فأيضًا العلماء يطاعوا فيما يبلغونه عن الله و رسوله، إذا جاء العالِم وقال بشيء وقال موافقًا للكتاب والسنة فيجب الطاعة فيه، وأما إذا خالف الكتاب والسنة فلا طاعة له أيضًا، قال الله عز وجل:{ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ} [النحل:43] ، والله أمرنا بسؤال أهل الذكر؛ وهم العلماء، إن كان المرء لا يعلم أو يجهل في المسألة فوجب الطاعة.

لكن وجوب طاعة العلماء هنا على تفريق؛ ولأننا بنتكلم مع طلاب العلم الآن، فهناك فرق بين المقلد والمجتهد أو طالب العلم؛

المقلد وجب أن يطيع العالم لأنه ليس له في العلم شيئًا، هو مقلد فيسأل، وهو عليه اختيار المفتي والعالم الثقة ويطيع، وجب أن يقول بما قاله العالم؛

أما **أهل العلم أو طلاب العلم** فإذا كانت المسألة اجتهادية فهنا لا يجب عليه طاعة العالم في ذلك إذا كان الأمر اجتهادي وهو يفهم الدليل وقد يخالف ما يقوله هذا العالم بدليل أيضًا من الكتاب والسنة.

فهنا في المسائل الاجتهادية لا تجب الطاعة إلا على المقلد، لأن المقلد لا يعرف الفرق بين القول هذا والقول هذا فيجب أن يطيع ما يقوله العالم، أما طالب العلم أو أهل العلم الذي يعلم في المسائل الاجتهادية فله أن يخالف العالم. لكن المسائل غير الاجتهادية ليس فيها كلام؛ مسائل النصوص ليس فيها أن يخالفه، لأن المسائل هذه منصوص عليها؛ كإقامة الصلاة، والزكاة، ووجوب الحج من استطاع، وصوم رمضان، الأمور التي هي الأصول التي هي ليست مسائل اجتهادية، وأيضًا الوضوء للصلاة والشروط وغير ذلك، كل هذه نقول يجب الطاعة فيها، أما الاجتهادية فبينا فيها هذا التفصيل. وهذا بالنسبة للعلماء.

أما بالنسبة للسلاطين فقلنا تجب طاعتهم في غير معصية الله، وإذا وقع منهم الجور أو الظلم أو المعاصي فللمرء أن يؤدي حقهم ولا يطيعهم في معصيتهم، قال النبي ﷺ حديث ابن مسعود:**[ستكون أثرة وأمور تنكرونها، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟]** أي على الأثرة والأمور التي تنكرونها من الحكام **[قال: تؤدُّون الحقَّ الذي عليكم وتسألون اللهَ الذي لكم]** طيب ما هو الحق الذي عليكم؟ السمع والطاعة فيما كان في طاعة الله وليس في معصية الله، "وسلوا الله الذي لكم" أي إذا قصروا وفرطوا فظلموا واساءوا فاسألوا الله عز وجل ما لكم عندهم. وقلنا أن المظلوم له حق طبعًا في الدنيا وفي الآخرة فيسأل الله ذلك. وقلنا أن هذه الضوابط عند أهل السنة والجماعة منوطة بنوع الحاكم الذي قد بيناه في التفصيل.

المسألة الثانية: اتباع السلف الصالح، واقتفاء الآثار والاستغفار لهم:

وهذه مسألة مهمة وفاصلة بيننا وبين الروافض أيضًا.

من هم السلف الصالح؟ الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والقرون الخيرية، قال تعالى: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ} [التوبة:100] ، فهؤلاء هم السلف الصالح. فمفاصلة من عقيدة أهل السنة والجماعة أنك تنظر من يوالي الصحابة، ويترضى عنهم، ويدعو لهم، ويتبع آثارهم، ويستغفر لهم، ويحبهم، ويتقرب إلى الله بحبهم، من غير طبعًا

غلو ولا تقصير على منهج أهل السنة والجماعة، فهذا هو الذي اتبع أثر السلف الصالح. وأما الذين يسبونهم، والذين ينتقصون منهم، والذين يُكَفِّرونهم، والذين يذمونهم فهؤلاء ليسوا من أهل السنة وليسوا من اتباع أثر السلف الصالح.

قال الله عز وجل في الفاتحة:{ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} [الفاتحة:6] ، فالصراط المستقيم هو الصراط الذي كان عليه النبي ﷺ، وما كان عليه الصحابة، وقال تعالى:{وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ} [الأعراف:158]، أي اتباع النبي ﷺ. وقال الله عز وجل:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا} [الأحزاب:21] ، إذًا يرجو أسوة حسنة في الرسول.

قال النبي ﷺ لما قال عن الفرقة الناجية هم: **[هم مَنْ كان على مِثلِ ما أَنا عليه اليومَ وأَصحابي]**، إذًا بيَّن أنك عليك اتباع الرسول واتباع ما كان عليه أصحاب الرسول، فهذه هي الفرقة الناجية، فأُمرنا أولًا باتباع الرسول ﷺ، وهذا أمر، وكذلك أمرنا أننا نسير على نهج الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم؛ هؤلاء هم السلف الصالح، هم الذين عرفوا الحق وتلقوه من النبي ﷺ مباشرة، وفهموا الوحي الذي أنزل عليهم، وقاموا به علمًا وعملًا، وجاهدوا، ونشروا كلمة الإسلام، وبلغوه لمن بعدهم، ونقلوا السنة، فما بين أيدينا من أحاديث وأمور نُقِلت عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم، فكل هذا قام به الصحابة، فهم السلف الصالح الذي يجب على المرء أن يتبع آثارهم، الذي قال عليهم النبي ﷺ عن الفرقة الناجية: **[هم مَنْ كان على مِثلِ ما أَنا عليه اليومَ وأَصحابي]**، "اليوم" أي في وقت ما تكلم فيه النبي ﷺ، أي على هدي النبي ﷺ في زمانه وأصحابه الذين كانوا مع النبي ﷺ.

ثم قال: **(والاستغفارُ لهم)** وهذا أيضًا من علامات اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ أنك تستغفر لمن سبقونا بالإيمان، تستغفر للصحابة وللتابعين وغيره، قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر:10]، هذا معيار لأهل السنة والجماعة، لذلك أنت لما تنظر للروافض هل هم بيستغفروا للصحابة أم بيسبوا؟! إذًا ليسوا في الآية ولله الحمد، فليس لهم لا مغفرة ولا رحمة ولا جنة، لأن ربنا قال: {وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا} أي من بعد السابقون الأولون، الله ألحقنا بهم بشروط، ما هي الشروط؟ {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا} أن نستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، {وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ} وهذا الأصل؛ أن المؤمن يحب أهل الإيمان ومن سبقهم، وهو بيتكلم عن الصحابة.

والروافض يسبون الصحابة وفي قلوبهم الغل والحقد والحسد على الصحابة، بل كفَّروا أغلبهم، بل سبوا كما هو معلوم أبو بكر وعمر وعائشة رضي الله عن الجميع، فهؤلاء أخرجهم الله عز وجل من الآية، وهذا دلالة على أنهم أصلًا ليسوا من أهل السنة والجماعة، ولا أصلًا من أهل الإسلام فيما يقولونه في تكفيرهم للصحابة أو سبهم لعائشة وأبو بكر وعمر، لأن هذا تكذيب للقران، وهو كفر.

المسألة الثالثة: ترك المراء والجدال في الدين:

وقد شدد النبي ﷺ على ذلك؛ على أن المراء والجدال في الدين فيه كبيرة عظيمة جدًا، وقد بيَّن النبي ﷺ لما قال إذا رأيتم الذين يجادلون في الدين فذلك الذي نزل فيهم قوله تعالى في استفتاح آيات سورة آل عمران:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ } [آل عمران:7] ، فقال النبي ﷺ أن هؤلاء الذين نزل فيهم قول الله عز وجل هم الذين يبتغون الفتنة، الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه من الآيات ولا يردونها إلى المحكم، وأما {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ } [آل عمران:7] .

فتجد الذين تكلموا بادعاء الثقافة وحرية الفكر الغربي والكلام هذا يأتوا ويضربوا الآيات في القرآن بعضها ببعض على أنه فيه تناقض ويريد أن يُلبِّس على الناس، فهؤلاء الذين يتمارون ويجادلون في الدين جاء ذمهم في الكتاب وفي السنة. وهذه طريقة المبتدعين، طريقة الكفار، طريقة المنافقين الذين يجادلون في آيات الله، يكذبون ويطعنون فيها؛ قد لا يُكذِّب تصريحًا لكن تجده يلمز على الآيات كأنها فيها تناقض وكأن فيها شيء، يتبع المتشابه من القرآن. والأصل عند أهل السنة أو عند الراسخين في العلم أنهم يلحقوا المتشابه إلى المحكم، ويفسرون بعضه ببعض. **وهذا الجدال مذموم.**

أما الجدال المحمود؛ هو الجدال الذي أنت تدعو به الناس، قال تعالى:{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ} [النحل:125] .

إذًا هناك جدال مذموم، وهناك جدال محمود؛ الجدال المذموم هو الذي بيناه في الأول وهو جدال المنافقين والكفار، والجدال المحمود أنك تجادل المخالف لتبين له، تزيل عنه الشبهة، وتدعوه إلى الإسلام، سواء كان للكفار بأنواعهم، تدخل الناس في الإسلام، فهذا جدال محمود لأنه قال تعالى: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ} [النحل:125] . وهذا الفرق بين الجدال في آيات الله تكذيبًا لها، والفرق بين الجدال في آيات الله شرحًا وتفسيرًا وسؤالًا عنها وانتصارا للحق ورد الباطل الذي قد يظهر.

وقد أُمرنا بهذا الجهاد؛ وهذا جهاد اللسان، كجهاد البيان، أنك ترد وتبين للناس، قال تعالى:{ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان:52] ؛ أي تجادل الكفار الذين يلمزون في الدين والذين يتكلمون، أو الذين يريدون أن يسألوا عن الدين فمن جهادك معهم – فجهاد السنان كجهاد اللسان – بأنك تبين لهم وترد لهم المخالفات والإشكاليات بالحجج الصحيحة التي جاءت في كتاب الله عز وجل.

والإمام مالك كان له كلام لما جاءه رجل يتكلم في الأسماء وفي الصفات فقال: (أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟)، فلما نزل بدأ الناس يتكلمون،

فهو قال هل كل أحد سيأتينا بكلام ويظل يُلبِّس على الناس، "رجل أجدل تركنا ما جاء به جبريل" أي هل نترك النصوص والسنة لكلام أهل الكلام وغيرهم الذين يدخلون العقول في أمور الغيبيات!! فهذا دلالة على انكار الذين يأتون بالجدل المذموم.

المسألة الرابعة: ترك كل ما أحدثه المُحدثون:

وهذه تحذير من البدعة، دائمًا خطبة الحاجة نقول: **[كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النارِ]**.

فقالوا **البدع**: هي المُحدثات في الدين، وقيدنا بالدين، لماذا؟ لأن المحدثات في العادات ليست بدعة؛ سواء السيارات، والهواتف، والكهرباء وكل هذه الأشياء بدعة لم تكن موجودة؛ أي شيء مستحدث، فهذا ليس فيه شيء.

لكن بعض الأغرار يقول لك أنتم بتتكلموا عن البدعة طيب الرسول لم يركب العربية! أنت ما تفهم، أَصِّل الأول واعرف ما هي معنى البدعة؟ هي الشيء المحدث في الدين. قال النبي ﷺ حديث عائشة: **[مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ]**، قال (في ديننا)، لم يقل من أحدث في دنيانا. وقال النبي ﷺ: **[وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ]**، وفي رواية: **[وكلَّ ضلالةٍ في النارِ]**.

فهنا كأن المصنف يحذر من البدع، و البدع حقيقة أخطر ما يكون، لأن ما أحييت بدعة إلا وأميتت سنة، ما يُروَّج للبدع إلا وتجد السنن تموت، وحتى تحقق اتباع السلف لابد أن تلزم السنة، لا يمكن تجد اتباع سلف مع بدعة، لأن السلف هم كانوا أهل اتباع السنن، فأنت حتى تتبع السلف لابد تحقق ذلك بلزوم السنة وأنك تعمل بها، وتترك المحدثات والبدع، لذلك النبي ﷺ قال: **[مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ]**، أي مردود عليه.

ونقول أن البدع خطيرة جدًا، بل البدع أشد من الكبائر، فأنت عندك في الترتيب: الكفر، ثم البدع، ثم الكبائر التي هي المعاصي والذنوب، وبعض الناس للأسف يهتمون برد المعاصي والكبائر والذنوب ولا يهتمون برد البدعة، مع أن البدعة أعلى؛ فالذي بيفعل معصية صغيرة أو كبيرة فالبدعة أشد من ذلك، ويبين لك قول النبي ﷺ: **[إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ]**، حديث معناه عظيم جدًا؛ أي أن صاحب البدعة الذي هو متأصل في البدعة ويدعو لها تجد أن الله عز وجل يحجب عنه التوبة.

لماذا البدعة أشد من المعصية؟ لأنه وضع نفسه مشرعًا مع الله، لأن الله عز وجل قال:{ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة:3] ، من القائل؟ الله عز وجل، {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ} من الذي يُشَرِّع؟ الله، {أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ} [الأعراف:54] ، فصاحب البدعة كأنه أولًا يُكذِّب الله – حاشاه – لأن ربنا بيقول أكملت لكم الدين وأنت بتزيد في الدين أو بتنقص على

حسب لأن البدعة هي شيء محدث في الدين غير موجود، فكأنك أولًا بتكذب القرآن، ثانيًا: كأنك بتنازع مع الله أنك بتشرع، لأن التشريع من الله ليس من أحد، ما أحد يضيف في الدين شيء إلا بإذن من الله عز وجل هو الذي ينزله.

فلذلك خطورة صاحب البدعة والبدعة أن فيها منازعة في ربوبية الله عز وجل وفي ألوهية الله عز وجل؛ منازعة في الربوبية أن الله له الخلق وله الأمر في الأصل، وكذلك بأنك قد تصرف البدعة هذه لأحد فتعبده كما يفعلون مع القبوريين والأولياء وغير ذلك، أو يأتي منازعة في الألوهية أيضًا. فلذلك الإحداث في الدين؛ سواء البدعة كانت كبيرة أو صغيرة لأن هناك بدعة مكفرة وبدعة مفسقة – وهذه ستأتي تفصيلًا لكن نحن فقط نبين – لكن هذه أخطر ما يكون عن الذنوب والمعاصي.

وصاحب المعصية هو يعلم أنه على ذنب وممكن يكون بيفعلها ويقول ربنا يهديني ويدعو، لكن **صاحب البدعة** بيفعل ويظن أنه على خير؛ إما يكون متقصد أنه يُلبِّس على الناس وهذا مصيبته أكبر، لذلك قال النبي ﷺ: **[إِنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ]** لأنه علم من حاله أنه أراد أن ينازع الله، فالله عز وجل سيعامله بنقيض قصده ولا يرزقه الهداية والتوبة. وإما يكون مقلد لا يعلم فاتبع من اتبع على ذلك.

وطبعًا انتشار البدع كان بجهل أو كان باتباع الهوى؛ بعضها كان بسبب الجهل كما يحدث، وبعضها كان بسبب اتباع الهوى أنه يستهوي شيء فيقدم الرأي على الوحي، يعجبه شيء كأن يعجبه طريقة معينة في العبادة، أو زيادة معينة، أو اجتهاد، وهذا رأي على وحي. وسواء كأن رأي أو كان هوى فهذا كله مذموم جدًا.

لذلك الإمام مالك يقول كلام مهم جدًا: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة)، لأن الله يقول: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ } [المائدة:3] ، و{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ} [المائدة:67] ، فكأن إما الرسول لم يبلغ وخان الرسالة، أو أن الدين لم يكتمل! فمن فعل ذلك فكأنه اتهم النبي ﷺ بالخيانة ويكون قد شارك الله في ذلك.

أنواع البدع:

– بدع اعتقادية؛ كبدع المتكلمين التي هي أهل الكلام من الجهمية والجبرية والقدرية؛
– بدع عملية؛ كبدع الصوفية، وهي أصحاب الطرق مثل النقشبندية والتيجانية، وغير ذلك، وغالبًا بتكون بدع خاصة بالعبادات وبالأذكار وغير ذلك، فهذه بدع عملية.

وأيضًا من البدع الاعتقادية الروافض، أشر ما يكون، وهم جمعوا بين البدع الاعتقادية والبدع العملية؛ فعندهم بدع عملية في طريقتهم في بعض الصلوات والذكر والضرب ويقتلوا في أنفسهم،.. وبدع اعتقادية في تكفيرهم للصحابة وأيضًا يرون بالأضرحة والقبور. وهم أصلًا الذي أدخلوا القبور في مصر، الفاطميين لما دخلوا وجاؤوا لمصر هم أول من أدخلوا مسألة القبور والبدع، وأرادوا أصلًا أن يشيعوا البلد

لكن الحمد لله ربنا حفظ مصر لكن بقى فيها حقيقة هذه المسألة، واشترك معهم القبوريين الصوفية بعد ذلك فيها، وللأسف بعض متأخري الأشاعرة أيضًا؛ فلم يكن في المتقدمين من الأشاعرة هذه المسألة لكن في المتأخرين. فكل هذه من أنواع البدع، سواء بدع اعتقادية أو بدع عملية.

ثم ختم وقال:

(وصلّى الله على سيِّدنا محمّدٍ وعلى آله وأزواجِه وذريته، وسلّم تَسليماً كثيراً)

وهنا طبعًا الصلاة على النبي ﷺ وعلى الأزواج والذرية، وسلم عليهم. والملاحظ هنا أنه قال (سيدنا محمد)، فالمسألة لا حرج فيها، فهو طبعًا – تحقيقًا – أن النبي ﷺ هو سيد ولد آدم، لكن البعض يقول أنه كان دائمًا الصحابة يحرصون على ذكر الرسالة والنبوة؛ أي لما يقولوا اللهم صلي على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، أو على رسولنا محمد ﷺ كانوا يقدمون الرسالة والنبوة.

وهنا الإمام ذكر على "سيدنا" ولا حرج في ذلك، وإن كان الأولى أن كان يذكر الرسالة والنبوة.

وطبعًا هذه المسألة التي رآها البعض مفارقة كأنما تجد بعض الأزاهرة يلمزون على السلفية أو شيء أنهم لا يقولون سيدنا، مع أننا بنقول، ما في شيء، فهو سيدنا، لكن في بعض النصوص التي تكون أذكارًا نتقيد فيها بالنص فنقولها بنصها، وهم يدخلونها فيها، فنقول المسألة لو كانت ذكر تعبدي فنقوله كما جاء وخاصة لو جاء فيه الرسالة والنبوة فهو الأعظم؛ وهو الذي وصفه الله عز وجل به أنه رسوله ونبيه، وإلا فهو سيدنا ولا شك ولا أحد يجادل في ذلك أصلًا، لأنه لو جادل في ذلك فقد كفر لو قال أن النبي ﷺ ليس بسيدنا.

هذا المتن المبارك أظهر فيه أبو زيد القيرواني – عليه رحمة الله تعالى – اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ اعتقاد السلف، ذكره مجملًا. وقلنا أن هذا متن مميز صغير وفيه اجمالًا عقيدة أهل السنة والجماعة، وحتى لو درستم كتب بعد ذلك إن شاء الله ستجدوا نفس المواضيع التي في هذا المتن لكن بتوسعات، فقد تكلم عن الأسماء والصفات، والإيمان، والقدر، وتكلم عن العقيدة هنا في مسألة السمع والطاعة، وفي البدع، وفي السنة، وغير ذلك، وهذه كلها أصول السلف الصالح التي نسير عليها في دراستنا في العقيدة في كل الكتب. وتكلم أيضًا عن مسألة الإيمان أنه اعتقاد بالقلب واللسان والجوارح، ووضح فيه عقيدة أهل السنة والجماعة وبين فيه مخالفة ذلك عن الطوائف المبتدعة الأخرى التي خالفت في الأسماء وفي الصفات وفي الإيمان وفي القدر. وطبعًا لم يكن المتن يحتاج إلى تفصيل، فإن شاء الله نفصل في الكتب القادمة بإذن الله تعالى التي سنعلن عنها كمرحلة ثانية بعد هذه المرحلة.

تم بحمد الله